العدد الثاني

المجلّد السابع عشر

الريحان

يناير ٢٠٢٦ م مجلة محكمة سنوية

ISSN 23948493

المجلة غير ملزمة بكل فكر ينشر فيها

قسم البحوث والماجستير فى اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوينـاد التابعة لجامعة كالكوت، موتل، كيرالا - الهند

الـريـحـان

مجلة محكمة سنوية

الرقم الدولي الموحد :٢٣٩٤ - ٨٤٩٣

المجلد السابع عشر، العدد الثاني ، يناير ٢٠٢٦

قسم البحوث والماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بويناد

التابعة لجامعة كالكوت

موتل، كيرالا- الهند

deptofarabic@gmail.com, raihanwmoc@gmail.com

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

هيئة التحرير

المستشار العام : د. وجي بول. عميد كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

مدير التحرير: د. نجم الدين. ب رئيس قسم اللغة العربية،كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

رئيس التحرير:د. يوسف محمد الندوي، الأستاذ المساعد،كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

الأعضاء

- شيلة. ك.أتش، الأستاذة المساعدة، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- د.محمد سعيد.م . ك، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- آسل . ك، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- عباس الوافي، الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- شهير. ب. ب. الأستاذ المساعد، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- زكية سراج، الأستاذة المساعدة، كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوبناد

هيئة المراجعة والتحكيم

- أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي، الأستاذ، قسم اللغة العربية، جامعة الفلوجة، العراق
- د. مريم الهاشمي ، الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كليات التقنية العليا، الشارقة
- أ . د. رضوان الرحمن ، رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية،جامعة جواهرلال نهرو،نيودلهي
- أ.د.دويدة نفيسة، أستاذة التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة بوزيعة، الجزائر
- أ.د. عبد المجيد. ت. أ، أستاذ ورئيس ، قسم اللغة العربية، جامعة كالكوت
- د.جمال الدين الفاروقي، العميد السابق، كلية العلوم والفنون لدار الأيتام المسلمين بوبناد
- د. سيد علوي، عميد كلية نوبل، منجيري، كيرالا
- د. صابر نواس، الأستاذ المساعد، كلية مدينة العلوم العربة، بوليكل، كيرالا
- د. محمد سليم محمد سلطان الندوي، رئيس قسم اللغة العربية، جامعة فاراد ينيبا، سريلانك

المحتويات

١. كلمة الريحان ٥
٢. إشكالية التخلف الحضاري في العالم الإسلامي
أد. نفيسة دويدة،أستاذة جامعية وباحثة،بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر ٦
٣. الابداع القصصي عند يوسف إدريس: دراسة نقدية وتحليلية
د/ بشير بولاكال،الأستاذ المشارك، الكلية الحكومية، كالباتا، وبناد ٢٠
٤. أدب الأطفال في فلسطين : التكوين الثقافي وبناء الهوية في ظل الاحتلال
وافرة حنان كي بي باحثة الدكتوراه/ د. يوسف ، و.ك. كلية روضة العلوم العربية،كالكوت ٣٧
٥. جرجي زيدان بين الموقف الثّقافي والممارسة الإبداعية: دراسة نقدية تحليلية
محبوب.سى.ك، باحث قسم اللغة العربية، جامعة عليكرة الإسلامية ٤٦
٦. أدب اللجوء: من الألم إلى المقاومة
حارث.ك، باحث الدكتوراه / د.عبد الوهاب.س ، كلية سلم السلام العربية,أريكود ٦٦
٧. سمريزبك: صوت الصامت في سوريا
فرحانة كمال، باحثة دكتوراه / د. فاروق اس، أستاذ مشارك كلية م.س.م كايمكولام ٧٣
٨. أحمد مراد ورو ايته "تراب الماس": رحلة في أعماق الجريمة والمجتمع
محمد سهل ك، كلية بي تي يم، برنتل مانا /د.عبد الحميد ب.ك، كلية تي يم جي ، ترور ٨٦
٩. البعد السياسي و المقاوم في شعر أحمد مطر
رُبينة يو.تي. أستاذة مساعدة وباحثة/ د. عبد السلام أي. بي ،كلية دار العلوم العربية بوايكاد ٩٧
١٠. جسور البلاغة: قراءة في فكر شيخ البلاغيين محمد أبو موسى
محمد علي ك.ب.باحث الدكتوراه_ جامعة اللغات الإنجليزية والأجنبية،حيدر آباد ١٠٤
١١. معاناة المرأة المهمشة, دراسة تحليلية فى رو اية الزنجية لعائشة بنور
فاطمة وى.كى باحثة الدكتوراه /د. بى عبد الرشيد,ف، قسم اللغة العربية وآدابها,جامعة كنور ١١٠
١٢. الهوية والانتماء في الشعر الفلسطيني المعاصر، دراسة تحليلية
محمد شهير كي - استاذ مساعد، كلية الرحمانية العربية، كدميري ١١٧
١٣. التناص القرآني في رو اية "موتٌ صغير" لمحمد حسن علوان
أبرار أحمد حسن محمد حسن ، باحثة الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي ١٢٧
١٤. العنف مظاهر الأسري ضد المرأة و آثاره السلبية على الأطفال
اد. سيدة مهبارة بيضاء ١٣٩

١٥. إسهامات عائشة عبد الرحمن في اللغة العربية وثقافتها
حسن كي ام باحث / د. نجم الدين. بي، مشرف، كلية روضة العلوم بفاروق، كيرالا ١٥٢
١٦. غالب هلسا الروائي الأردني؛ شعلة لا تنطفئ في درب النضال والثقافة
د.محسن م و محاضر، كلية سلم السلام العربية بأريكود، كيرالا ١٦١
١٧. دورعبد الله ناصرسلطان العامري في تعزيز الثقافي بين الهند والعالم العربي
منيب بيأستاذ مساعد / د. أبو بكر كي أستاذ مساعد، كلية روضة العلوم العربية، كالكوت ١٧٠
١٨. استراتيجيات التعلم والتعليم في الأحاديث النبوية
محي الدين كوتي، الأستاذ المساعد، كلية دار العلوم العربية بوايكاد ١٧٨
١٩. الأدب السعودي في المناهج الأكاديمية الهندية،
فيصل بن محمد، استاذ مساعد، كلية سافي للدراسة المتقدمة(حكم ذاتي) ١٩٥
٢٠. أزمة الهوية وتحولات اللغة في الرواية العربية تحت ظلال العولمة
د. جليل ت. ك. أستاذ مشارك، كلية م. إ. س. كالادي، منماركاد ٢٠٢
٢١. غانم قدوري الحمد كجسر بين علم التجويد وعلم الاصوات الحديث
ناصر الدين انس م. باحث في قسم اللغة العربية، جامعة IFLU حيدر أباد ٢١٠
٢٢. التمرد والحرية في رواية " وليمة لأعشاب البحر" لحيدرحيدر
رسينة . ب باحثة كلية ب.ت.يم برتال منا / د. عبد الحميد، ب. ك. مشرف البحث، كلية ت.يم.ج ، ترور ٢١٨
٢٣. القضايا الاجتماعية والسياسية في رواية "فوهة في الفضاء": قراءة في أثر الحرب العراقية - الإيرانية ...
محمد مختار بي بي، احث، بقسم البحوث واللغة العربية،كلية كي تي أم بكروواركند ٢٣١
٢٤. ملامح الهوية في رواية "الجسد الراحل" لأسماء الزرعوني
آسل كلتنكل،باحث الدكتوره،كلية مدينة العلوم العربية ببلكل،الأستاذ المساعد،كلية WMO ، موتل ٢٣٨
٢٥. مناهج المدارس النحوية الكبرى وأصولها الفكرية
زين العابدين، باحث الدكتوراه، جامعة اللغات الإنجليزية والأجنبية ٢٤٧
٢٦. مقاومة الجنوب الهندي للوجود البريطاني : قراءة في أحداث القرن الثامن عشر
د. سكينة م.ك، أستاذة مساعدة .قسم اللغة العربية .كلّية م.اي.س . ممباد(الحكم الذاتي) ٢٦٣
٢٧. . بشير مفتي: عوالم الإبداع والخيال في أدب الأطفال
د. ك. ت. شكيب، أستاذ مساعد، كلية أنوار الاسلام العربية للبنات - مونغام، كيرالا ٢٧٤

كلمة الريحان

يسرّ هيئة تحرير مجلة الريحان المحكمة أن تضع العدد الثاني من المجلد السابع عشر بين أيدي القرّاء والباحثين في مناسبة أكاديميةٍ فارقةٍ تحمل دلالاتٍ عميقةً ومعانيَ فخرٍ واعتزاز. فهذا العدد يصدر في أعقاب اعتماد جامعة كالكوت لقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بواياناد مركزًا للبحوث والدراسات العليا، وهو إنجاز علمي مرموق يُتوّج مسيرةً طويلة من العطاء الأكاديمي والبحثي.

لقد ظلّ قسم اللغة العربية، منذ تأسيسه وبدء إصدار مجلة الريحان عام ٢٠٠٣، وفيًّا لرسالته العلمية، ساعيًا إلى ترسيخ مكانة اللغة العربية وآدابها في الفضاء الأكاديمي، ومؤمنًا بأن البحث العلمي الرصين هو الأساس المتين لأي نهضة معرفية حقيقية. ولم تكن المجلة مجرّد إصدار دوري، بل غدت منصةً علميةً محكّمة، أسهمت في احتضان البحوث الجادّة، وفتحت آفاقًا للحوار العلمي بين الباحثين من داخل الهند وخارجها.

إن ترقية القسم إلى مركزٍ للبحوث والدراسات العليا لا تمثل مجرد اعترافٍ إداري، بل هي شهادة ثقة بمستواه الأكاديمي، وكفاءة كوادره، وغزارة إنتاجه العلمي، ودوره الريادي في خدمة التعليم العالي والبحث العلمي في منطقة واياناد على وجه الخصوص. كما تعكس هذه الترقية ثمرةَ سنواتٍ من العمل المتواصل، والتخطيط العلمي الواعي، والالتزام بمعايير الجودة والتميّز الأكاديمي.

ويأتي هذا العدد من الريحان تعبيرًا صادقًا عن هذا الفخر المؤسسي، وتجسيدًا لروح المرحلة الجديدة التي يدخلها القسم بوصفه مركزًا بحثيًا فاعلًا. وهو يؤكد في الوقت ذاته استمرار المجلة في أداء رسالتها، محافظةً على نهجها العلمي الرصين، ومنفتحةً على القضايا المعاصرة، ومواكبةً للتحولات المعرفية في مجالات اللغة والأدب والدراسات الإنسانية. وإذ نحتفي بهذا المنجز، فإننا نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى جامعة كالكوت على ثقتها، وإلى جميع الأساتذة والباحثين والطلبة الذين أسهموا في بناء هذا الصرح العلمي، كما نثمّن جهود هيئة التحرير والمحكّمين الذين كان لهم الدور البارز في الارتقاء بمستوى المجلة.

نسأل الله أن تكون هذه الخطوة منطلقًا لمزيدٍ من الإنجازات، وأن تظل مجلة الريحان المحكمة منارةً علميةً مشرقة، ومصدر فخرٍ لقسم اللغة العربية، وللكلية، وللمشهد الأكاديمي بأسره.والله وليّ التوفيق والسداد.

د. يوسف محمد الندوي (رئيس التحرير)

إشكالية التخلف الحضاري في العالم الإسلامي

أ.د. نفيسة دويدة
أستاذة جامعية وباحثة،بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر

الملخص:

يُركّز هذا البحث على إشكالية التخلّف الحضاري في العالم الإسلامي بوصفها إحدى أكثر قضايا الفكر النّهضوي حساسيةً واستمراريةً منذ القرن التّاسع عشر، وذلك حين تعرّضت الأقطار الإسلامية لصدمة الاستعمار الغربي، ففقدت سيادتها المادّية والفكريّة، ودخلت طورًا جديدًا من التّبعيّة والهيمنة. ويرصد البحث جانبًا من مسارات تشكّل الفكر الإصلاحي الحديث في الشرق الإسلامي، من خلال تحليل طروحات نخبة من المفكّرين والمصلحين الّذين حاولوا تفكيك أسباب التّخلّف ووضع أسسٍ للنّهوض، أمثال جمال الدّين الأفغاني، ومحمد عبده، وخير الدّين التّونسي، وعبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومالك بن نبي.

الكلمات المفتاحية: التخلف الحضاري؛ العالم الإسلامي؛ النهضة؛ الفكر الإصلاحي، المدّ الاستعماري.

مقدّمة

توالت النّكبات على العالم الإسلامي في العصر الحديث، حيث خضعت بعض أقطاره للاستعمار الغربي بمختلف أشكاله، ودخلت حلقة تاريخيّة من الهيمنة والاستغل ال الأوربي، ولم تتخلّص تلك الأقطار من الوجود الاستعماري إلّا متأخّرًا، ولكنّها استمرّت مجبرة على التّعامل معه وفق

استراتيجيّة جديدة ومتجدّدة تخدم مصالح الدول الغربية. وكانت هذه المرحلة الممتدة زمانيًا ما بين القرنين التّاسع عشر والعشرين مرحلة مستفزة لأقلام الكتّاب والمصلحين والفلاسفة، وحظيت باهتمام رجال السّياسة والاقتصاد، وانبروا داعين لرفض هذا الوضع المتخلف؛ كلّ وفق منطلقاته وايديولوجيّته، وحتى تبعًا لولاءاته. وسنتعرّض في هذا البحث لنماذج من تلك المحاولات الإصلاحية التي يمكن وصفها بالجديرة بالملاحظة والاستقراء وبالتّحليل، على الرّغم من أنّها كانت محاولات نظريّة، ولم ترق غالبًا لأن تتجسّد فعليًّا على أرض الواقع.

في البدء يمكن القول أنّ مفهوم التّخلف الحضاري ارتبط تاريخيًّا من حيث الزّمان بعصر النّهضة الحديثة، ومكانيًا بالعالم الإسلامي، وتضمن وصف هذا الأخير بحالة القصور والفشل في الوصول بالمجتمع او الأمة الى مرتبة التطور التي تؤهله لمواكبة الوتيرة العالمية في التنمية والإبداع، أو على الأقل في محاولة إيجاد الآليات الكفيلة بإنعاش المجتمع المتأخر عن المساهمة في الرصيد الحضاري الإنساني بشكل أو بآخر. أمّا عن مجمل الأسباب التي أدت إلى تخلف العالم الإسلامي فيمكن تلخيص أهمّها في الموجة الاستعمارية وما أعقبها من تحولات جذرية على جميع الأصعدة داخل الأنظمة التقليدية للمجتمعات الإسلامية المغلوبة على أمرها. ثم فساد واستبداد الحكومات المحلية الحاكمة في عهد ما بعد الاستقلال السياسي. وتصدّع البناء المجتمعي وتفكّك العلاقات والرّوابط بين الأفراد بسبب آثار وتداعيات الصّدمة الاستعماريّة، ونظرًا لعدم مواكبة التغيرات النّاجمة عن عدم التّوازن بين التّسارع المادّي للحياة واندثار القيّم والحواجز الأخلاقيّة والدّينية. أي عدم التّوافق بين الجانبين الما

دّي والثّقافي الفكري. بالإضافة إلى ابتعاد المجتمعات الإسلامية وبالأخصّ فئة النّخبة فيها عن الاهتمام بالقضايا الجوهريّة التي تهمّ الأمّة، وبات التّركيز في الكتابات والصّحف على "مظاهر" الحضارة أي القضايا الثّانوية والهامشيّة، وابتعدت الانشغالات عن تحصيل المعرفة او تفكيك خبايا التّطور التّقني والعلمي الّذي سار بالمجتمعات الأخرى إلى المصاف الأول في السّلم الحضاري. بالإضافة إلى التّدهور والتّكاسل اللّذان شملا كل جوانب الحياة وأصبحا متوارثين بين الأجيال، وكأن مسألة التّخلّف صارت حتميّة أو قدرًا إلهيًا لا منجى منه.

منطلقات دعاة الاصلاح والنهوض الحضاري:

قبل عرض بعض الأفكار التي طرحها المفكرون المسلمون في عصر النهضة الحديثة نشير إلى أن البعض من هؤلاء قد عايشوا عن كثب واقع بلدانهم المتخلفة، واطّلعوا أيضًا بالمقابل على تفاصيل الحياة الغربية المتطورة، وأبدوا تفاوتًا في الانبهار بها أو التّحذير من الانزلاق نحوها؛ غير أنّ المؤكّد هو ادراكهم لحجم الفجوة الحضارية الحاصلة بين الطّرفين، واختلفوا في تفسير العلل والأسباب، وفي تقديم الحلول؛ ما جعل المتأمّل لموقف هؤلاء المفكرين والمصلحين يتبيّن عدم التّوصل لإيجاد منهج سليم وناجع وفعّال للإصلاح، وحتّى ان تمّ اقتراح الخطط إلّا أنّها لم تجد طريقها إلى التطبيق والتنفيذ[1]. كما أنّنا نقف على الانقسام الواقع بين المواقف ازاء التّشبّث بالموروث البالي على أساس أنّه الملجأ عند الحاجة، وبين داع للانطلاق باتجاه الحضارة الغربية دون قيود. وقد أثّر غياب وحدة الأفكار النّظرية المدروسة وعدم الالتزام بتفعيلها إلى حال أسوأ ربما جعلت العجز واضحًا في إحداث التغيير المنشود[2].

[1] أنور عبد المالك: الفكر العربي في عصر النهضة، دار الاداب، بيروت، 1978م، ص36.

[2] هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب، ط02، دار النهار للنشر، بيروت، 1978م، ص 54.

أزمة التخلف الحضاري هاجس مستمر:

تفاوتت الآراء واختلفت أحيانًا بشأن تقدير أسباب ونتائج وتداعيات أزمة التخلف الحضاري للعالم الإسلامي بين المفكرين والمصلحين المسلمين؛ غير أنهم في النهاية حاولوا لفت أنظار شعوبهم لحال بلدانهم، واجتهدوا في تفكيك معادلة التّخلف والتّطور، وحدّدوا أهم المعوّقات والتّحدّيات المطلوبة[3]. والنّماذج الّتي اخترناها للدّراسة اختلفت زمانيًا ومكانيًا؛ وتمثّلت في الشّخصيات التّالية:

جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨- ١٨٩٧م): ربط الأفغاني بين الاستعمار والاستبداد السّياسي كسببين رئيسيين في الوضع المتردي للأمة الإسلامية، ورأى أنّ التّخلص من هذا الأخير يقتضي حتمًا القضاء على هذين السّببين؛ باعتبار علاقة التكامل في الأدوار بينهما. بالإضافة إلى أنّه وجّه النّصيحة لإخوانه في الدّين بضرورة التفكير في إصلاح المجتمع بواسطة إصلاح التّعليم، وعن طريق تحقيق المساواة بين النّاس. ومن جهة أخرى أكّد الافغاني على أنّ الوحدة بين الشّعوب الإسلامية أكثر من ضرورية في هذا المجال، واقترح فكرة "الجامعة الإسلامية" كمخرج لضمان مواجهة الآخر المتطوّر، وقال في هذا الصّدد: "شرّ أدواء الشّرق شر انقسام أهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتّحاد، واتّحادهم على الاختلاف؛ فقد اتّفقوا ألّا يتّفقوا"[4]. كما دعا الافغاني إلى تطبيق نصوص الشّريعة الاسلاميّة بحذافيرها للخروج من ظلمة الاستبداد والاستغلال إلى نور الحضارة والارتقاء. وفسّر الأفغاني هذه الرّؤية

[3] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، تر. كريم عزقول، ط03، دار النهار، بيروت، 1977م، ص 25.

[4] للتفاصيل انظر: السيد يوسف: جمال الدين الافغاني والثورة الشاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م. وكذا: قدري قلعجي: ثلاثة من اعلام الحرية: جمال الدين الافغاني، محمد عبده، سعد زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

بكون أنّ التّخلّف يعود أساسًا إلى عدم فهم النّاس لشريعتهم السّمحاء، ولعدم تطبيقها بالشّكل الصحيح على أرض الواقع: "لا أمّة بدون اخلاق، ولا اخلاق بغير عقيدة، ولا عقيدة بغير فهم". وقال مشيرًا إلى فكرة جوهرية قلّما ننتبه لها: "إنّ القرآن من أكبر الوسائل في لفت نظر الافرنج إلى حسن الاسلام؛ فهو يدعوهم بلسان حاله إليه لكنهم يرون حالة المسلمين السوأى من خلال القرآن فيقعدون عن اتّباعه والايمان به"، أي أن القرآن وحده سبب الهداية، وهو في الوقت ذاته أساس الاصلاح، والسّبيل الى نهضة الأمّة[٥].

الشيخ محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥م): رأى الامام محمد عبده أنّ السّبب الرّئيسي لمشكلة التّخلف بالعالم الاسلامي مردّه الى عدم العمل بتعاليم الدّين الاسلامي الحنيف، حيث أصبحت العبادات فارغة من محتواها الإيماني، وأكّد على ضرورة الاهتمام بالشّأن التّربوي الّذي اعتبره عماد بناء المجتمع، وبالتالي فإنّ الحلّ للخروج من دائرة التّخلّف تلك يتمثّل في العودة للأخذ بالنّصوص الدّينيّة وبمضامينها الجوهريّة، وبإرساء القيّم الاسلاميّة على أرض الواقع؛ لأنّ الشّريعة حسبه تقوّم السّلوك والأخلاق، والعلم يرتقي بالحياة البشريّة إلى الأفضل[٦].

خير الدّين التّونسي (١٨٢٢- ١٨٩٠م): دعا خير الدّين التّونسي إلى القيام بثورة تحديثيّة يكون هدفها الحصول على التّقنية اللازمة للانطلاق في أفق التطور العلمي والحضاري، وبالتالي المضي لبناء اقتصاد عصري قوي وجيد، ومن ثمّة تتحسّن أحوال النّاس، وتتحقّق العدالة الاجتماعيّة، ويتمّ القضاء على الاستبداد. والملفت أنّ خير الدّين التّونسي باعتباره كان رجل دولة

[٥] انظر: محمد عمارة: جمال الدين الافغاني المفترى عليه، دار الشروق، القاهرة، 1984م، ط01، ص 79.

[٦] فهمي جدعان: اسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث، ط01، 1979م، ص 42 وما بعدها. وانظر ايضاً: انور الجندي: العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج04، ط02، 1983م، ص ص 55- 57.

فإنّه قد حاول المضي في تطبيق نظريته تلك؛ غير أن أوضاع تونس حينها، وتغلغل النفوذ الأجنبي فيها أعاق الأمر. وتلخّصت أفكار خير الدّين التّونسي بخصوص الموضوع في نقطتين رئيسيتين هما: **أوّلًا**: ضرورة التّجديد والاجتهاد في الشّريعة الاسلاميّة بما يتلاءم وأحوال العصر وظروف المسلمين، وبما يتّفق وثوابت الشّريعة. **وثانياً**: ضرورة الاخذ بالمعارف وأسباب العمران الموجودة بأوربا؛ مع وعي الأمّة وتحملها مسؤوليّتها، ومراقبتها للحكام ومحاسبتهم. ولم يفت الوزير التونسي أن يؤكّد على أنّ التقدم الأوربي جاء عن طريق التزام العدل والعمل، حيث قال: ".. وإنّما بلغوا تلك الغايات والتّقدم في العلوم والصناعات بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي، وتسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الارض بعلم الزراعة والتجارة، وملاك ذلك كله الامن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم، وقد جرت عادة الله في بلاده ان العدل وحسن التدبير والترتيب المحفوظة من أسباب نمو الأموال والانفس والثمرات، وبضدها يقع النقض في جميع ما ذكره"[٧]. وكان خير الدين واثقاً من تحصيل ثمار الإصلاح؛ لأنّ التّخلف حسبه كما التقدم عبارة عن أدوار تتبادلها الشّعوب والأمم؛ لذلك على المسلمين فهم "قانون التّاريخ" فلا يكفي أن يلوكوا في الكتب مأساتهم منذ سقوط الاندلس؛ بل عليهم أن يميّموا وجوههم شطر أوربا لمعرفة سرّ تقدمها، وقال عن ذلك: ".. عسى أن نسترجع منه (أي الغرب) ما أخذ من أيدينا، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا إلى غير ذلك مما تشوق اليه نفس الناظر في هذا الموضوع المحتوي من الملاحظات النّقلية والعقليّة على ما نشره بطي فصوله يضوع"[٨].

[٧] خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق ودراسة. معد زيادة، ط02، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م، ص 77.

[٨] خير الدين التونسي: المصدر السابق، ص 5. وانظر: سمير ابو حمدان: خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1992م، ص 142.

الشّيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩- ١٩٤٠م): يعدّ الشّيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح في الجزائر، وهو من القلائل الّذين جمعوا بين التّوظيف النّظري للأفكار أي تطبيقها العملي في محاولة ناجحة إلى حد كبير. وقد انطلق الشيخ ابن باديس في معالجته لقضيّة التّخلف الحضاري للأمّة الإسلامية من مبدأ تكامل الأدوار بين الأجيال في تراتبية وحس بالمسؤولية، وعن طريق الوعي بالماضي الزّاهر للمسلمين ومعالجة الحاضر المؤسف واستشراف المستقبل الغامض؛ فنجده كتب ما يلي: "إنّما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله واخذ الأصول الثابتة من الماضي وأصلح شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل؛ يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضاً عما لا حاجة له به أو ما لا يتناسب وشكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته"[٩]. وقد خلص الشيخ **ابن باديس** إلى ضرورة دخول المواجهة غير المتكافئة بالتسلح بالإسلام والإرادة لإعداد جيل التغيير، ولا يتأتى ذلك حسبه الا عن طريق التربية والتعليم خاصة[١٠]. كما أنّه آمن بإمكانية نجاح مهمة التخلص من الاستعمار باعتباره العقبة الكأداء في وجه النهضة، ولذلك دعا إلى مراجعة أخطاء الماضي، وبفهم الحاضر وفق ما تقتضيه المصلحة، واحياء عنصري العلم والعمل. وأيقن ان نجاح اي مسعى للمسلمين امام الأمم الأخرى هو في وفائهم لعقيدة التوحيد[١١].

محمد البشير الابراهيمي (1889- 1965م): اهتم الشيخ محمد البشير الابراهيمي بدوره بقضية تخلف المسلمين وتقدم غيرهم، ودرس مشكلات الإنسان المسلم المعاصر، وارتبطت

[٩] نظر: محمد الامين بلغيث: الامام عبد الحميد بن باديس وازمة التخلف الحضاري في الجزائر، الموافقات، العدد 06، السنة 06، 1997م. وانظر ايضا: فادي اسماعيل: الخطاب العربي المعاصر (قراءة في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة)، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشنطن، 1981م، ص 95 وما بعدها.

[١٠] انظر لأكثر تفصيل: رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

[١١] محمد الامين بلغيث، المرجع السابق، ص 96.

منطلقاته في هذا المجال على غرار رفيقه في جمعية العلماء بالواقعيّة؛ حيث رأى في الدّعوة الى العلم رافدًا اساسيًا لتغيير الأذهان، وتخليصها من الجهل والابتداع، كما دعا للوحدة والاتّحاد، وممّا كتب في هذا الصّدد ما يلي: ".. إنّ العلم بين أهله رحم يجب ان تبل ببلالها، وغير كثير على ذويها أن يتعارفوا، وأن يتلاقوا على صلة تلك الرّحم، وان يتعاونوا على البر بها، وأن يتعاهدوها بالإشاعة بعد الإضاعة، وأن يتنازعوا امر العلم بينهم فينفوا عنه تحريف الجاهلية وانتحال المبطلين"[12]. وقد ربط الشيخ الابراهيمي قضية التخلف بإتباع تعاليم الشريعة الإسلامية، وعد الاكتفاء بتقليد الحضارة الغربية الزائفة فكتب قائلا: ".. لو سألتموني ايها الإخوان ماذا أحببت من الأمة العربية ولماذا أحببتها هذا الحب الذي بلغ درجة الافتتان وأولها جاهلي واخرها جاهلي؛ لأجبت جواباً يأكل الأجوبة كلها، ويسكت الشقاشق الهادرة، وهو انني أحببت منها ما أحب الله، وإذا كانت في اولها ضالة فقد هداها القرآن يوم عرفته، وإذا رجعت الى ضلالها القديم فسيرجع القرآن بها يوم تعرفه الى الهداية رغم انف اوروبا وتلامذتها المغرورين بها، ورغم اسواقها العامرة بكل شيء الا الهدى، وابواقها الفارغة من كل شيء الا الصدى"[13].

مالك بن نبي (١٩٠٥- ١٩٧٥م): خصص المفكر مالك بن نبي جهده الفكري لمعالجة "مشكلات الحضارة"، وانشغل طويلا بموضوع التخلف الحضاري للمسلمين مقابل تقدم غيرهم من الامم، وخلاصة ما توصل اليه هو ان الامر لا يستتب الا بتوفر عنصرين هامين هما: **اولا:** هدم التراكمات السلبية السابقة التي ادت الى الوضع المتردي للعالم الاسلامي منذ عهد ما بعد الموحدين، **وثانياً:**

[12] البشير الابراهيمي: كلمة في مجمع اللغة العربية بدمشق ألقيت ارتجالا في جوان 1953م. نقلا عن: المجلس الاعلى للغة العربية: مقتطفات من اثار الشيخ الإمام محمد البشير الابراهيمي منور الأذهان وفارس البيان، 2009م، ص 37.

[13] المجلس الاعلى للغة العربية: مقتطفات...، المرجع نفسه، ص 83.

إعادة بناء الصّرح الحضاري من جديد في دورة ثانية عن طريق استجماع ما امكن من تراث الحضارتين الاسلامية والانسانية، وكذا بتخليص الفكر من الخمول الذي اعتاد عليه المسلمين. وقرر الأستاذ ابن نبي أن الأفكار تنقسم إلى نوعين: أفكار حية ناجحة وذات فعالية وأخرى ميتة وقاتلة؛ حيث يتوجّب التمسّك بالأولى لأنّها توقظ الفكر وتبعث فيه الحيوية، ونبذ الثّانية لأنّها توقف عجلة التقدم الحضاري وتجمّد العقل، حيث كتب: "إنّ التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها، وإنما يفتح دروباً جديدة، ولا يتحقق ذلك الا بأفكار صادقة تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي، وبأفكار فعّالة لمواجهة مشكلات البناء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه"[١٤]. ورأى ان العالم الإسلامي قد جمع وكدس "الأشياء" دون أن يرتبها في بناء متماسك ونافع[١٥]. وخلص ابن نبي إلى أنّ جملة من المعوّقات الذّهنية والنّفسيّة والسّياسات العامّة للحكومات هي التي ساهمت في عدم استكمال المراحل الطبيعية للبناء الحضاري المفترض للدولة الإسلامية، وهذا ما نستوضحه في قوله: ".. إنّ القضية سواء كانت في إطار اقتصادي أو اجتماعي أو إطار سياسي تتصل بموقفنا نحن كأفراد؛ تتصل بموقفي كمواطن أمام المشكلات؛ فإنني عاجز عن صياغتها فكرياً، وإذا صحت فكرياً بصورة ما فإنني عاجز عن التصرف في الإمكانيات لحلّها، فعجزي اذًا مزدوج وليس عجزًا بسيطاً"[١٦]. وأكّد الأستاذ ابن نبي على ضرورة أن تخرج المجموعة الإسلامية من صناعة الكلام

[١٤] مالك بن نبي: مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، تر. محمد عبد العظيم، القاهرة، 1970م، ص 209.

[١٥] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 91. وقال عن ذلك: "الحضارة لا تبعث الا بالعقيدة الدينية، والفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي الا بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية؛ فالإنسان يكتشف معها أسمى معاني الاشياء التي نهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها". انظر: مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 86. وأضاف في موضع اخر قائلا: ".. فالحضارة ليست اجزاء مبعثرة ولا مظاهر خلابة بل هي جوهر ينتظم جميع اشيائها وافكارها وروحها ومظاهرها وقطب يتجه نحو الانسانية". انظر: المرجع نفسه.

[١٦] مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، المكتبة العصرية، بيروت، ص 49.

إلى صناعة الإنسان، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن العبثية إلى الغائية، ومن الجمود إلى الفاعلية، ومن السلبية إلى الايجابية، ومن إيجاد المبرر إلى خلق السبب، ومن الوهم إلى الحقيقة[١٧].

مميزات الخطاب النهضوي لمواجهة التخلف الحضاري للمسلمين:

تميز عصر النهضة الحديثة (والممتد بين القرنين 19 و20م) في العالم الإسلامي بظهور حركات وتيارات "إصلاحية" بادرت بإبداء رد فعل صريح تجاه الموجة الاستعمارية العاتية التي ابتلعت ما تبقى من تركة الرجل المريض. وأبان دعاة الإصلاح عن وعي بالخلل القائم في كل المجالات، والذي أدى الى تخلف حضاري متراكم على مدى سنوات عديدة. ومن خلال تبيان بعض الطروحات الفكرية التي عبر عنها رجال الإصلاح الذين ضمنتهم الدراسة يتضح مبدئياً تنوعهم في الأسلوب والرؤية والوسيلة والمنهج وحتى في الأولويات. ويصعب إلى حد كبير تحديد الفروق الفاصلة بينهم، ويعود ذلك بالخصوص إلى تركيزهم على الهاجس الرئيسي الذي أرّقهم وشعوبهم، والمتمثل في التخلف الحضاري للمسلمين مقابل تقدم غيرهم. ومثّل هذا الهاجس منطلقاً صلباً لأطروحات هؤلاء مع قليل من التباين إزاء تفسير العلل (الماضي) وتأويل النتائج (الحاضر) واستشراف المآل (المستقبل). وقد أظهر الفكر النهضوي الإسلامي وعيًا مبكرًا بـ"أزمة الإنسان المسلم"؛ إذ ربط التحرر السياسي بالإصلاح التربوي والأخلاقي، واعتبر التعليم أساس كل نهضة. فالأفغاني وعبده شكّلا المدرسة الإصلاحية الأولى التي جمعت بين الدين والعقل، بينما ركّز خير الدين التونسي على التحديث الإداري والاقتصادي، وأسس الشيخان ابن باديس والإبراهيمي على إصلاح الإنسان من

[١٧] للتفصيل أكثر انظر: مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي، دار الفكر، دمشق، 1983م، ص 73.

خلال التعليم الديني والاجتماعي. أما الأستاذ مالك بن نبي فأسّس مدرسة فكرية متكاملة حول "مشكلات الحضارة" ومفاهيم القابلية للاستعمار وفعالية الأفكار.

إنّ غياب المشروع الجماعي الواضح واستمرار الانقسام الفكري بين دعاة الأصالة والتغريب حال دون تطبيق تلك الرّؤى الإصلاحية عمليًا، ولكن ساهمت هذه الجهود رغم محدوديتها في تأسيس الوعي النقدي، وفي تحويل النقاش من التبرير إلى التحليل العلمي لأسباب الانحطاط، وهو ما مهّد للمدارس الفكرية الحديثة في العالم العربي والإسلامي. ويبقى سؤال التخلّف الحضاري هاجسًا مستمرًا في الفكر الإسلامي المعاصر، تتجدد حوله المقاربات باختلاف الأزمنة والسياقات. فالفكر النهضوي لم يكن مجرد ردّ فعل على الاستعمار، بل كان مشروعًا للبحث عن الذات الحضارية في مواجهة الحداثة الغربية وهيمنتها. كما أنّ قراءة هذا التراث الإصلاحي لا تقتصر على التمجيد أو التكرار، بل تفرض علينا إعادة استيعاب منهج الإصلاح في ضوء التّحوّلات الراهنة، بل من الضروري التوجه لإعادة إحياء التّفكير النّقدي وتحرير العقل من ثنائية النّقل والتّقليد، وربط التّعليم بالإنتاج والعمل بدل الاكتفاء بالتلقين اللفظي، والعمل على بناء وعي حضاري جديد يوازن بين الأصالة والانفتاح، ويجعل من الإنسان محور التنمية وغايتها، وأخيرًا، وجب استثمار هذا الرصيد الفكري في صياغة مشروع حضاري معاصر يستلهم قيم الإصلاح الأولى، ويترجمها إلى أفعال في واقع الأمة اليوم.

الخاتمـة:

في الختام يمكننا القول أنّ موضوع التخلف الحضاري في العالم الإسلامي ظل عبر فترة ماضية من الزمن ومازال يتيح المجال للنقاش والجدل والمحاولة بين المفكرين والمصلحين والمثقفين وحتى في

الأوساط العامة؛ نظرًا لما يكتسيه من أهمية مباشرة على صعيد الحياة اليومية للمسلمين. لكن على الرغم من الجهود الكثيرة للتأصيل لأزمة التخلف الحضاري من حيث الأسباب والمظاهر والنتائج إلا أنها ظلت في جوهرها محاولات "مبتورة" لم تحدث التغيير الكلي المطلوب، ونجحت فقط في تخطي جزء من العقدة الملازمة للفكر المشرقي إزاء الغرب، وأسهمت بشكل آخر في إحداث الوعي بضرورة كسر هذا الواقع الرديء لحال الأمة الإسلامية. وحاول البحث أن يبرز جانبا من إشكالية التخلّف الحضاري ارتبط تاريخيًا بعصر النهضة، وتبلور نتيجة إدراك عميق للفجوة القائمة بين العالم الإسلامي والغرب الصناعي الحديث. وتبيّن أن العوامل التي أدّت إلى هذا الوضع تراوحت بين الاستعمار الخارجي، والفساد الداخلي، والتباعد بين المادة والفكر، وانشغال النخب ببعض "المظاهر" الحضارية بدل التركيز على جوهر المعرفة والإبداع. وأظهرت القراءة التحليلية لأفكار روّاد الإصلاح تباينًا بين من دعا إلى التمسك بالموروث الإسلامي وتنقيته من شوائب الجمود، ومن رأى في الأخذ بأسباب التقدم الغربي سبيلًا لتجاوز التخلّف. ومع ذلك، يجمع هؤلاء على أن النهضة الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا بربط الدين بالعلم، وبإصلاح التربية، وتحقيق العدالة، وتفعيل قيم العمل والإنتاج. كما يُظهر البحث أن الخطاب النهضوي لم يكن متجانسًا من حيث المنهج والوسيلة، لكنه اتّحد في هاجسٍ مشترك هو كسر دائرة التخلّف وبعث روح الوعي الحضاري في الأمة. فالتخلّف الحضاري ظاهرة تاريخية مركّبة، لا يمكن ردّها إلى سبب واحد، بل هي نتاج تفاعل عوامل داخلية (الاستبداد، غياب الاجتهاد، الخمول الفكري) وخارجية (الاستعمار، التبعية الاقتصادية، الغزو الثقافي).

المراجع والمصادر

- ✓ أنور عبد المالك: الفكر العربي في عصر النهضة، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٨م
- ✓ جمال الدين الافغاني والثورة الشاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ✓ قدري قلعجي: ثلاثة من اعلام الحرية: جمال الدين الافغاني، محمد عبده، سعد زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ✓ محمد عمارة: جمال الدين الافغاني المفترى عليه، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٤م
- ✓ هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب، ط02، دار النهار للنشر، بيروت، 1978م
- ✓ لبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، تر. كريم عزقول، ط٠٣، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧م
- ✓ سمير ابو حمدان: خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، بيروت، ١٩٩٢م
- ✓ محمد الامين بلغيث: الامام عبد الحميد بن باديس وازمة التخلف الحضاري في الجزائر١٩٩٧م.
- ✓ فادي اسماعيل: الخطاب العربي المعاصر (قراءة في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة)، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشنطن، ١٩٨١م
- ✓ فهمي جدعان: اسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث، ط01، 1979م،
- ✓ انور الجندي: العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج04، ط02، 1983م،
- ✓ خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق ودراسة. معد زيادة، ط٠٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م
- ✓ مالك بن نبي: مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، تر. محمد عبد العظيم، القاهرة، ١٩٧٠م

- ✓ رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ✓ البشير الابراهيمي: كلمة في مجمع اللغة العربية بدمشق ألقيت ارتجالا في جوان 1953م
- ✓ مقتطفات من اثار الشيخ الإمام محمد البشير الابراهيمي منور الأذهان وفارس البيان، 2009م، ص 37.
- ✓ مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، المكتبة العصرية، بيروت
- ✓ مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م

الابداع القصصي عند يوسف إدريس:
دراسة نقدية وتحليلية

د/ بشير بولاكال
الأستاذ المشارك، الكلية الحكومية، كالباتا، ويناد

الملخص

يوسف إدريس هو من الروائيين المرموقين الذين تطرقوا إلي القضايا الاجتماعية، والسياسية، والفكرية. إنّه يفكّر تفكيراً عميقاً في الهيكل العام للقصة. واختار أسلوب التصوير، واستخدم الصور الاستطرادية. كما استخدم اللغة الفصحي مختلطاً بالعامية، هذه اللغة تسهم في خلق أدب جيد رفيع. وخلق ثورة أسلوبية في القصة. من ملامح هذا الأسلوب الجديد، تكرار الفعل في الجمل القصيرة وتركيب الجملة التي تنتهي بالفعل وهو تركيب غير تقليدي. ويستخدم بشكل متزايد التناقض والسخرية وسيلةً لإبراز اللامعقولية. كان مسلّحاً بموهبة كبيرة علي القص التلقائي وبمعرفة كثيرة بتيارات الثقافة المصرية.

أما موضوعات قصصه تدور حول قضايا ومشكلات المجتمع المصري المعاصر في الريف، أو في المدينة ومن خلال اختلاطه بالمرضي في مختلف الوزارات ومن خلال عمله في عدّة مستشفيات، يعرف مشكلات الجسد ومشكلات الحياة وتعقيداتها حيث أنه هو دكتور يعالج الأمراض. هذه الأشياء كانت منطلقاً لعدة موضوعات في قصصه. يمزج بين الكتابة الفنية والصحفية كي يقصّ مادته من هذا النسيج اللغوي بالصدق والحيوية. وممّا يستلفت النظر في دراسة آثار يوسف

إدريس وحياته، أنّه يخوض في موضوعات إنسانية واجتماعية، كالحب والجنس. والتي يعتبر هامّاً وأساسيّاً في كل مجتمع، ويهتمّ بمشكلات الاجتماع كطبيب اجتماعي، ويحرص لاستخلاص الإنسان من هذه المشكلات، ويأتي بحلول عملية.

المقدمة

فمن المعروف أن يوسف إدريس يعتبر من كتّاب القصة المصريين الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية بين طبقة الشباب. كانت له مسيرة طويلة في القصة والرواية. نالت قصصه، ورواياته، ومسرحياته استحسانا كثيرا من قبل القرّاء. وناقش فيها الكثير من القضايا الاجتماعية ، والسياسية، والفكرية. وهو روائي بلغ الذروة في تفكيره ورغم ذلك لاقي انتقاد الكثير من النقاد والقرّاء في فكره. منذ الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين بدأت أعمال يوسف إدريس تلقي رواجاً بين القرّاء، كما وجدت طريقها إلي السينماء حتي أصبح اسمه في بعض الفترات أحد عوامل رواج تلك الأفلام.

كما يعتبر هو كاتبا يقدّم فنّاً ذكيّاً، ويخلق إبداعاً غير عادي في القصة القصيرة."يعشق الحياة في الأدب ويعشق الأدب تعبيراً عن مواقف الحياة " نشر يوسف إدريس حتي الآن حوالي أربع عشرة مجموعة قصصية"[18].

حياة يوسف إدريس

يوسف إدريس كاتب مصري نالت أعماله شهرة واسعة بين جمهور المثقّفين والدارسين، عرباً كان أو غير عرب[19]. تخرّج من كلية الطب ممارساً عاماً، وسبق اسمه لذلك لقب الدكتور، وكان لهذا اللقب

[18] الورقي ، 1990م ص 8

في ذلك الحين هيلماناً ورنيناً، وعمل لفترة مفتّشاً للصحّة، لكن أقداره كانت تجذبه ناحية أخري، كان هناك شيء أكبر منه وأعظم يشدّه ويلحّ عليه، ويملك عليه زمام روحه وقلبه، ويصرفه عن مهنة الطب التي قضي في الجامعة سنوات طوال يتعلّمها ويعدّ نفسه لممارستها معالجاً لآلام البشر، لقد كانت موهبة يوسف إدريس في القصة القصيرة أكبر بكثير من تعلّقه بمهنة الطب، فطفق يلاحظ الحياة الشعبية المصرية في الريف والحضر ملاحظة دقيقة، وبدا له الإنسان الصغير، سواء كان فلّاحاً بسيطاً أو طفلة فقيرة تعمل خادمة في بيت من البيوت كنزاً من المشاعر والأحاسيس يكشف عن سرّ من أسرار الحياة!.[20]

أسلوب يوسف إدريس الأدبي

التاريخ الحقيقي ليوسف إدريس كاتباً للقصة القصيرة يبدأ سنة 1953 م. لعلّ بعض البدايات سبقت ذلك ولكنّه في هذه السنة بالذات أخذ يكتب كتابة متّصلة ذات طابع وأسلوب. كان في أواسط العقد الثالث من عمره وكان يكتب ككاتب تامّ النضج، وكانت قصصه تبهر لا بجدّة الرؤيا فيها فحسب، بل بأنّها كتبت فيما يبدو بلا أقلّ عناء، وكأنّ كاتبها نشأ بين أسرة عجيبة من كتّاب القصة القصيرة وتعلّم منهم كيف يقصّ في نفس الوقت الذي تعلّم فيه نطق الحروف. الحقيقة أنّ يوسف إدريس كان يبذل جهداً شديداً في كتابة قصصه، وكان يفكّر تفكيراً عميقاً لا في الهيكل العام للقصة فحسب، بل في الجملة والكلمة، ولكنّه عرف شيئين لايعرفهما الكتّاب عادةً إلّا بعد كثير من التجارب المرّة: أن يصرّ علي أداء رؤياه الخاصة إلي القارئ فلايسمح للأصوات الدخيلة بتشويشها

[19] فاروق عبد المعطي ، 1994م – ص، 61
[20] المصدر نفسه 29 – 30

أثناء عملية الكتابة، وأن يجعل الألفاظ هي المرحلة النهائية في عملية الأداء، هي الرموز الدقيقة التي منها يعيد القارئ تركيب الرسالة.[21]

ويوضح لنا أنه قد اختار أسلوب التصوير، ولعلّ وقوفه في المشرحة واحتكاكه بالمرض، علّمه أن يسيطر علي حساسيته فجاءت صوره موضوعية لم تهوشها الانفعالات ولعلّ أيديولوجية متفائلة مسيطرة عليه آنذاك كانت تجعله لايري في شقاء الطبقات الشعبية إلّا مقدمة للخلاص، فخلت صوره من الألوان القاتمة حتي حين عالج موضوعات قاتمة كما في « المرجيحة » أو « شقلاته » أو « العنكبوت الأحمر ».[22]

إدريس من أقدر القصّاص علي (شدّ) القارئ إليه، علي جذبه، فالخيط في يده كالزّمام يتحكّم فيه قادر مسيطر. هذا الخيط، الذي كثيراً ما يفلت من أيدٍ كثيرةٍ أو يتميع، متماسك طول الوقت.. مطّرد في يد يوسف إدريس... هو بارع في إعطاء المعاني ذات الدلالات الخطيرة في عرض الحديث، وكأنّه لايعنيه إلّا الأذكياء، وحدهم.. أسلوبه أسلوب طازج.. أسلوب بريء براءة تامة من الكليشهات المحفوظة في الأدب العربي..

أما طريقته الفنية في القصة القصيرة أو رواياته فتقوم أساساً علي عرض حركي لحدوتة أو موقف وقد يبدأ من السكون ثمّ تتحرّك أحداثه شيئاً فشيئاً، فكأنّه يقف بك علي بركة آسنة سرعان ما يبعث فيها الحياة الغريبة الشائقه.. ويعمد في عرضه إلي طريقة الشخص الثالث الذي يراقب الأحداث ويرويها، أو قد يعمد إلي الاعتراف بلسان المتكلّم فتري أحداث القصة في صور متتابعة كالذكر والخواطر، وقد تكون القصة رجعة للماضي دون تمهيد،.. ربّما كان ذلك مطلوباً في القصة

[21] المصدر نفسه : ص ، 47

[22] فاروق عبد المعطي ، 1994م – ص، 68

القصيرة، وغير مستحبّ في الرواية. يقول والسلطان هذا وليّ من أولياء «... لم تكن علاقتي بالسلطان تتعدّي مجرد نظرة » : مثلاً اللّهّ الصالحين.. وتعلم من تسلسل القصة أنّها تدور حوله. أو يقول مثلاً في "المحطّة:" في المحطّة الأولي صعد شاب واحد من شبّان هذه الأيام.. القميص نص كم أو مفتوح« .. أو قد يقدم بملخص لموضوعه ليمهّد به في القصة الشرح والتفضيل «. وتمضي القصة ثمّ تفصل «... في صباح كهذا مات عمّ محمد » ؛« شيخوخة بدون جنون » : كقوله في قصة القصة بعدئذ بيان شخصية عمّ "محمد" هذا الذي مات. قد يبدأ القصة وكأنّه يبادلك الحديث أو يرد عليك وأنت الطرف الثاني في حوار. يقول في قصة "تحويد العروسة ": "كون الشراقوة بلدياتي كرماء مسألة لا نقض فيها ولا إبرام".[23]

وكما يرسم الإطار الخارجي لقصته، لكنّه لايحدّد خطاه بذلك الإطار المادّي بل يهتمّ بإيحاءاته وما يخفيه، ويستخدم الصور الاستطرادية، فينتقل من الواقع إلي الخيال، ويرتفع من دقائق التفصيل في الصورة إلي ظلالها الجانبية التي تلقي علي الموقف كلّه كثيراً من المشاعر والأحاسيس. ففي وقفة المقاتل بعد الجريمة في الغريب يقول: " وإذا كنت قد روعت مرة لما حدث للشاب ليلتها فإن روعي كان أكبر للدقائق ...» :

في "قصة حب" حين تبكي "فوزية" يصف احمرار عينيها بأنّه الشفق، ويخرج من شفق العينين بالبكاء إلي شفق الغروب الذي يلقي بأشعّته الحمراء من خلال النافذة داخل الحجرة فتمتزج الصورتان، ويلتئم المعنيان فيهما. يقول: "انبثقت في صدره لوعة عذاب حادّة حين رأي عينيها الباكيتين، ورأي كان شمس يوم حزين تغرب فيهما وقد تحول البياض الناصع إلي شفق وتوهّجها

[23] محمد زغلول سلام، لاتا – ص، 345-344

العسلية المُذهبة بأشعّة الغروب كما تتوهّج سنابل القمح حين يغيب وراءها القرص الأحمر". وينتقل من ذلك حتى يقول: "وكانت النافذة تصنع بروازاً سريعاً للوحة حقيقية تغرب فيها الشمس نفسها غير البيوت البعيدة والمزارع التي لاتنتهي، وجو الغروب يشحن بمقدّمات التغيير العظيم الذي سيطرأ علي السكون بعد ذهاب الشمس... وكانت شعاعات صفراء وحمراء قد اخترقت النافذة وبرزت من اللوحة وأضاءت الحجرة، وأحسّ "حمزة" أنّ قلبه يذوب في إحساسات رقاق.[24]

لإضافة الواقعية علي أسلوب القصص عنده لجأ "يوسف إدريس" إلي اللغة المزدوجة أو التعدّدية اللغوية، حيث يستخدم الفصحي في لغة السرد (الحوار غير المباشر) والعامية كنت أحاول اكتشاف أسلوب» : في المشاهد (الحوار الحر المباشر) وأحياناً يراوح بينهما مصري، له رائحة الأرض والطين.. كنت أحاول الوصول إلي طريقة الراوي المصري"[25]. في العدد الثاني من مجلة فصول 1982 م، الذي كان يدور حول "الرواية وفن القصص" يقول يوسف إدريس إنّ اللغة عنده هي لغة العقل الحكاء للقصة": هذا موضوع نقاش خطير دخلت فيه مع طه حسين، لأنّه كان يري ضرورة أن أكتب بالفصحي. وقلت له إنّ افتعال اللغة، أو كوني أسيطر علي اللغة سيطرة عقلية؛ سوف يؤدّي - من ثمّ - إلي سيطرتي علي الأفكار التي هذا يتوافر لمن تكون «. تخرج من داخلي سيطرة عقلية وعندئذٍ فإنّي أختلق ولاأخلق ماهو إلّا أن يدير آلتها ويوجّه دفتها بخبرة مكتسبة عنده » : الكتابة عنده بمثابة عمل آلي وليس يوسف إدريس ممّن يرضي لنفسه هذا «. حتي تأخذ مجراها الطبيعي

[24] المصدر نفسه: ص، 366

[25] نوال السيد محمد زين الدين، لاتا - 76

والتلقائي إنشاء يحتشد » : النوع من الكتابة. فهو يكتب ببدنه ولا بقلمه حيث تصبح الكتابة عنده له البدن بكل طاقته".[26]

منهج يوسف إدريس الأدبي

وكل باحث أدبي يعرف أنه قدّم في قصصه عالماً متكاملاً للحياة المصرية من خلال تحويل الواقع العادي إلي واقع محلّل بتشكيل خامة هذا الواقع والربط بين عناصره المبعثرة علي نحو يجعل النظرة إلي الواقع أبعد عن حالة الإدراك الفوري، خاصة فيما تعكسه من ارتباط نظرة الكاتب إلي مجتمعه بهموم وقضايا هذا المجتمع، وعرض ذلك في بساطة تخفي فهماً ووعياً عميقاً لكل من الفرد والمجتمع. عاصر يوسف إدريس وعايش فترة التحوّلات السياسية والوطنية والاجتماعية في مصر منذ الخمسينيات، وشاهد تبلور الطبقه الشعبية وبروزها عنصراً فعّالاً مؤثّراً في الحياة الاجتماعية والسياسية وعكست أعماله هذا التبلور.. لقد قدّم يوسف إدريس في قصصه القصيرة مفهوماً واضحاً للواقعية عنده، منذ أول مجموعة نشرها، وتابع تأكيد وتعميق هذا المفهوم خلال مجموعاته التي توالت بعد ذلك.[27]

قد صدق شكري عياد في ملاحظة ذكية له عن يوسف إدريس عندما قال: "إن موقف يوسف إدريس لم يكن في يوم من الأيام موقفاً أيدلوجياً محدّداً. لقد كان يوسف إدريس ولايزال - فنّاناً - والفرق بين الفنّان والأيدلوجي أنّ الفنّان يري الواقع من زوايا متعدّدة، وأحياناً متعارضة. بل إنّ التعارض في الرؤية كلّما كان حادّاً كان الفن أعظم، أمّا الأيدلوجي فلايري الواقع إلّا من زاوية واحدة، ورؤية الأيدلوجي تكلّفه كثيراً عند التطبيق، تكلّفه نوعاً من عدم الأمانة، يسمّونه - علي

[26] المصدر نفسه: ص - 76
[27] الورقي، 1990م، ص – 15-14

سبيل التحسين - بالبرجماتيه أو السياسية العملية. فإمّا أن يتنازل عن جزء من النظرية وإمّا أن يتعامي عن جزء من الواقع. أمّا الفنّان الذي يعيش الفكرة ونقيضها فمشكلته مختلفة، مشكلته أن يعبر عن الفكرتين المتناقضتين في وقت واحد، ولايمكن أن تعبر عنها إلّا باستخدام شكل من أشكال الفن. فالشكل المتقن أمانة الفنان، والويل له إذا ضعفت سيطرته علي الشكل لأنّه يتحوّل إلي منافق، بمقداراً ما يفقد من هذه السيطرة".[28]

من الممكن أن يكون الامتياز عند يوسف إدريس الأساسي، هو قدرته الخاصّة التي ابتعدت به عن ذلك العيب الخطير في الأدب الواقعي، بل العيب الخطير في تشويه معني الواقعية. علي أنّه - مع ذلك - لم ينج من الإطار العام الذي حدّده النقاد من جهة، والذي أوحت به تطوّرات المجتمع في شقيها الاجتماعي والفكري.. فقد بدأت الطبقات الشعبية تعتلي منبر الأحداث، ثمّ رافقتها الفلسفات المؤيدة لهذا الاعتلاء، المدعمة له في كافّة مجالات المعرفة. وكان الأدب هو المجال الأول. في مجال الأدب برز يوسف إدريس وقتئذ، كأديب واقعي ممتاز ذلك أنّه - بفهم عميق لفن القصة القصيرة - أنقذ الاتجاه من الاتهام الذي وجه إليه من الاتّجاهات التقليدية الأخري: وهو تغليب الجانب السياسي، علي بقية الجوانب الفنية في العمل الأدبي. وظلّ يوسف إدريس منقذاً أمداً طويلاً... إلي أن أصبح تفرّده بالامتياز الفني دون بقية الأدباء الواقعيين ظاهرة مرضية، أوقعت الحركة النقدية المصاحبة للاتجاه في مأزق حرج".[29]

قدّم يوسف إدريس في مجموعاته القصصية تجارب عديدة متنوعة، تلمس فيها أعماق البنية التحتية للمجتمع المصري في القرية والمدينة وذلك من خلال رؤية واقعية متمايزة وذات طابع

[28] المصدر نفسه: ص - 17
[29] عبد المعطي، 1994، ص 133

خاص ربّما كان أقرب تعريف لها أنّها واقعية إنسانية تعرّفت علي الصور المتعددة للواقعية من نقدية ورمزية وتحليلية وغيرها. قد مرّت هذه الواقعية عند يوسف إدريس بمراحل استتبعتها طبيعة التجربة في كل مرحلة. فقد بدأت الرؤية الواقعية من إنتاج الكاتب مختلطة ببعض المشاعر والأفكار الرومانسية، ومن ثمّ كانت الواقعية الرومانسية السمة التي سيطرت علي قصص المرحلة التي نشر فيها الكاتب مجموعات "أرخص ليالي"، "أليس كذلك"، "جمهورية فرحات" و"البطل[30]."

ومن الحقيقة، عندما تبلورت تجربة الكاتب وازداد وعيه بحركة الواقع والمجتمع، كانت الرؤية أقرب إلي الواقعية النقدية في سعيها إلي الكشف عن الجوانب السلبية في حركة الواقع الاجتماعي، ومن ثمّ سيحاول الكاتب في هذه المرحلة أن يضع عدة قواعد تنظيرية لإقامة مجتمع إنساني يقوم علي المشاركة التي تؤمن باستقلال الفرد. وقد قادته الرؤية النقدية هنا إلي محاولة تعمّق الداخل لدي الفرد استظهاراً لفاعلياته وقدراته علي العطاء، فتوصل إلي السرّ الكامن في لغة الداخل والأعماق في مرحلة إنسانية قامت علي تقديم رؤية مركبة للواقع تقوم علي الإحساس المشترك بالمسؤلية وتحتفي بالتعاطف والمشاركة في علاقة الفرد بالفرد وفي علاقة الفرد بالجماعة[31].

لقد كانت الفرصة هنا مهيأة لتجريب استخدام الرمز خاصة وأنّ الكاتب قد انشغل بتقديم عالم الداخل، وهو عالم يحتلّ الرمز فيه مكانة ملحوظة. إذا كانت المرحلة الإنسانية والمرحلة الرمزيه لم تستمرا كثيراً في رحلة إبداع الكاتب، فقد عاد مرّة أخري إلي الواقعية النقدية ليقدّم من

[30] الورقي، 1995م، ص-18
[31] المصدر نفسه: ص - 18

خلالها تصوّراً لمفهوم مصري للقصة القصيرة. هكذا مرّت الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس بمراحل متطوّرة كانت في كل مرحلة ذات سمات معينه ومفهوم خاص علي النحو التالي:

١. المرحلة الواقعية الرومانسية.
٢. المرحلة الواقعية النقدية الأولي
٣. المرحلة الواقعية الإنسانية
٤. المرحلة الواقعية الرمزية.
٥. المرحلة النقدية الثانية (نحو واقعية مصرية).

تنطلق كل مرحلة من هذه المراحل من أرضية واقعية، ولكنّها تضيف إلي الواقعية المذاق المرحلي الخاص بالكاتب في كل مرحلة إبداعية.[32]

المجموعة القصصية: أرخص ليالي

بدأ يوسف إدريس رحلته الإبداعية مع القصة القصيرة مع بداية الخمسينيات عندما أصدر مجموعته القصصية الأولي "أرخص ليالي" 1953 م، كاشفاً عن كاتب واعٍ وواعد لما طرحته هذه المجموعة من مضامين إنسانية واقعية في رؤية شمولية توافر لها رهافة الحس وشاعرية الوصف والتناول وقدمت المجموعة كاتباً فريداً في تاريخ القصة القصيرة العربية، كاتباً يمتلك خاصية القصّ بفطرية وتلقائية، تقول أعماله إنّه ولد ليكون كاتب قصة وإنّه يتحدّث إذ يتحدث صياغة قصصية. توالت الأعمال بعد ذلك لتقدم تنوّعاً غزيراً في إبداع الكاتب ما بين القصة

[32] المصدر نفسه: ص – 18،19

القصيرة والرواية والمسرحية.[33] كانت مجموعة "أرخص ليالي" 1953 م هي المجموعة القصصية الأولي للكاتب، والتي بدأ منها طرح رؤيته الواقعية محاولاً تقديم مذهبه الجديد في قصص ذات لون محلي مميز يدرس الحياة والعادات من خلال الملاحظة الدقيقة ويقدّمها بطريقة توخّي فيها الموضوعية قدر الإمكان[34].

فالقصة في هذه المجموعة التي ضمّها كتاب "أرخص ليالي" لاتحتوي علي "حكاية" أو "حدوتة" محبوكة الأطراف يجري القاريء وراء أحداثها مشوّقاً لأن يعرف نهايتها.. ولا هي فاجعة تصوّر أحداثاً جساماً كالقتل أو الخيانة ولاتحتوي علي مفاجآت غير متوقّعة أو أحداثا يصعب أن نجدها في الحياة اليومية التي تسير في العادة سيراً رتيباً هادئاً دون أحداث هامّة تذكر سوي الموت أو الميلاد.. كلّ هذا غير موجود في قصص هذه المجموعة وما تلاها بعد ذلك من قصص مجموعات أخري ليوسف إدريس مثل "أليس كذلك" وغيرها[35]...

إنّما القصة عند يوسف إدريس والتي بدأت ملامحها تتّضح بقوّة في "أرخص ليالي" هي لوحة رسمها رسّام ماهر بضربات فرشاة قادرة... لاتسرد حكاية من الحياة.. وإنّما - إذا جاز القول – "تعادل" الحياة. هي شريحة من الواقع.. لكنّها لاتصوّر هذا الواقع بحذافيره وإنّما تعطينا ملخّصاً شديد التركيز للواقع في معادلة جديدة تماماً تجعلنا ننفذ مباشرة إلي قلب الواقع أو جوهره.. فندرك سرّه المكنون.. أو جوهر الوجود الإنساني وراء تلك القشرة الخارجية التي نمارسها كل يوم في حياتنا اليومية.

[33] الورقي، 1995م، ص 15-14
[34] المصدر نفسه: ص - 23
[35] عبد المعطي ، 1994م، ص-30

عوامل الإبداع عند يوسف إدريس

يبحث وسف إدريس دائماً عن رؤية جديدة. رؤية تأخذ شكل القانون العام الذي يستقي معطياته من الواقع الخارجي كما أحسّه، بالفلسفة الداخلية.. وبالرغبة في الخروج للناس بحلول جديدة لمشاكل قديمة...

إبداع يوسف إدريس يتّسم منذ سنواته الأولي بالجرأة والشجاعة واقتحام المحظورات كانت لغته لغة » - كما يقول صلاح فضل، وذلك علي المستويين الإبداعي واللغوي كان ؛«. الحياة اليومية، في مقابل لغة طه حسين الرصينة الملتزمة بقواعد اللغة العربية يوسف إدريس يمتلك وهجاً خاصاً وواتته مهنة الطب بقدرة إبداعية فائقة، وقد أعطته الدراسة الطبية منهجاً علمياً؛ ومن خلال اختلاطه بالمرضي في مختلف الوزارات، ومن خلال عمله في عدة مستشفيات، تعرف مشكلات الجسد ومشكلات الحياة والروتين وتعقيداته؛ وهذه أشياء كانت محاور لعدّة موضوعات في العملية الإبداعية لديه؛ لذا فقد نجح يوسف إدريس في التعبير عن بسطاء الناس وصغار الفلّاحين، وتناول الإنسان العادي بتنويعاته المختلفة شاباً، شيخاً، فتاةً، امرأةً، فقد أفسح للإنسان العادي مكانا في خياله وصوره وأوراقه، فعبّر عن الحياة المصرية الصرف.[36]

يكتب يوسف إدريس بوهج الرغبة أن يبرأ المجتمع والناس من العيب، ممثّلا في الأمراض الاجتماعية التي تنخر في عظام المجتمع وتفت في عضده وتسير في أوصاله مسري السوس في الخشب الجيد فتئد الأمل في النفوس وتفقدها الرغبة في العمل الجادّ: إنّ الذي تنهض به الأمم وتزدهر، وبه تشكل كيانها وتنقش مكانها في جسد الكون" إن المسألة أكبر من أن تكون مسألة

[36] المصدر نفسه: ص - 207

ألفاظ. إنّنا أمام كاتب فنّان يرسم صوراً للمجتمع الذي يعيش فيه.. صوراً تحمل معني الدعوة إلي الإصلاح دون أن تلقي خطبة منبرية: كاتب وهذا الخلق والإبداع هو ،«. يكتب في ثقة.. ثقة كبيرة تسهم في عمليات خلق كبيرة الذي نبع في نفس يوسف إدريس من إيمان عميق راسخ برسالة الأدب ودور الفن في النهوض بالمجتمع، والارتقاء بالإنسان أينما حلّ وأينما كان[37].

يوسف إدريس، صانع الأشكال وخالق الإشكاليات، كثير الضجيج حتّي بعد انسحابه المثير من دائرة الفعل، وركونه الدائب في منطقة المفعولية فكتابته تظلّ جزءاً حميماً من ذاكرة الإبداع العربي، والإنسان المصري في فنون القص والقول، تقاس به وعليه أحجام ومستويات نظرائه ومنافسيه، لايمكن سقوطه في بؤرة النسيان، لأنّه أسهم في تكوين المخيلة والضمير، واتّسم بخاصية جوهرية هي إيثاره للصدق مهما كان فادحاً، لمكاشفة القارئ بدخيلة نفسه أياً كان الثمن، فاستحقّ لقب الصديق في المراحل الحرجة من منعطفات السياسية والفكرة والحياة.

يقول عبدالرحمان أبوعوف إنّ يوسف إدريس كاتب غير مصنوع، فهو طاقة إبداعية متميزة تجلّتْ قدرتها الإبداعية في: "إضفاء شكل من التميز في السرد والبناء التشكيلي للموضوع المصري الإنساني الصميم" :غير أنّ محاولاته في الرواية تحتاج إلي وقفة؛ فقبضته في إحكام البناء تهتزّ وذلك في رواية "البيضاء" و"السيدة فينا"، و"رجال وثيران"، و"نيويورك 80 "، ورأي أنّ السبب في ذلك يعود إلي شيئين اثنين: أوّلهما: "والأمر يستلزم دراسة واعية منهجية » اعتماد يوسف إدريس علي الموهبة وحدها "ردّاً والآخر: اتّجاه يوسف إدريس إلي كتابة المقال « لاتّجاهات الأدب والقصة

[37] المصدر نفسه: ص – 207-208

بالذات علي أزمة الحرية في البلاد وانعكاسها علي جوانب الحياة المصرية وصميم مكوّنات الشخصية المصرية". فكفّ بذلك عن كتابة القصة وتحول إلي كتابة المقال القصصي.[38]

هناك مئات من كتّاب المقالات لايملكون موهبته الإبداعية ولانخسر شيئاً إذا كفّوا حتّي عن الكتابة ذاتها. أمّا يوسف إدريس خالق الأشكال الفنية الخالدة، فمن العبثةأن يتعجّل بصبّ أفكاره في قوالب مباشرة وأن تغريه عفوية المقال وفاعليته السريعة وتصرّفه عن الاختمار الناضج والتربية المطوّلة والأليمة لتكويناته الفنية المركبة. لكن يبدو أنّ ضرورات الممارسة العملية للكتّاب فرضت عليه أن يمزج بين التيارين. حتي يمكن أن يعتبر أحدها بمثابة تعويض عن الآخر وبديل له. لعلّ صدقه البالغ هو المسؤول عن هذا المزج، إذ لم يستطع يوسف إدريس أن يكتب المقال بطريقة "وظيفية" كما يفعل نجيب محفوظ مثلاً، وأن يحمي هذه المنطقة المتوهّجة في داخلة من الاختلاط بالفعل الاجتماعي الصحفي المباشر. لأنّ بنية المؤسسة الاجتماعية العربية شديدة الصلابة والتحجّر، وممارسات الكذب المتجمل والنفاق المريح هي القانون الغالب في التعامل معها، فإنّ اللغة المنبثقة عنها مفعمة بالعبارات المسكوكة الجاهزة لتغطية اللحظات الحيوية، ومن هنا فإنّ مسؤولية كبار المبدعين العرب كانت - ولازالت - تتمثّل في كسر هذه القشرة، وتحرير اللغة من عادتها اليومية، ونفث الدم الساخن في شرايينها[39].

فإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة العلاقة المعقّدة بين السلطة والفكر في المجتمعات الشمولية التي تحتكر فيها أجهزة الإعلام قنوات التواصل مع الرأي العام لصالح السلطة، وتجنح إلي طبع الفكر بطابع التبعية، أدركنا حجم المحنة التي كان يتعرّض يوسف إدريس في معاركه الثقافية

[38] زين الدين، لاتا ص-325
[39] عبد المعطي ، 1995م، ص-19-18

والتنويرية، وأدركنا أنّ خياره في الكتابة لم يكن إلي الأسهل، بقدر ما كان نحو الأشق والأكثر التزاماً تجاه مجتمعه وأمته. بهذا يتعادل شقّ الإبداع في الكتابة الفنية مع شق الشجاعة في الكتابة الصحفية في جناحين يعودان في منبتهما إلي هذه الخاصية الأثيرة والمثيرة عند يوسف إدريس وهي أنّه كان صديقاً في تعامله مع الكلمة والحياة[40].

عمل يوسف إدريس في دواوين الحكومة والمستشفيات ومختلف الوزارات، (عمل في وزارة الصحّة والثقافة زمناً طويلاً) ولولا عمله ذاك لما عرف ذلك الطاغوت الهائل هذه الآلة » المسمّي بالحكومة؛ فقد أخذ يتأمّله من داخله.. وأتاح له عمله ذاك أن يتعرّف الجهنمية المسمّاة بالروتين، وهي ببطء سلحفائي أميري شديد، تعمل وتلتهم وتهضم، حتّي الثورات تهضمها، كيف كان باستطاعتي أن أحظي بهذا كله وهي أشياء لاتجدها عد ذلك كلّه مصدراً للمعرفة (ظهرت «. في كتاب، ولايمكن أن تخطر علي ذهن بشر لايستطيع » ثمرتها في عدة أعمال إبداعية) تلك المعرفة التي رأي من خلالها أموراً من بين دواليب العمل في الحكومة «. الجن الأحمر نفسه إدراكها إلا إذا اشترك فيها تبدو كثيرة وكأنّ لانهاية لها وكأنّ » وقف يوسف إدريس علي كثير من الأسرار التي أسفل البناء الضخم الذي أنفق الرجال عشرات السنين في إقامته، سراديب خفية حفروها وجعلوا لها أبواباً محصنة سرية لايمكن أن يفطن لها غريب، ولاتفتح إلّا علي كلمات سر مضية تقال..

كان يوسف إدريس عضواً في "الحركة الديمقراطية للتحرّر الوطني" وهي إحدي الجماعات الماركسية، وكان يرمز لها بالاسم الحركي (حدتو) ومن خلال هذه الجماعة وقف يوسف إدريس علي حقيقة الشيوعية، وتأكّد له أنّها تفقد كثيراً من مصداقيتها ومثاليتها حين يخرج بها إلي حيز التنفيذ. قد جهر برأيه ذاك (وهو ما بدا واضحاً في رواية البيضاء).. وقد أبدع يوسف إدريس من وحي تجربته في جماعة (حدتو) عدة قصص قصيرة، ومن وحيها أيضاً كانت رواية البيضاء.

[40] المصدر نفسه: ص – 20،19

عاش يوسف إدريس في القرية، وكان واحداً من أبنائها النابهين؛ إذ وضع يده علي أسرارها. وعرف خباياها، فكتب عنها كأروع ما تكون الكتابة، وذلك في: "الحرام"، "حادثة شرف"، "الشيخ شيخة "، "طبيلة من السماء"، "تحويد العروسة"، "ليلة صيف"، "العتب علي النظر"، الحادث"، "المرجيحة"، "مشوار"، "المكنة"، "في الليل".. إلخ، وجاب المدينة طولاً وعرضاً وعشقها فباحث له بسرّها فكتب: "قصة حب"، "البيضاء"، "العسكري الأسود"، "العيب"، "بيت من لحم"، "لغة الآي آي"، "النداهة"، "قاع المدينة"، "المرتبة المقعرة"، "اليد الكبيرة"، "شيخوخة بدون جنون" وغيرها.[41]

مجموعة يوسف إدريس الجديدة "العتب علي النظر" تقدّم لنا نموذجاً شيقاً وناضجاً لتكويناته القصصية المدوّرة، التي يدهشنا دائماً باكتمال تخليقها، وتماسك منظوماتها، وطرافة منافذها، وقدرتها علي تجديد وعينا بالحياة، عندما تخترقها بذكاء، وتعثر علي الإيقاع اللغوي المعادل، بل المؤدّي لعالمها الخاص، كما تتجلّي فيها إمكاناته الإبداعية في التقاط اللحظات الفائقة والكشف عن جوهرها بتركيز الضوء علي: مفاصل حركتها، ممّا يجعلها من أكثر التكوينات الفنية إشارة إلي "حالات التحوّل" في مستواها الداخلي، عندما تتوافق مع الظواهر الخارجية، وتحكم اتّجاهها. لعلّ هذه القدرة الفذّة، علي وجه التحديد، هي سرّ فن القص عند يوسف إدريس الذي ضمن له البقاء والنماء. بالرغم من إهماله، وتشتّته واستنفاد طاقته في مسارب خلفية مدمرة.[42]

النتيجة

كان كاتبنا غزير الثقافة واسع الاطلاع، حيث اطلع علي الأدب العالمي وخاصة الروسي، ولعل ممارسته لمهنة الطب مما جعل منه إنساناً شديد الحساسية شديد القرب من الناس شديد القدرة علي التعبير عنهم؛ حتى لتكاد تقول إنه يكتب من داخلهم وليس من داخل نفسه.

[41] المصدر نفسه: ص - 210

[42] عبد المعطي، 1994م، ص-102

ولم يتوقف إبداع الرجل عند حدود القصة القصيرة والتي صار عَلَماً عليها؛ حتى إنها تكاد تعرف به وترتبط باسمه، لتمتد ثورته الإبداعية لعالمي الرواية والمسرح. هناك أزمة فنية وإبداعية سيطرت علي حياة يوسف إدريس الأدبية وغلفت أعماله، حتى إنها بدت شكلاً من أشكال الانهيار الفني والفكري مر به الكاتب الكبير، وذلك في أواخر مرحلة السبعينيات وأوائل الثمانينيات إذ صمت يوسف إدريس عن الإبداع والعطاء صمتاً طويلاً مريباً... فقد كتب في أواخر السبعينيات بعض المحاولات القصصية، لايكاد القارئ يصدق أنها من إبداع يوسف إدريس، حيث جاءت القصة بعيدة عن الإشراق الباهر الذي ضجت به قصصه القصيرة السابقة... فاضطرب عالمه القصصي علي الرغم من النجاح الكبير الذي بلغه، والشأن الرفيع الذي ناله، ودليل هذا الاضطراب التداخل في عالم يوسف إدريس القصصي، بين أجناس أدبية مختلفة، كالمسرح، وكتابة المقالة، فكان ارتداده لكتابة المقالة السياسية والاجتماعية أحد جوانب الانجراف لمعالجة هذه الأزمة الحضارية والإنسانية.

المصادروالمراجع

- ✓ أحمد فؤاد، نعمات. ١٩٩٨ م. كتبتُ يوماً في الأدب، النقد، الفكر، الفن, الهيئة المصرية العامّة للكتاب.
- ✓ زين الدين، نوال السيد محمد. لاتا. روايات يوسف إدري . س دار قباء.
- ✓ سلام، محمد زغلول. لاتا. دراسات في القصة العربية الحديث . ة مصر: دار المعارف.
- ✓ عبدالمعطي، فاروق. ١٩٩٤ م. يوسف إدريس بين القصيرة والإبداع الأدب . دار الكتب العلمية. بيروت:
- ✓ عوف، عبدالرحمان. ١٩٩٤ م. يوسف إدريس وعالمه في القصة القصيرة والرواي . ة القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ✓ الورقي، السعيد. ١٩٩٠ م. مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس . الطبعة الأولى. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

أدب الأطفال في فلسطين:

التكوين الثقافي وبناء الهوية في ظل الاحتلال

و افرة حنان كي بي ، باحثة الدكتوراه كلية روضة العلوم العربية،كالكوت
د. يوسف الندوي. وي كي مشرف البحث، كلية روضة العلوم العربية،كالكوت

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أدب الأطفال في فلسطين كرافعة تربوية وثقافية تسهم في بناء وعي الطفل الفلسطيني وهويته، وسط ظروف سياسية واجتماعية بالغة التعقيد ناتجة عن الاحتلال واللجوء والصراع المستمر. يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي في دراسة أدب الأطفال الفلسطيني يقوم على تتبع تطور هذا الأدب عبر الزمن ورصد تأثير السياقات السياسية والاجتماعية على مضامينه وأساليبه.

يتناول البحث تطور أدب الأطفال الفلسطيني عبر الزمن من بداياته المبكرة، مع التركيز على الأبعاد الفكرية والفنية في النصوص التي تحاكي قضايا الوطن والانتماء والبطولة والصمود وصولا إلى تعزيز قيم الأمل والمواطنة في نفوس الأطفال. ويبحث كذلك واقع أدب الأطفال في فلسطين مع الإشارة الى وجود تحديات في النشر والتوزيع بسبب الظروف السياسية والاقتصادية ويستعرض إسهامات المؤسسات الثقافية والكتب الفلسطينيين في إثراء هذا الأدب وتطويره ليصبح أداة مقاومة ثقافية. يختتم البحث بتقديم نبذة عن أبرز الكتاب الفلسطينيين في أدب الأطفال الذين لعبوا دورا بارزا في تشكيل هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: أدب الأطفال- فلسطين- واقع -مؤسسات-مشكلات-الكُتاب الفلسطينيون

المقدمة

أدب الأطفال هو الأدب المكتوب والشفهي (قصة، ومسرح، وغناء، وإذاعة، وتلفزيون...إلخ) الموجه للأطفال في مراحل نموهم حتى نهاية مرحلة (الطفولة المتأخرة)[43]. يعد أدب الأطفال ذا أهمية كبيرة في تربية الطفل لأنه يساعد على نموه المتكامل من النواحي الثقافية والأخلاقية والروحية والاجتماعية والقومية والعقلية والجمالية، ويسهم أيضًا في بناء شخصيته. وقد بدأ أدب الطفل في أوروبا مع تطور العلوم الاجتماعية خاصة بعد كتاب جان جاك روسو "إميل" عام 1762 .وقبل ذلك جمع أدباء مثل شارل بيرو والأخوين غريم الحكايات الشعبية ونشروها كأدب للأطفال مثل "سندريلا وذات الرداء الأحمر والأميرة النائمة".

وصل هذا النوع من الأدب إلى العالم العربي عبر المثقفين الذين درسوا في أوروبا فبدأ العرب بإحياء تراثهم الأدبي والاقتباس من الأدب الغربي، وظهر الاهتمام بحكايات مثل ألف ليلة وليلة وحي بن يقظان وسيف بن ذي يزن .ويمكن القول إن أدب الطفل هو الأدب الموجّه للأطفال بشكل مقصود ويتميز بلغته السهلة وصوره الممتعة وأفكاره المناسبة لمرحلتهم العمرية.

مفهوم أدب الأطفال

[43] د.إيمان البقاعي، المقتن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعامين, دار الراتب الجامعية، لبنان

يجمع معظم الدارسين أن أدب الأطفال القائم اليوم وفق الأطر الفنية والشكلية ومراعاة الحالة الاجتماعية والنفسية وغيرها هو أدب مستحدث. وفرع جديد من فروع الأدب الرفيعة تمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار رغم أن كلا منهما يمثل أثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون[44].

ووفق هذه النظرة، فإن أدب الأطفال يمكن تعريفه بأنه: أدب الأطفال هو" الأدب الموّجه للأطفال سواء من الكبار أو من الأطفال أنفسهم ويشمل كافة الصور الأدبية من قصة وشعر وحكاية وكتب معلومات وكتب علمية وأخلاقية ومسرحية وموسوعات للطفولة ...، ويتميز أدب الأطفال عن أدب الكبار بأنّه موجه ويسير على أسس تربوية وأخلاقية دقيقة لا تخرج عن قيم وأخلاق ودين المجتمع الذي يسوده هذا الأدب، عكس إبداعات الكبار التي يطلق لها العنان في مختلف الاتجاهات"[45].

أدب الأطفال في فلسطين

ساهمت فلسطين بوصفها إحدى الدول العربية المناهضة للاستعمار والرافضة للاحتلال الصهيوني في توجيه معظم إنتاجاتها الإبداعية في مجال أدب الأطفال نحو أدب المقاومة والكفاح والتضحية من أجل تحرير الوطن من قبضة العدو الغاشم الذي استولى على الأرض منذ منتصف القرن العشرين.ويتميّز أدب الأطفال الفلسطيني بأنه أدب مواجه وصامد، يخوض صراعا متواصلا في وجه أدب الأطفال العبري الصهيوني الذي يزرع في نفوس أطفال إسرائيل مشاعر الحسد والحقد والضغينة والكراهية تجاه الطفل الفلسطيني بصورة خاصة، والطفل العربي بصورة عامة.

وقد عالجت قصة الطفل الفلسطينية لحسن يوسف يوسف ثلاثة محاور أساسية، وهي:

[44] أدب الأطفال- فن الطفولة، محمد فؤاد الحوامدة، دار الفكر- عمان 2014، ط 1

[45] محمد السيد حلاوة، مدخل أدب الأطفال، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2003م ص59-60

١- الصراع العربي- الصهيوني أو صراع الثورة ضد أعدائها الداخليين
٢- انتقاد الواقع الاجتماعي من خلال رؤية تربوية تعليمية
٣- استرجاع التاريخ العربي الإسلامي من أجل تمثل البطولة واستلهام حياة الآباء والأجداد

إن ظهور أدب الطفل الفلسطيني جاء مماثل لما يحصل في الدول العربية. فقد جاء متأخرا ومر بمراحل ثلاث: الترجمة والتعريب والتأليف. أطفال في فلسطين عاشوا في ظروف مختلفة فالطفل في الضفة والقطاع يعيش الاحتلال بقسوة وظلمه من حصار واعتقالات لأفراد العائلة وشهداء أصبحوا جزءا من حياته وأما الطفل في الشتات فهو يتربى على حنينه لوطنه.

أدب الأطفال خارج فلسطين التاريخية

ظهر أدب الأطفال الفلسطيني في الشتات منذ ستينيات القرن الماضي بعد نكبة 1948 وكان هدفه الحفاظ على الهوية الوطنية لدى الأطفال وتعريفهم بثقافتهم وتراثهم وتنمية الحلم بالعودة إلى الوطن.. من أهم مظاهر هذا الأدب دار الفتى العربي التي تأسست في بيروت سنة 1974 وأصدرت مئات الكتب للأطفال عن فلسطين والبطولة والمقاومة. شارك في إصداراتها كتّاب فلسطينيون بارزون مثل: غسان كنفاني وليانة بدر ومحمود درويش ورندا شعث .كما برزت دار النورس وغيرها من المؤسسات التي أسهمت في نشر أدب أطفال ملتزم بالقضية الفلسطينية واستمر كثير من الكتّاب في الخارج بكتابة قصص موجهة للأطفال من أجل فلسطين والتحرير ومنهم روضة الفرخ الهدهد.

أدب الأطفال داخل أراضي 48 والضفة الغربية وقطاع غزة

يعكس أدب الأطفال داخل فلسطين واقع الأطفال تحت الاحتلال ويتناول موضوعات مثل: النكبة والاحتلال والتمييز العنصري والحواجز الأمنية والفقر والبطالة مع بثّ روح الأمل في المستقبل. من رواد هذا الاتجاه كمال إسكندر قعوار ومحمود عباسي اللذان قدما كتبا للأطفال تعبر عن الفولكلور والتراث والواقع الفلسطيني. كما نشطت مجلات ودور نشر للأطفال مثل :مجلة الحياة ومجلة العصافير ودار الهدى ومكتبة كل شيء ومركز أدب الأطفال .وشهدت الضفة وغزة في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا في نشر كتب الأطفال وتنظيم الأنشطة الثقافية لهم مما أدى إلى ظهور كتّاب جدد والاهتمام المؤسسي بأدب الطفل الفلسطيني.

أهم المؤسسات في أدب الأطفال الفلسطيني

تعدّ فلسطين موطنا لعدد من المؤسسات الفاعلة في مجال أدب الأطفال ومن أبرزها مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي (رام الله) التي تأسست عام 1989 وتهدف إلى نشر ثقافة التعليم بين الأطفال من خلال القصص المترجمة والمحلية وسلسلة كتابي والقارة الصغيرة والمجلات المخصصة للطفل. كما يساهم اتحاد الكتّاب والأدباء الفلسطينيين منذ تأسيسه عام 1996 في نشر قصص للأطفال، رغم أن إنتاجه الموجه للطفل ما يزال محدودا مقارنة بإصداراته للكبار. وتأتي أهمية مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة في رام الله منذ تأسيسه عام 1997 بوصفه من أبرز دور النشر المتخصصة بقصص الأطفال إذ أصدر أعمالا لعدد كبير من الكتّاب مثل محمود شقير وإيمان الطويل. وإلى جانب دورها الصحي أصدرت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني (البيرة) قصصا موجهة للأطفال من عمر 7 إلى 13 عاما تناولت موضوعات تربوية وإنسانية. أما الأونروا فقد نشرت قصصا للأطفال

ضمن مشروع تعليم حقوق الإنسان والتسامح وكان من أبرز كتّابها خالد جمعة ومحمود شقير. كما يساهم مركز مصادر الطفولة المبكرة (القدس)، الذي تأسس في عام 1985 في نشر قصص تربوية وتعليمية موجهة للأطفال لعدد من الأدباء الفلسطينيين.

مشكلات أدب الأطفال في فلسطين

نستطيع أن نقسم مشكلات أدب الأطفال بداية إلى نوعين: هما: مشكلات عامة وهي التي تؤثر أدباء الأطفال في العالم عامة والمشكلات التي متعلق بخصوصية أدب الأطفال كأدب فلسطين محلي [46].

ومن مشكلاته:

١. التداخل وضياع الهوية: بسبب تشتت الفلسطينيين في دول متعددة، اختلط أدب الأطفال الفلسطيني مع آداب الدول المستضيفة مما أدى إلى صعوبة تمييز الهوية الأدبية الفلسطينية وأحيانا إدراج الكتّاب الفلسطينيين تحت مسمى دول أخرى.
٢. تأثير العولمة والتكنولوجيا: أصبحت الإنترنت مجالًا كبيرًا لثقافة الطفل، وازدادت المنافسة مع الشركات العالمية بينما ما زال المحتوى العربي الإلكتروني الموجّه للطفل ضعيفا وغير مواكب لعصر التكنولوجيا.
٣. محدودية الموضوعات: تركّز الكثير من قصص الأطفال في مرحلة ما قبل أوسلو على المقاومة والوطن والمخيمات ثم بعد أوسلو ركزت على التثقيف الصحي والمشاريع الاجتماعية مما أدى إلى غياب موضوعات أخرى مهمة مثل القصص العلمية والفكاهية والدينية.

[46] أ. تيسير المغربي، واقع أدب الأطفال ومشكلاته في فلسطين قصة الأطفال الفلسطينية أنموذجا، مركز القطان للطفل، 2008م

٤. تأثير المؤسسات الأجنبية الداعمة: تقوم مؤسسات دولية كثيرة بدعم نشر قصص الأطفال في فلسطين لكن أحيانا تفرض مضامين تتوافق مع أهدافها وليس مع الهوية الفلسطينية مما يؤثر على حرية الكاتب والأهداف التربوية الوطنية.
٥. قلة المطابع المتخصصة: لا توجد دور نشر ومجلات كافية متخصصة للأطفال، مما يقلل من انتشار الكتب خاصة إلى الأطفال في المناطق المهمشة والبعيدة.
٦. مشكلات التصنيف في المكتبات: لا يوجد نظام واضح موحّد لتصنيف كتب الأطفال حسب العمر أو الموضوع أو الهوية المحلية مما يربك العاملين والمربين ويعيق وصول الطفل إلى الكتاب المناسب له.

رغم غنى أدب الأطفال الفلسطيني إلا أنه يواجه مشكلات تتعلق بضياع الهوية وتأثير العولمة ومحدودية الموضوعات وتدخل المؤسسات الداعمة وقلة المؤسسات الفنية المتخصصة وعدم وضوح نظام تصنيف الكتب.

الكتّاب الفلسطينيون البارزون في أدب الأطفال

قدّم عدد كبير من الأدباء والشعراء الفلسطينيين إسهامات مهمة في أدب الأطفال حيث لم يقتصر دورهم على الكتابة الإبداعية فقط بل حملوا رسالة تربوية ووطنية تعزز الهوية والانتماء لدى الطفل الفلسطيني. وتميز هؤلاء الأدباء بتنوع الأساليب بين القصة والمسرح والشعر والأناشيد بهدف تشكيل وعي الطفل وتنمية خياله وثقافته. يعد محمود شقير من أبرز كتّاب أدب الطفل الفلسطيني ولد عام 1941 وكتب للكبار وللأطفال وترجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات ومن أشهر قصصه الولد الفلسطيني والملك الصغير. كما يعد مفيد نحلة من الكتّاب البارزين للأطفال

ومن أهم مؤلفاته أطفال القدس القديمة والأطفال يحبون الأرض كثيرا. أما أحمد أبو عرقوب فقد كتب شعرا وقصصا للأطفال تعبر عن الألم الوطني والأمل ومن أعماله الأيام القادمة والفتى الشهيد.

وكذلك برز علي الخليلي بدوره الكبير في دعم المشهد الثقافي الفلسطيني وكتب عددا مهما من المؤلفات للكبار والأطفال وحصل على وسام الاستحقاق والتميز. أما الشاعر الشعبي أبو الصادق فقد قدّم عددا كبيرا من الأناشيد والمسرحيات الوطنية للأطفال وكان من أول من أسس مسرح الطفل الفلسطيني وقدّم أعمالا ما تزال حاضرة في ذاكرة الأجيال. وأيضا عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) الذي تناول في شعره موضوعات التحرر والحنين للوطن ومعين بسيسو الذي لقب بشاعر المقاومة وقدم أعمالا مسرحية وشعرية ترجمت إلى لغات عديدة. كما كتبت باسمة حلاوة قصائد للأطفال تناولت موضوعات وطنية وإنسانية وكانت من الأصوات النسائية البارزة في أدب الطفل الفلسطيني.

اشتهر إبراهيم طوقان بشعره الوطني خاصة قصيدة موطني التي أصبحت رمزا للقضية الفلسطينية وتمثل أثرا كبيرا في ترسيخ الهوية الوطنية لدى الأطفال. وساهمت زينب حبش بقصص شعرية موجهة للأطفال تناولت موضوعات تخص الوطن والشهداء ومن أعمالها لماذا يعشق الأولاد البرقوق ولأنه وطني. كما يعد جميل السلحوت أحد أبرز كتّاب الطفل في فلسطين وذلك من خلال أعماله المتنوعة مثل المخاض والغول وكلب البراري وميرا تحب الطيور. يتضح من جهود هؤلاء الكتّاب أن أدب الأطفال في فلسطين لم يكن مجرد وسيلة للترفيه، بل مشروع وطني وتربوي وثقافي يهدف لبناء وعي الطفل وتعزيز قيم الانتماء والوطنية والصمود. ولا يزال تأثير هذه الإسهامات حاضرا في تشكيل الوعي الأدبي والثقافي لدى الأجيال الفلسطينية الجديدة.

الخاتمة

يبرز دور أدب الأطفال في فلسطين كمحور أساسي في بناء الهوية الوطنية وتعزيز الوعي الثقافي والسياسي بين الأطفال، مع التركيز الخاص على أدب المقاومة والكفاح. يتجلى هذا الدور في تعزيز القيم الوطنية والمقاومة ضد الاحتلال، وتعزيز العدالة الاجتماعية في وجه التحديات اليومية التي يواجهها الأطفال الفلسطينيون. ومع وجود التحديات العديدة، مثل التأخر في التطور والمشاكل في التوزيع ينبغي علينا تكثيف الجهود المبذولة لدعم الكتاب والناشرين وتوفير البنية التحتية اللازمة لتطوير هذا القطاع الحيوي. إن تعزيز هذا الدور يتطلب عمل جماعي وتضافر الجهود لتوفير بيئة إبداعية تسمح بإنتاج المزيد من الأعمال الناجحة والملهمة للأطفال.

المصادروالمراجع

١. د.إيمان البقاعي، المقتن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين، دار الراتب الجامعية، لبنان
٢. محمد السيد حلاوة، مدخل أدب الأطفال، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٣م
٣. أدب الأطفال- فن الطفولة، محمد فؤاد الحوامدة، دار الفكر- عمان ٢٠١٤م
٤. أ. تيسير المغربي، واقع أدب الأطفال ومشكلاته في فلسطين قصة الأطفال الفلسطينية أنموذجا، مركز القطان للطفل، ٢٠٠٨م
٥. شاهين، موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، دار الثقافة منظمة التحرير الفلسطينية، دمشق، ١٩٩١م
٦. حمداني، أدباء أردنيون كتبوا للأطفال في القرن العشرين، دار الينابيع للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥م
٧. د. جميل حمداوي، أدب الأطفال في فلسطين، موقع دنيا الوطن: ،
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/173152.html

جرجي زيدان بين الموقف الثّقافي والممارسة الإبداعية: دراسة نقدية تحليلية

محبوب.سى.ك،
باحث قسم اللغة العربية، جامعة عليكرة الإسلامية

ملخص البحث

جرجى زيدان (1861-1914) هو كاتب وصحفي لبناني بارز، يُعتبر أحد رواد الأدب العربي الحديث. أسهم في تطوير الأدب العربى خلال أعماله البارزة, خاصة الرواية العربية من خلال دمج عناصر من الأدب الغربي مع التقاليد العربية، مما ساهم في إثراء الأدب العربي. من أهم أعماله سلسلة الروايات التاريخية التي تناولت فترات مهمة من التاريخ العربي. كما أسس مجلة "الهلال" التي كانت منبرا للأدباء والمفكرين، حيث ساهمت في نشر الوعي الثقافي والاجتماعي في المجتمع العربي. يركز زيدان في كتاباته على القضايا الاجتماعية والسياسية، ويعتبر من أوائل من استخدموا الأدب كوسيلة للتعبير عن القضايا المعاصرة. تجسد مساهماته في الأدب العربي جسرا بين التراث والحداثة، مما جعله شخصية محورية في تطور الأدب العربي الحديث.

تتناول الدراسة تأثير جرجى زيدان على تطوير الرواية التاريخية، من خلال أسلوبه الذي مزج بين الحقائق التاريخية والخيال الأدبي، مما أضفى عمقاً وجاذبية على أعماله, وكذلك تسلط الدراسة الضوء على كيفية تأثير زيدان في تشكيل الوعي الأدبي العربي، ودعوته إلى تحديث الأدب من خلال

دمج العناصر الغربية، مما جعله شخصية محورية في تاريخ الأدب العربي الحديث. تعتبر هذه الدراسة مساهمة في فهم تطور الأدب العربي وتحليل الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي ارتبطت بكتابات جرجى زيدان.

الكلمات الرئيسية: جرجى زيدان, الرواية التاريخية, القضايا الإجتماعية, دراسة نقدية

مقدمة:

يعد جرجي زيدان واحدا من أبرز الأسماء الأدبية التي أثرت في الأدب العربي الحديث، وقدم إسهامات متنوعة على مستوى الكتابة الأدبية والفكرية. جمع زيدان بين المعرفة الأكاديمية الواسعة والممارسة الإبداعية المتميزة، مما جعله من الشخصيات المثيرة للجدل في تاريخ الأدب العربي. لكن مواقفه الثقافية وأسلوب سرده الأدبي لم تقتصر على مجرد تقديم محتوى تاريخي أو أدبي، بل كانت نتاجًا لتفاعل مع السياقات الثقافية والفكرية المعقدة التي شهدتها المنطقة في نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

تستحق أعمال زيدان، خصوصًا رواياته التاريخية، دراسة نقدية معمقة من منظورين رئيسيين: أولًا، الموقف الثقافي الذي اتخذه في تقاطع التراث العربي مع التأثيرات الغربية في تلك الحقبة؛ وثانيًا، الممارسة الإبداعية التي مَكَّنته من تقديم نموذج جديد في الأدب العربي، بحيث خلط بين التاريخ والأسطورة، الواقع والخيال.لقد كان زيدان في الكثير من أعماله، خصوصًا في رواياته التاريخية، يواجه إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب، فبينما كان يسعى إلى إحياء التراث العربي، كان يتأثر بشدة بالثقافة الأوروبية، الأمر الذي أثر على أسلوبه السردي وتوجهاته الفكرية. فهل كان هذا التأثر بمثابة تفاعل إبداعي إيجابي، أم كان مجرد تقليد مشوه للتاريخ والتراث؟ وهل يمكن

اعتبار رواياته التاريخية أداة توثيقية دقيقة أم أنها كانت وسيلة لتعبير عن رؤية شخصية حاول من خلالها تقديم سرديات تاريخية تُسلط الضوء على أبطال وأحداث معينة في سياق مغلوط؟

في هذا السياق، تأتي هذه الدراسة النقدية التحليلية لتسلط الضوء على التداخل بين الموقف الثقافي والممارسة الإبداعية لدى جرجي زيدان. ستناقش هذه الدراسة كيف أن أعماله الأدبية ليست مجرد محاكاة للتاريخ، بل هي مشهد فكري مليء بالتحديات الثقافية واللغوية، وتستكشف الدور الذي لعبه في صياغة الوعي الأدبي والثقافي العربي في مرحلة كانت تشهد تحولات كبيرة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي

جرجي زيدان حياته و آثاره

جرجي زيدان مفكر لبناني، يعد رائدا من رواد تجديد علم التاريخ واللسانيات، وأحد رواد الرواية التاريخية العربية، وعلما من أعلام النهضةِ الصحفية والأدبية والعلمية الحديثة في العالم العربي، وهو من أخصب مؤلّفي العصر الحديث إنتاجا. وُلِدَ في بيروت عام ١٨٦١م لأسرة مسيحية فقيرة، كانت طوائف من رجال الأدب واللغة وطلاب الكلية الأمريكية تتردد عليه. و في سن الخامسة من عمره أرسله والده إلى مدرسة يديرها القسيس الياس شفيق ليتعلم القراءة والكتابة والحساب حتى يتمكن من مساعدته في إدارة المطعم وضبط حساباته ، ثم التحق جرجي بمدرسة الشوام فتعلم بها الفرنسية ، ثم تركها بعد فترة والتحق بمدرسة المعلم مسعود الطويل حيث تعلم فيها الإنجليزية[٤٧].

كان جرجي زيدان يبدى منذ صغر سنه ميلا قويا على اطلاع الكتب, رغم شغفه الكبير بالمعرفة والقراءة، إلا أنه لم يتمكن من إكمال تعليمه بسبب صعوبة الظروف المعيشية. ومع ذلك، تمكن من

[٤٧] -محمد عبد الغني الحسنى, جرجى زيدان, الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠

إتقان اللغتين الفرنسية والإنجليزية. بعد ذلك، عاد إلى الدراسة وانضم إلى كلية الطب، لكنه قرر تركها وانتقل إلى كلية الصيدلة[٤٨]، إلا أنه عدل عن استكمال دراسته فيها أيضًا. ومع ذلك، حصل على شهادات نجاح في عدة مجالات مثل اللاتينية والطبيعيات وعلم الحيوان والنبات والكيمياء والتحليل.

وفي عام ١٨٨٣ عزم الهجرة الى القاهرة ليكمل تعليمه بمدرسة الطب ، ولم يكن معه ما يكفى نفقات السفر، فاقترض من جار له ببيروت ستة جنيهات على أن يردها إليه حينما تتيسر له الأحوال، ولما نزل القاهرة في (أكتوبر ١٨٨٣م) عزف عن الالتحاق بمدرسة الطب لطول مدة الدراسة ، وأخذ يبحث عن عمل يتفق مع ميوله ، فعمل محررا في صحيفة "الزمان" اليومية التي كان يملكها ويديرها رجل أرمني الأصل يدعى علكسان صرافيان وكانت صحيفة الزمان الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة بعد أن الاحتلال الإنجليزي صحافة مصر بعد الثورة العرابية، وبعد نحو عام عيّن كمترجم للحملة الإنجليزية التي توجهت إلى السودان لإنقاذ القائد الإنجليزي "غوردون" من حصار المهدي وجيوشه ودامت رحلته في السودان عشرة أشهر عاد بعدها إلى بيروت، وانضم في بيروت إلى المجمع العلمي الشرقي الذي أنشئ في سنة (١٨٨٢م) للبحث في العلوم والصناعات، والإفادة منها بما يعود على البلاد بالنفع والخير، وتعلم اللغتين العبرية والسريانية، وهو ما مكنه من تأليف أول كتبه "فلسفة اللغة العربية" سنة (١٨٨٦م) ، و يعد هذا الكتاب أول جهد واضح بذل في تطبيق مبادئ فقه اللغة المقارن على اللغة العربية وإن كان غير عميق التناول، وهو ما جعله يعيد فيه النظر مرة أخرى، ويعود إليه منقحا ومعدلا في طبعة جديدة أصدرها بعد

[٤٨] -المصدر نفسه- ص ٢٣-٣٦

ذلك فى سنة (١٩٠٤م) بعنوان "تاريخ اللغة العربية"، ثم زار جورجي زيدان لندن ، وتردد على مكتباتها ومتاحفها، ومجامعها العلمية، ثم عاد إلى القاهرة[٤٩].

وعقب عودته من لندن الى القاهره تولى إدارة مجلة المقتطف، وظل بها عاما ونصف العام، وقد قدم استقالته من المجلة سنة (١٨٨٨م) ليشتغل بالكتابة و التأليف فاصدر كتابه تاريخ مصر الحديث في مجلدين، و"تاريخ الماسونية والتاريخ العام"، وهو موجز في تاريخ قارتي آسيا وأفريقيا، ثم توالت كتبه: تاريخ إنجلترا، تاريخ اليونان والرومان جغرافية مصر وطبقات الأمم وغيرها، غير أن هذه الكتب لم تلفت إليه الأنظار، ولم تلق نجاحا يذكر، إلى أن أنشأ مجلة الهلال التي ارتبطت حياته بها ارتباطا وثيقا[٥٠].

ثم انتدب لتدريس اللغة العربية بالمدرسة العبيدية الكبرى" لمدة عامين، ثم تركها عام (١٨٩١م) لينشئ مطبعة بشراكة مع "نجيب متري" المؤسس الأول لدار المعارف ، ولم تستمر الشركة بينهما سوى عام انفضت بعده واحتفظ جورجي زيدان بالمطبعة لنفسه ، وأسماها مطبعة الهلال على حين قام نجيب متري بإنشاء مطبعة مستقلة باسم مطبعة المعارف، ثم أصدر جورجي زيدان في سنة (١٨٩٢م) مجلة الهلال، وكان يقوم بتحريرها بنفسه، إلى أن كبر ولده "إميل" وصار مساعده في تحريرها. و اصدر جرجي مؤلفاته و رواياته التاريخية و هو قائم بتحريرالهلال[٥١].

كان جورجي زيدان يعمل بانتظام شديد، وبعزيمة قوية، ينكب على القراءة والتدوين ست عشرة ساعة متوالية في اليوم، مكتفيًا من النوم بأربع ساعات في أخريات حياته، يسابق الزمن في إنجاز

[٤٩] - نظير عبود، جرجي زيدان : حياته، أعماله، ما قيل فيه دار مارون عبود (١٩٧٣)
[٥٠] - المصدر نفسه
[٥١] - المصدر نفسه

أعماله الضخمة، بالإضافةِ إلى غزارةِ إنتاجِه كانَ متنوّعًا في مَوْضوعاتِه؛ حيثُ ألَّفَ في العديدِ من الحُقولِ المَعْرفية؛ كالتاريخِ والجُغرافيا والأدبِ واللغةِ والرِّوايات. وعلى الرغم من أن كتابات "زيدان" في التاريخ والحضارة جاءت لتتجاوز الطرح التقليدي السائد في المنطقة العربية والإسلامية آنَذاك، والذي كان قائما على اجترار مناهج القدامى ورواياتهم في التاريخ دون تجديد وإعمال للعقل والنقد؛ فإنّ طرْحه لم يتجاوز فكرة التمركز حول الغرب الحداثيّ (الإمبرياليّ آنَذاك)؛ حيث قرأ التاريخ العربيّ والإسلاميّ من منظور استعماريّ (كولونيالي) فتأثَّرت كتاباته بمناهجِ المُستشرقين، بما تحمله من نزعة عنصرية في رؤيتها للشرق، تلك النزعة التي أوضحها بعد ذلك جليا المفكر الأمريكي الفلسطيني المولَّد إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"[٥٢]. ووافته المنية فى عامَ ١٩١٤م، ورثاه حينذاك كثير من الشّعراء أمثال: أحمد شوقي، وخليل مطران، وحافظ إبراهيم.

الممارسة الإبداعية

في العديد من كتابات القرن العشرين التي تناولت تاريخ الأدب العربي في مرحلة الإحياء، يتم التركيز عادة على تيّارَيْن رئيسيين أو مرجعيّتيْن ثقافيّتين أسهم التفاعل بينهما بشكل كبير في تشكيل الأدب العربي الحديث: الأول هو إحياء التراث الثقافي العربي، والثاني هو الثقافة الغربية الوافدة. ولا شك في دور هذين التيارين، لكن في المقابل يغفل \ أو يقلل من شأن الجدل الذي كان قائما داخل أطر ثقافة الإحياء بين التراث العربي الرسمي والروايات الشعبية. وقد تسربت ملامح هذا الجدل فى مطلع النهضة الأدبية وتشيدت وتيرته ظهور الطباعة والصحافة لتشمل الكثير من جوانب اللّغة والأسلوب, وكان لهذا الجدل الداخلي تأثير حاسم وعميق في تكوين الأدب العربي الحديث بشكل

[٥٢]- Edward Said, Orientalism, New York 1978

عامّ، والأنواع السردية بشكل خاصّ, تناول وجهة هذه النظر صبري حافظ في كتابه "تكوين الخطاب السردي العربي الحديث" (٢٠٠٢)، وعبدالله إبراهيم في "السردية العربيّة الحديثة" (٢٠٠٣).

ويذكر د. جورج زيدان، كان جرجي يؤمن بأن تحقيق الذات والنمو الشخصي مسؤولية الفرد، وأن الصفات الشخصية - قوة الإرادة والنزاهة والاستقامة - أكثر أهمية للنجاح من المعرفة أو التعليم أو التراث. وقد نسب نجاحه أولاً وقبل كل شيء إلى العمل الجاد والواعي بالوقت، والمواظبة، والإدارة، ولا سيما التسويق، وهي سمات مهمة جدا للنجاح. وبالنسبة للصحفيين والكتاب، كان كل هذا يعني اختيار مواضيع مثيرة للاهتمام، والكتابة بموضوعية وبأسلوب سهل واضح. فضلاً عن أن صدقه قولاً وعملاً أكسبه ثقة جمهور واسع من القراء, يقول الكاتب والناقد والمسرحي اللبناني فارس يواكيم: "الأديب زيدان متعدد المعارف، كَتب الكثير، وسيكتب كثيرون بعد. لذلك اخترت الإضاءة على جانب غير مطروق، ألا وهو جرجي زيدان مُترجمًا. بمثل الإعجاب الذي استقبلت مؤلفاته، لقيت ترجماته نقدًا قاسيًا في بعض الأحيان. لكن لا يملك الجميع سوى تقدير جهده. قيل في مؤلفاته التاريخية والأدبية إنها غير أكاديمية. وهذا صحيح. لكن المجهود الكبير الذي بذله زيدان في قراءة المصادر والمراجع، ثم في الصوغ، يستحق التحية، وخصوصًا إذا نظرنا إلى عدد مؤلفاته بعدد سنوات عمره. أصدق ما قيل عنه إنه كان يشتغل ست عشرة ساعة في اليوم".

و كان مذهب زيدان الأدبى هو ميدان آخر من ميادين العمل الأدبي الذي رجى زيدان و بلغ فيه غاية المدى، فهو الذي ابتكر في الأدب الحديث "الأسلوب التلغرافي" القصير الواضح السليم الذى يؤدى المعنى بأقل عدد من الالفاظ. وهو يصور هذا المعنى فيقول : " ان الابحاث الادبية تفتقر في تأديتها

الى أعمال الفكر من حيث ترتيبها و سبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكة والتعقيد و هذا في نظرنا هو الاسلوب العصرى الذى يجب على كل كاتب أن يحتذيه ، و هو شائع اليوم على أقلام الكتاب لا يشذ عليه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفا لا يحل بيعه أو التصرف فيه وفاتهم أنها من قبل الأحياء الخاضعة لناموس الارتقاء يتغير بتغير أحوال الاجتماع من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب العصرية للافكار العصرية و تذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها كالاعضاء المهملة في الجسم الحى تقضى الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالخلايا التي تندثر بالعمل الحيوى فتخلفها الخلايا الجديدة النامية فالتعبير الذي يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف العصر دليل على احياء اللغة و من وقف في سبيل هذا التفكير فقد عارض الطبيعة[٥٣].

و يرى جرجي زيدان " أن صدق اللهجة و الصراحة فى القول و الخلو من الغرض هي أهم واجبات الكاتب و الكتابة عند جرجى زيدان لها شروط و قواعد و هي ملكة و ليست حرفة و لكل لون منها لغة و منهاج و هو في هذا معتدل الرأى يرى ضرورة الاخذ باللسان العربي و تجنب التعبيرات الافرنجية يقول " على من يعمد الى التأليف أن يحافظ على ملكة اللسان العربي و يتجنب التعبيرات الافرنجية و لا يتم ذلك الا بمطالعة الكتب العربية الخالية من شوائب العجمة بل لا بد له من مطالعة الكتب التي كتبها العرب في الموضوع الذي يريد الكتابة فيه وما يقرب منه لاقتباس طرق التعبير فى ذلك العلم اذ لكل علم عبارات وألفاظ لا يستحسن ايرادها في علم آخر - فلغة العلوم الطبيعية مثلا غير لغة الموضوعات الادبية و لغة التاريخ غير لغة الطب ولغة الكتابة غير لغة الخطابة, والكتابة في اعتقادنا ملكة غريزية كملكة الشعر ، و المعانى ترجع في وضوحها وابهامها

[٥٣] - جرجى زيدان لأنور الجندى

الى حالة صورتها في ذهن الكاتب فاذا كانت الصورة واضحة في ذهنه ظهر ظلها واضحا في كتابته أو كلامه". وهو يرى ضرورة ترتيب أجزاء الموضوع و تنسيق العبارات بتناسق المعاني مع السهولة والوضوح " وهي ملكة غريزية لا تكتسب بالمزاولة أو الصناعة . و لكل كانت اسلوب خاص به يمثل سلسلة افكاره يعبر عنه بالذوق فالكاتب يمتاز بذوقه ويعرف به "[٥٤].

و مذهب جرجى زيدان الأدبى من خلال هذه المعاني كلها واضح صريح : هو تحطيم السدود و القيود التقليدية التى تقف في وجه الفكر العربي و الإسلامي سواء من ناحية أسلوب البحث أو أسلوب التعبير بحيث يكون سهلا يسيرا من ناحية عميقا رصينا من ناحية أخرى. وأوضح أهداف مذهب جرجي زيدان الادبى هو احترام القارئ و تقديره والاخلاص له فى كشف الجوانب الخفية عنه فى عالم الفكر و البحث و قد كان لهذا الاتجاه أثره في نفوس القراء فقد حظى جرجى زيدان بالتقدير و الحب و الثقة من قرائه في مختلف نواحي العالم الاسلامي الواسع.

كان جرجى زيدان يتبع فى كتابته وفى مضمونه نظرية الإستشراق تجاه تاريخ الإسلام كما أشار إليه المُفكِّرُ الأمريكيُّ الفَلسطينيُّ المُولَّدُ إدوارد سعيد في كِتابِه "الاستشراق". ويقول فارس يواكيم : إذا نظرنا إلى رواياته بعين النقد المعاصر، يمكن أن نجدها خلطة بين الأحداث التاريخية، واستعراضًا للعادات والتقاليد، في قصة حب بسيطة تمشي جنبا إلى جنب مع السرد التاريخي. لكن مزايا زيدان تكمن في أسلوب سرده المشوّق". يقول رشيد رضا: "إنه أظهر بعد الانقلاب العثمانى سنة ١٩٠٩م نزعة جديدة هي إحياء لمذهب الشعوبية, ذلك أنه زار الأستانة ولقي فيها بعض زعماء الاتحاد والترقي ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية الزائفة, مستنكرا عدم مجاراة العرب لإخوانهم الترك في الانضمام

[٥٤] - نفس المصدر -٣٧-٣٨

على خطة الاتحاديين التي ترمي إلى تتريك العناصر وإدغام العرب في الترك و استخدم الهلال لنشر تلك النزعة. فقد كانت القوى الصليبية الأوروبية طيلة قرون تسعى للانقضاض على الخلافة وتجزئة بلاد المسلمين بينها ، لكن هذه الرغبة زادت في القرن الماضي والذي قبله ، وقد سخرت إنجلترا أقلاما هاربة من وجه العدالة لتتولى الدعاية لإلغاء الخلافة ، من أكبر أولئك المسخرين جورجي وجريدته الهلال" .

التحديات والمو اقف النقدية لجرجي زيدان فى رو اياته التاريخية

ابتدأ رواياته التاريخية بالمملوك الشارد التي صدرت في سنة ١٨٩١م . ثم تتابعت رواياته حتى بلغت اثنتين وعشرين رواية تاريخية، منها سبع عشرة رواية تعالج فترات من التاريخ الإسلامي، تمتد من الفتح الإسلامي إلى دولة المماليك، مثل : المملوك الشارد أسير المهدي، استبداد المماليك، جهاد المحبين، فتاة غسان أرمانوسية المصرية عذراء قريش ١٧ ،رمضان غادة كربلاء، الحجاج بن يوسق الثقفي، فتح الأندلس / طارق بن زياد شارل وعبد الرحمن أبو مسلم الخراساني، العباسة أخت الرشيد الأمين والمأمون، محمد علي، عروس فرغانة، أحمد بن طولون، عبد الرحمن الناصر ، الانقلاب العثماني، فتاة القيروان، صلاح الدين الأيوبي ومكائد الحشاشين، وشجرة الدر . لاقت الروايات رواجا سريعا وإقبالا هائلا، وتُرجمت إلى الفارسية والتركية، والأذربيجانية وغيرها من اللغات.

نجد اننا حين ندرس أحد اعلام الأدباء المسيحيين يلزمنا أن ندرسهم من منظورين منظور ديني إسلامى و منظور أدبي بحت. فمن ناحية الأدبية يقول عنه الأدباء : "يعد جرجي من أوائل من كتبوا روايات تاريخية مستمدة في اطارها العام من التاريخ الاسلامي؛ بل ان كثيرا من النقاد يعدونه رائدا

للقصة التاريخية الاسلامية في العالم العربي"[55]."ولا شك أن روايات زيدان التاريخية كانت حدثا جديدا في القرن التاسع عشر؛ فهي نشر للحقائق التاريخية الاسلامية على سبيل الرواية تسهيلا لمطالعة كما يقول صاحب مرآة العصر ما حدا بالكثيرين من مؤرخي الادب الحديث أن يعدوا زيدان رائدا في هذا الميدان"[56]. و شهد له انيس المقدسي بأن له الاحقية في أن يلقب بإمام هذا الفن في أدبنا الحديث[57], كما قال عنه الدكتور سهيل ادريس " أنه دون منازع خالق الرواية التاريخية عندنا. ووصفه الدكتور طه حسين بأنه " هو الذي نقل إلى الأدب العربي مذهبا من مذاهب الأدب الأوروبي؛ و هو القصص التاريخي". بل ذهب اثنان من رجال التاريخ هذا المذهب ؛ فالدكتور احمد العلي يقرر أن زيدان كان رائد الروايات التاريخية والمرحوم الدكتور جمال الدين الشيال يؤكد أن "جرجي زيدان كان أول من كتب القصة التاريخية. على أن الدقة في التعبير فإن (أولية) جرجي زيدان وريادته لرواية التاريخية يجب أن نظر إليها نظرة أخرى. لقد كان عمله جبارا في ميدان يكاد يخلو من هذا الفن الأدبي. و لكن إنبهارنا بالدور العظيم الذي قام به زيدان هنا لا يجب أن ينسينا حق (الأولية لسليم البستاني؛ ابن المعلم بطرس البستاني؛ الذي ظهرت له في هذا المجال روايتان تاريخيتان سبقتا روايات زيدان بأكثر من عشرين عاما . في سنة ١٨٧١ ظهرت قصة (زينوبيا) السليم البستاني و في سنة ١٨٧٤ تلاها ظهور روايته الثانية (الهيام ؛ في فتوح الشام).

و من الناحية الدينية الاسلامية فيقول عنه: "أما من ناحية الشكل والمعالجة فإن الأحداث تقوم على علاقة غرامية بين بطلي القصة، وتحول الدسائس دون التقائهما واجتماعهما، وشخصيات

[55] - محمد عبد الغني الحسنى, جرجى زيدان, الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠

[56] - الياس زخوراء، مرآة العصر في تاريخ و رسوم اكابر الرجال بمصر (١٨٩٧)

[57] - أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. بيروت: دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠) ٢٥

رواياته متشابهة ونمطية فهو لا يهتم برسم شخصياته. أما من حيث المضمون فلم يلجأ جورجي زيدان إلى الفترات المشرقة من التاريخ الإسلامي، بل اتجه إلى الفترات التي تمثل صراعًا بين مذهبين سياسيين أو كتلتين متصارعتين على السلطة والنفوذ، ولم يتجه إلى التاريخ الإسلامي لإبراز أمجاده، وكان متأثرا في ذلك بنظرة المؤرخين الغربيين إلى العالم الإسلامي، و يقول مامون فريز جرار صاحب خصائص القصة الاسلامية "من البديهي الا نجد تفسيرا اسلاميا للتاريخ في روايات جرجي زيدان؛ ذلك لان هذا التفسير لا يصدر الا عن كاتب امن به ؛ و جرجي زيدان صاحب عقيدة مختلفه عن العقيدة الاسلامية ؛ ثم انه غير متعاطف مع هذا التاريخ الذي يكتب رواياته"[58]. ويؤكد هذا المعنى الدكتور نجيب الكيلاني فيقول : و لقد حاول جورجي زيدان ان يقدم التاريخ الاسلامي في سلسلة من الروايات و للاسف كانت ميتة الروح؛ جافة الينابيع؛ فظهر الخلفاء و اعلام الحرية و الفكر الاسلامي نماذج سئة التقديم"[59]. "لم يدخل جرجي الى روح العرب لكي يستطيع ان ينشرها امام نظره؛ ويفتش فيها و يعرف دقائقها " . ولا يعجز كاتب عن الدخول الى روح امته الا اذا عاش بروح امة اخرى"[60].

ويقول الدكتور عبد المحسن طه بدر صاحب تطور الرواية العربية عن جرجي زيدان "انه كان لا يلجأ الى الفترات المشرقة التي تمثل امجاد التاريخ العربي دائما ؛ و لكنه يختار المواقف الحساسة التي تمثل صراعا بين مذهبين سياسيين أو كتلتين تتصارعان على النفوذ و السيطرة"[61]. ويقول عمر الدسوقي في كتابه في الادب الحديث: بأن روايات جرجي ما هي الا تاريخ في قالب قصة لم تكتمل

[58] - مامون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية جدة دار المنارة، ١٩٠٨) ١٧٢

[59] - نجيب الكيلاني، المذاهب الأدبية والإسلامية بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٨٧،)، ٢٥

[60] - لمحمد حسين هيكل في أوقات الفراغ القاهرة دار كلمات عربية، (٢٠١٢) ٢٣٢.

[61] - عبد المحسن طه بدر، تطولر الرواية العربية الحديثة في مصر . دار المعارف ١٩٩٨، . ١٢.

شروطها الفنية و تاريخ لم يحافظ فيه على الحقائق[62]. ويوضح حنا الفاخوري و مما لاشك فيه ان الكاتب وجد نفسه مضطرا الى التبديل و التغيير في الاحداث التاريخية مراعاة للاحداث الغرامية التي بني عليها رواياته الا ان هذا كان له الاثر الكبر في مسخ القيمة الادبية و القيمة التاريخية في قصصه[63], لقد اعتمد جرجي اسلوب القصة التاريخية ليسرح في خياله ما شاء ؛ مع ان الخيال المسموح به في القصة التاريخية؛ يجب ان لا يتصل بالشخصيات الرئيسية؛ او بالاحداث الكبرى و كل قول يجريه مؤلف القصة التاريخية على لسان احد ابطال قصه و ليس له سنده التاريخي؛ و نصه في المراجع و المصادر ؛ يحسب على المؤلف قولا واحدا باجماع الاراء... و على هذا فكل ما قدمه جرجي في كتبه محسوب عليه حصرا.

الفكرية والثقافية تجاه تاريخ الإسلام

جورج زيدان أديب ومؤرخ كتب عددا من الكتب في التاريخ الإسلامي.وقد استطاع لجرجى زيدان أن ينير على صفحات التاريخ الإسلام التى خفية فى ظلام دامس من التاريخ, وكان له دور قيادي فى انتشار التاريخ الإسلام على كافة الناس عموما وخصوصا. ولكن إذا نظرنا إلى وجهة نظر التاريخ جرجى زيدان ففيه بحث, هناك آراء مختلفة حول كتابة جرجى زيدان التاريخية حيث يرى أن مناهجه التاريخية وأساليبه استشراقية وتشوه لتاريخ الإسلام بين السطور. فلنبحث عن كتابته التاريخية وأساليبه وصياغته ومرجعه فى التاريخ الإسلامى معتمدا على كتابه تاريخ التمدن الإسلامى.

[62] - عمر الدسوقي، في الأدب الحديث دار الفكر العربي ٢٠٠٠٠.

[63] - حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي - بيروت : مكتبة المدرسة الطبعة الأولى - ١٩٥٥) . ٤٠٤.

يعد تاريخ التمدن الإسلامى الذي صدر في خمسة أجزاء في الفترة من (١٩٠٢) - ١٩٠٦م) أهم مصنفات جرجي ، وقد استفاد في تأليفه من قراءاته ودراساته في المؤلفات الغربية، ومناهج التأليف في التاريخ والحضارة ، فضلاً عن مطالعاته الواسعة في المصادر العربية فكرة تأليف هذا الكتاب قد شغلته منذ وقت مبكر، فنشر فصولاً في مجلة الهلال سنة (١٨٩٤م) تحت هذا العنوان، ثم وسع هذه الفصول حتى جعل منها كتابا مستقلاً وتأثر جورجي زيدان بمنهج المستشرقين في دراسة تاريخ الآداب العربية، وبخاصة كتاب بروكلمان المستشرق الألماني في كتاب "الأدب العربي" وغيره من مؤلفات المستشرقين، وقد وضع في الصفحات الأولى من كتابه أسماء المراجع الفرنسية والإنجليزية والألمانية التي رجع إليها ونهل منها .وطبع في بيروت وحققه د. حسين مؤنس، وفيه يقول : كان هذا الكتاب فريداً في بابه يوم صدر لأول مرة، ولا يزال فريداً في بابه إلى اليوم"[64].

والكتاب في أجزائه الخمسة يتناول موضوعات التمدن العربي الإسلامي في مختلف المجالات و موضوع الجزء الثاني ثروة الدولة: أسبابها واضمحلالها ؛ و الجزء الثالث يتناول علوم العرب و الجزء الرابع السياسة الدولة؛ و الجزء الخامس لنظام الاجتماع. وفي مقدمة الجزء الرابع يصفه الدكتور حسين مؤنس بقوله: المرحوم جرجي زيدان جمع فأوعى وبحث ونقب وانتهى إلى آراء غاية في القيمة والعمق". وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات شرقية، كما ترجم المستشرق الإنجليزي "مارجليوث الجزء الرابع منه إلى الإنجليزية، وعده عملاً أصيلاً غيرمسبوق".

في مقدمة الطبعة الأولى، لجرجي زيدان من كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ص ١٢ يحدد هدفه قائلا : وتاريخ الأمة الحقيقي إنما هو تاريخ تمدنها وحضارتها، لا تاريخ حروبها وفتوحها، وخصوصاً على ما

[64] - تاريخ التمدن، ج ١، ص ١١٠

تعوده مؤرخو العرب في تاريخ الإسلام. فإنّهم يسردون الوقائع على علاتها. وقلما يشيرون إلى الأسباب التي تربط تلك الوقائع بعضها ببعض، بحيث يرتاح العقل إلى تعليلها، والنظر فيها وترسخ في ذهنه حقيقة تلك الأمة.."المصادر التي استقى منها زيدان حسب ما أورده هي البلاذري، المسعودي ابن الأثير، ابن خلكان أبي الفداء ابن خلدون ابن طباطبا، السيوطي، المقري ابن خرداذبة، الاصطخري، ياقوت الحموي، الأغاني لأبي الفرج، العقد الفريد لابن عبد ربه، الكشكول المستطرف، سراج الملوك للطرطوشي، تفسير الرازي الزمخشري، صحيح البخاري، الخ. وكتاب الخراج لأبي يوسف... إلخ. حوالي ٢٠٠ كتاب. وكتب الإفرنج في الإسلام، غوستاف لوبون وغيرهم .

حذر الشيخ الهندي شبلي النعماني من كتاب تاريخ التمدن الإسلامي) لزيدان، حيث أظهر أخطاءه، وأبان عن تزويره وتلبيساته، وذلك في كتابه (انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي) الذي لخص في مقدمته ابرز ماخذ زيدان قائلاً: "إني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنبتك فإنك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك، واستشهدت بأقوالي ونصوصي، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند، مع أني أقلهم بضاعة، وأقصرهم باعاً، وأخملهم ذكراً، ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى أن تمدحني وتهجو العرب، فتجعلهم غرضاً لسهامك، ودربة لرمحك، ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو إليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم إرباً إرباً، وتمزقهم كل ممزق ؟ وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عرباً بحثاً من أشر خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية وينهبون الأموال، وينتهكون الحرمات، ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن؟ أو هل كنت أرضى بأن تنسب حريق الخزانة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب، الذي قامت بعدله الأرض والسماء، وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس فتعد من

مفاخرهم أنهم نزلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وأن المنصور بني القبة الخضراء إرغاماً للكعبة، وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما، وأن المأمون كان ينكر نزول القرآن، وأن المعتصم بالله أنشأ كعبة في (سامرا) وجعل حولها مطافاً واتخذ منى وعرفات؟! وهب أني عدمت الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الأجانب بأني فلسفي بحت عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب ولا أسر ولا اغتاظ ولا أفرح ولا أتألم، وهب أني حملت نفسى على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة السيئة بالحسنة، ومكافأة الخبيث بالطيب، فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ، وتدمع الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتنفق الهم، وتعود الناس الخرافة؟ بئس ما زعمت أيها الفاضل، فإن في الناس بقايا وأن الحق لا يعدم أنصاراً. إن الغاية التي توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساويها، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول، ولبس الباطل بالحق بيان ذلك أنه جعل لعصر الإسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس، مدح الدور الأول وكذلك الثالث (ظاهراً لا باطناً كما سيجيء ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبهم فخارنا في بث التمدن وأبهة الملك، ورأى أن بني أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم، تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شنعاء، فما ترك سيئة إلا وعزاها إليهم، وما خلى حسنة إلا وابتزها منهم... الخ"

ويعد كتابه "تراجم مشاهير الشرق من أهم المراجع التي يستأنس بها كل باحث وكاتب يبحث عن الترجمة لعلم من أعلام الشرق في القرن التاسع عشر،والكتاب لا يختص بطائفة معينة من الناس،

وإنما يجمع بين أعلام السياسة والأدب والإدارة والحكم وغيرهم وقد أثار الكتاب عند ظهور أجزائه الأولى نشاطا واسع المدى في أبحاث التاريخ الإسلامي ، وأقبل عليه الناس. وكانت – دراسات جرجي زيدان اللغوية والأدبية التاريخية : ١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، وضعه سنة ١٨٨٦ ، حققه د. مراد كامل، وصدر في طبعة جديدة عن دار الحداثة (بيروت ١٩٨٢) ٢ تاريخ مصر الحديث، جزءان، ١٨٨٩. ٣- تاريخ الماسونية، ١٨٨٩. ٤ - التاريخ العام منذ الخليفة إلى الآن، ١٨٩٠ . ٥- رد رنان على نبش الهذيان ١٨٩١ ٦ تاريخ انكلترا إلى الدولة اليروكية، ١٨٩٩. ٧- علم الفراسة الحديث، ١٩٠١ - تراجم مشاهير الشرق في القرن ١٩، جزءان، ١٩٠١. ٩- تاريخ اللغة العربية، خاضع لناموس الارتقاء باعتبار أنها كائن حي نام، دراسة وضعها زيدان سنة ١٩٠٤ ، وقدّم لها الدكتور عصام نور الدين، ط. جديدة (دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٠). ١٠ - العرب قبل الإسلام، ١٩٠٨. ١١- تاريخ آداب اللغة العربية (٤) أجزاء) وضعه بين ١٩١١ و ١٩١٧ : هو ما تحويه من ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم، وفيه يعلن الكاتب : أن لنا أن نخلص أقلامنا من قيود الجاهلية ونخرجها من سجن البداوة. ١٢ - عجائب الخلق، ١٩١٢. ١٣ – مختارات جرجي زيدان (٣) أجزاء)، ١٩٢٠. ١٤ - أنساب العرب القدماء، ١٩٢١ .

أما ما اخذ عليه في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية فقد أبان عنها الشيخ أحمد عمر الإسكندري رحمه الله في مقالة له نشرت في ذيل رسالة النعماني السابقة, جاء فيها : "يكفي القارئ أن أذكر بغاية الاختصار بعض هذه الأمور فإذا شاء أو شاء المؤلف فضل إيضاح لبعض المباحث فصلته تفصيلاً ويمكن توزيع هذه الأمور إلى الأنواع الآتية:

١) الخطأ في الحكم الفني: أي تقرير غير الحقيقة العلمية سواء كان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد.

٢) الخطأ في الاستنتاج: وهو ما يعذر فيه المؤلف لأنه اجتهاد من عند نفسه فإن أصاب فله الشكر وإن أخطأ فمن ذا الذي ما ساء قط.

٣) الدعوى بلا دليل : وهو ما يقرره المؤلف من غير تدليل عليه وقد يكون في ذاته صحيحاً ولكن في سوقه ساذجاً مجالاً للشك.

٤) الخطأ في النقل: وهو آت من تصرف المؤلف في عبارات المؤلفين بقصد اختصارها أو من تسرعه في الجمع وقلة مراجعة الأصول .

٥) قلة تحري الحقيقة بمراجعة الكتب المعتبرة والتواريخ الصادقة ووزن كل عبارة بميزان العقل والأنصاف وقياس الأمور بأشباهها بل كثيراً ما تروج عند المؤلف أقوال الخصوم في خصومهم وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار المجان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها .

٦) تناقض بعض أقوال الكتاب.

٧) الاختصار في كثير من التراجم والمباحث وإهمال ما ليس من شأنه أن يهمل

٨) إدخال ما ليس من موضوع الفن فيه لغير مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جداً.

٩) الاستدلال بجزئية واحدة على الأمر الكلي وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثر استنتاجاته ودعاواه

١٠) تقليد المستشرقين في مزاعمهم أو نقلها عنهم من غير تمحيص

١١) اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف.

١٢) اضطراب التقسيم والتبويب إما بذكر المباحث في غير موضعها وإما بعد رجال عصر في عداد رجال عصر آخر، وربما زاد المؤلف عن ذلك بعد رجال فن في رجال فن آخر

١٣) التحريف واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف مع سهولة الاحتراز عنهما بمراجعة الأصول عند التأليف والطبع واستئجار أحد المصححين العالمين بقواعد العربية.

١٤) تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى في الأمور التي فيها تدن وانحطاط لا نشوء ولا ارتقاء "[٦٥].

الخاتمة

إن جرجي زيدان، عبر مسيرته الأدبية والعلمية، قد ترك بصمة واضحة في الأدب العربي الحديث، لا سيما في مجال الرواية التاريخية. فقد استطاع أن يقدم مادة تاريخية غنية وجذابة لجمهوره، وأدخل الأدب العربي إلى عالم السرد القصصي بأسلوب جديد ومثير. لكنه في الوقت ذاته، واجه انتقادات واسعة بسبب تحريفه لبعض الأحداث التاريخية وميله إلى استخدام أسلوب الاستشراق في تفسير التاريخ الإسلامي. لقد تأثر زيدان بنظريات المستشرقين، خاصة في كتابه "تاريخ التمدن الإسلامي"، ما جعله يتبع منهجًا تاريخيًا يفتقر أحيانًا إلى دقة المراجع والتحليل العميق للواقع الإسلامي. كما أن كتاباته التاريخية تميزت أحيانًا بمزج الحقائق التاريخية بالخيال الأدبي، مما جعل من بعض أعماله أقرب إلى الرواية الأدبية منها إلى دراسة تاريخية دقيقة.

[٦٥] - احمد عمر الإسكندري الفنون الادبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة دار العلم للملايين (٢٠٠١) ٨١-٨

لكن لا يمكن إنكار أن جرجي زيدان كان رائدًا في أدب الرواية التاريخية في العالم العربي، ولا سيما في نقل الأحداث التاريخية إلى قالب سردي يسهل فهمه ويجذب القارئ. وعلى الرغم من الانتقادات التي واجهتها بعض أعماله، فإن مجهوداته الفكرية والإبداعية أسهمت بشكل كبير في تطور الأدب العربي المعاصر، وأثرت في العديد من الأجيال اللاحقة من الأدباء والنقاد. وفي الختام، رغم الجدل الذي يحيط بأعماله من منظور تاريخي وديني، تظل مساهمات جرجي زيدان في الأدب العربي علامة فارقة تستحق الدراسة والتأمل، فهو يجسد إشكالية التفاعل بين التراث العربي والوافد الغربي، وكيف يمكن أن يُعيد الأدباء تشكيل تاريخهم وثقافتهم في ضوء العصر الذي يعيشون فيه.

المصادروالمراجع

- ✓ محمد عبد الغني الحسنى, جرجى زيدان, الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠
- ✓ نظيرعبود، جرجي زيدان : حياته، أعماله، ما قيل فيه دارمارون عبود (١٩٧٣)
- ✓ أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. بيروت: دارالعلم (٢٠٠٠)
- ✓ مامون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية جدة دارالمنارة، (١٩٠٨)
- ✓ نجيب الكيلاني، المذاهب الأدبية والإسلامية بيروت مؤسسة الرسالة (١٩٧٨)
- ✓ لمحمد حسين هيكل في أوقات الفراغ القاهرة داركلمات عربية، (٢٠١٢)
- ✓ عبد المحسن طه بدر، تطولر الرو اية العربية الحديثة في مصر. دارالمعارف (١٩٩٨)
- ✓ عمرالدسوقي، في الأدب الحديث دارالفكرالعربي (٢٠٠٠)
- ✓ حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي - بيروت : مكتبة المدرسة الطبعة الأولى – (١٩٥٥)
- ✓ احمد عمر الإسكندري الفنون الادبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة دار العلم للملايين (٢٠٠١)

أدب اللجوء: من الألم إلى المقاومة

حارث.ك باحث الدكتوراه, كلية سلم السلام العربية,أريكود
د.عبد الوهاب.س، أستاذ مساعد و مشرف, كلية سلم السلام العربية,أريكود

الملخّص

يشكّل أدب اللجوء أحد أبرز التحوّلات في المشهد الأدبي العربي المعاصر، إذ ارتبط بظاهرة النزوح القسري التي عاشها ملايين العرب بعد الحروب والاضطرابات السياسية، خاصة في سوريا وفلسطين والعراق. انطلقت الكتابة من عمق الألم والتمزّق لتتحول إلى فعل مقاومة فكرية وجمالية تعبّر عن التمسّك بالذاكرة والهوية. يسعى هذا البحث إلى دراسة التحوّل الجمالي والإنساني في أدب اللجوء، من كونه مجرّد تCوثيق للمأساة إلى كونه أداة وعي ومقاومة,لأن الإنسان حينما يواجه الأزمة يفتش عن الوسائل التي يخلصه منه بالقول أو الفعل.ويكون الألم الذي أنقظ ظهره في أول الأمر يصبح جسرا يعبر به الأهوال.

الكلمات المفتاحية:

اللجوء، الأدب المقاوم، الذاكرة، الهوية، المنفى، السرد العربي المعاصر.

المقدمة

صار قضية "اللجوء" أحد المصطلحات نفاذا في العصر الحديث اجتماعية و سياسية ونقدية التي تداولت بين النقاد و الباحثين والمفكرين كأنه يعالج أزمة الإنسان المنفصل من بلده و مجتمعه.وهذا الأنفصال الموجع يؤديه إلي قلقا نفسيا واضطرابا مع عدم قدرة الإنسجام مع المجتمع اللاجئ أو في

وطنه الأم[66].وهم أيضا يواجهون الصعوبة في التعامل مع المجتمعات المختلفة عنه لغويا وثقافيا و حضاريا,وحينما يغترب اللاجئ جغرافيا بجسده يفقد هويته الأصلي التي صوّرته.

وشهد الأدب العربي خلال العقود الأخيرة ولادة تيارٍ جديد يعبّر عن مأساة الإنسان العربي في المنفى، وهو ما بات يُعرف بـ«أدب اللجوء». فبعد أن كانت الكتابة فعلًا جماليًا محضًا، غدت وسيلة للبقاء والتعبير عن الذات في وجه الفقد والاقتلاع..

تنبع أهمية هذا الأدب من كونه يجسّد مرحلة تاريخية تتقاطع فيها السياسة والإنسانية والهوية، حيث يتحوّل الألم الفردي إلى صوتٍ جمعيّ، ويتحوّل الحنين إلى مقاومة رمزية ضد النسيان والتهميش.

يشكّل أدب اللجوء أحد أبرز المظاهر الثقافية والإنسانية التي رافقت التحولات السياسية والاجتماعية في العالم العربي خلال العقدين الأخيرين، خاصة بعد اندلاع موجات الربيع العربي وما تلاها من حروب ونزوح قسري. فالأدب، بوصفه مرآة للواقع وفضاءً للتعبير عن الوعي الجمعي، تحوّل في تجربة اللجوء من مجرّد وسيلة للتوثيق أو الشهادة إلى فعل مقاومةٍ رمزيّ يعيد للمنفيين صوتهم وكرامتهم. ومن هنا ينبثق البعد المزدوج لأدب اللجوء: الألم بوصفه تجربة وجودية، والمقاومة بوصفها فعل بقاءٍ وهويّة.

الألم كمنطلق وجودي في أدب اللجوء

يُعَدّ الألم البذرة الأولى التي ينبت منها أدب اللجوء، إذ يشكّل فقدان الوطن والانتماء والذاكرة الجماعية جرحًا وجوديًا لا يمكن تجاوزه بسهولة. فالمبدع اللاجئ يعيش انشطارًا بين وطنه الأصلي

[66] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، 2013

والوطن الملتجأ، بين الحاضر الممزّق والماضي الذي تحوّل إلى فردوس مفقود. ونري في الروايات والشعر والمذكرات، يتجلّى هذا الألم في صور متعددة التي تعبر عن الحنين إلى المكان الذي غادره الكاتب قسرًا، كما في نصوص خالد خليفة وسمر يزبك ومحمد فتحي المقداد وغيرهم من الأدباء.وللاجئون يعرض بإحساس لا جدوي أمام عالمٍ يعجز عن استيعاب معاناة اللاجئ التي تصيبه نفسيا و جسميا, الذي يجعل المنفي في صراع دائم بين الانتماء والاغتراب له[67]. تتأسس تجربة الكتابة في المنفى على الإحساس العميق بالفقد, فاللاجئ يعيش انشطارًا بين المكانين: الوطن المفقود والمنفى المؤقت الذي لا يمكنه الإندماج الكامل في ذلك المجتمع الغريب له. ويعبّر الكتّاب عن هذا الألم من خلال استعادة الطفولة والذاكرة الجماعية كنوع من التعويض الرمزي تصوير القهر والاغتراب اللذين يخلّفهما اللجوء في النفس واللغة بناء صورٍ أدبية تعبّر عن تشظّي الذات وضياع المعنى ونراه في روايات مثل «لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة»[68] لخالد خليفة و«المشّاء» لسمر يزبك، يظهر الألم لا بوصفه حالة شعورية فحسب، بل كمنظورٍ فلسفي للوجود، حيث يتحوّل المنفى إلى مرآة للذات الإنسانية الممزّقة.

أدب اللجوء كفعل مقاومة

على الرغم من الطابع المأساوي لتجربة اللجوء، فإن أدبها يقدّم خطابًا مقاومًا يعيد تعريف القوة في سياق الضعف وهذه المقاومة تتجلي في مستويات مختلفة.كما يُعدّ أدب اللجوء فعلًا من أفعال المقاومة الثقافية والإنسانية، إذ لا يكتفي بتوثيق الألم والمعاناة، بل يتجاوزهما إلى إعادة صياغة الوعي الجمعي والهوية في مواجهة سياسات القهر والنفي. فاللاجئ في النص الأدبي ليس مجرد

[67] سمر يزبك، تقاطع نيران: من يوميات الثورة السورية، دار الآداب، 2012
[68] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، 2013

ضحية للتاريخ، بل هو فاعلٌ يواجه التهميش والاقتلاع بالكلمة والذاكرة، ويحوّل الكتابة إلى مساحة دفاع عن الكرامة والوجود. ومن خلال السرد، يستعيد اللاجئ صوته المفقود ويُعرّي سرديات القوة التي حاولت محوه، فيُصبح الأدب هنا سلاحًا رمزيًا في مقاومة الصمت والنسيان، ومجالًا لتأكيد الانتماء والحق في الحلم والمكان والإنسانية.[69]

يُجسّد أدب اللجوء فعلًا من أفعال المقاومة الإنسانية والثقافية، إذ يتحوّل فيه السرد إلى سلاح رمزي في وجه القهر والنسيان. فالكاتب اللاجئ لا يكتفي بتصوير معاناته، بل يقاوم بها، فيكتب ليحفظ الذاكرة الجماعية من الاندثار ويمنح صوتًا لمن حُرم من النطق. ومن خلال الكتابة، يواجه التهميش والاقتلاع، رافضًا أن يُختزل في صورة الضحية، فيُعيد رسم ملامح ذاته ووطنه بالكلمات. كما يُعدّ هذا الأدب مقاومةً للقطيعة مع الجذور، إذ يستحضر المنفي وطنه المفقود في اللغة والذاكرة ليعيد بناء انتمائه الرمزي، ومقاومةً لليأس عبر تحويل الألم إلى طاقة للإبداع والحياة. إنه أيضًا مقاومةٌ للاستعمار الرمزي الذي يصوّر اللاجئ ككائن هشّ، فيقدّم نفسه كصاحب تجربة ووعي. ومن خلال هذه الأبعاد، يغدو أدب اللجوء مساحة لمقاومة الصمت والتشييء والنهايات المغلقة، مؤكدًا أن المنفى ليس موتًا، بل بداية جديدة للذات وللإنسانية.

التحوّل من الوجع إلى الوعي

يمثّل التحوّل من الوجع إلى الوعي مسارًا جوهريًا في تجربة أدب اللجوء، حيث لا يبقى الألم مجرّد حالة شعورية، بل يتحوّل إلى طاقة فكرية ومعرفية تُعيد للإنسان قدرته على الفهم والمقاومة. فالكاتب اللاجئ يبدأ من جرحه الذي أجرح قلبه وروحه، من فقد المكان والهوية، لكنه لا يتوقف

[69] أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1972

عند حدود الشكوى والعتاب، بل يُحوّل المعاناة إلى وعيٍ نقدي بالذات والعالم. ومن خلال الكتابة، يكتشف معنى الألم بوصفه طريقًا للتأمل و التفكر وإعادة النظر في القيم والوجود، فيتحوّل النص إلى مساحة لاستخلاص الدروس من الفقد، وإلى فعل وعيٍ يعيد للإنسان إنسانيته المفقودة المسلوبة. وهكذا يصبح الأدب مرآةً لتحوّل اللاجئ من ضحيةٍ مأزومة بالوجع إلى فاعلٍ يعي قضيته، ويحوّل جراحه ومشقاته إلى بصيرةٍ تنير درب الحرية والكرامة.

مع تراكم النصوص وتنوّع التجارب، تجاوز أدب اللجوء مرحلة البكاء على الأطلال والبيوت والوطن الحبيب ليصبح أدب وعيٍ نقديٍ ويقظة يراجع جذور المأساة وأسبابها,والعوامل التي أدت إلي هذه المعاناة والتجارب الصعوبة[70]. فالكتّاب الجدد المعاصرون لا يكتفون بسرد الألم، بل يسائلون البنى السياسية والاجتماعية التي أنتجته من حرب و نزوح واغتراب. كما يطرحون رؤىً جديدة عن الوطن والمواطنة والانتماء، ويعيدون تعريف مفهوم الهوية المتنقلة في عالمٍ تتسارع فيه الهجرات والتحوّلات, بهذا، يغدو أدب اللجوء أفقًا للتفكير والمساءلة أكثر من كونه مجرد تعبير وجداني.

الخاتمة

يخلص هذا البحث إلى أن أدب اللجوء لم يعد مجرّد انعكاس لمعاناة الإنسان المقتلع من أرضه، بل أصبح فضاءً للتفكير والمقاومة وإعادة بناء الوعي. فمن خلال الألم والتمزّق، وُلِدت طاقة إبداعية جديدة أعادت للكتابة دورها الإنساني الأصيل، بوصفها أداةً للفهم والتغيير. لقد تجاوز الأدب هنا حدود التوثيق إلى أفقٍ أرحب من التأمل والمساءلة، حيث تحوّل الوجع إلى وعي، والفقد إلى فعل مقاومة. وفي هذا السياق، شكّل أدب اللجوء مسارًا مزدوجًا يجمع بين الحنين والتمرّد، بين الجرح

[70] محمد فتحي المقداد, فوق الأرض 2019

والرؤية، ليقدّم للإنسان العربي والعالمي صورة أكثر عمقًا عن تجربة المنفى بوصفها رحلة بحثٍ عن المعنى والكرامة والهوية. وهكذا، فإن أدب اللجوء لا يكتفي بأن يكون شهادةً على الألم، بل يصبح صرخة وعيٍ إنسانيٍّ مقاوم يعيد للمنفي صوته، وللذاكرة حضورها، وللكلمة قدرتها على إعادة بناء العالم.

نتيجة البحث

تُظهر نتائج هذا البحث أن أدب اللجوء يمثّل مرحلة تحوّل عميقة في مسار الأدب العربي المعاصر، إذ تجاوز حدود التوثيق والبكاء على المأساة ليصبح فعلًا من أفعال الوعي والمقاومة. فقد انطلق من رحم الألم ليعيد صياغة التجربة الإنسانية في المنفى، محوّلًا الوجع إلى بصيرة والاقتلاع إلى وعيٍ نقديٍّ بالذات والواقع. وتبيّن من خلال الدراسة أن الكتابة في سياق اللجوء ليست مجرد تعبير عن معاناة فردية، بل هي مقاومة رمزية في وجه التهميش والنسيان، وإعادة بناءٍ للذاكرة والهوية والكرامة. كما أنّ هذا الأدب أسّس لرؤية جديدة للإنسان والوطن والانتماء، فغدت الكلمة وسيلة للنجاة والحفاظ على الوجود. وهكذا يمكن القول إن أدب اللجوء أصبح مساحة للوعي الجماعي والبحث عن المعنى وسط الخراب، وشاهدًا على قدرة الإنسان العربي على تحويل الجراح إلى طاقة إبداعية تكتب الحياة من بين رماد الفقد.

المصادروالمراجع

- ✓ خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٣
- ✓ سمر يزبك، تقاطع نيران: من يوميات الثورة السورية، دار الآداب، ٢٠١٢.
- ✓ أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
- ✓ محمد فتحي المقداد, فوق الأرض 2019.

- ✓ إدوارد سعيد، خارج المكان، دار الآداب، ١٩٩٩.
- ✓ رضوى عاشور، الطريق إلى الخيمة الأخرى، دار الهلال، ١٩٩١
- ✓ حسن نجمي، الهجرة والهوية في الأدب المعاصر، مجلة فصول، القاهرة، ٢٠١٨.
- ✓ عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠.
- ✓ محمد فتحي المقداد, الطريق إلي الزعتري ٢٠١٨.

سمر يزبك: صوت الصامت في سوريا

فرحانة كمال، باحثة دكتوراه، كلية م.س.م كايمكولام
د. فاروق اس، أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية، كلية م.س.م كايمكولام

الملخص:

تتناول هذه الدراسة التجربة الأدبية والحقوقية للكاتبة والصحافية السورية سمر يزبك بوصفها إحدى أبرز الأصوات المعاصرة التي وثّقت معاناة السوريين في ظل النظام الشمولي، ولا سيما بعد اندلاع حرب الأهلية السورية عام ٢٠١١. وتقدّم الدراسة خلفية تاريخية موجزة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في سوريا قبل الثورة، مع الإشارة إلى مراحل الاضطراب وتراكم الأزمات في ظل حكم حافظ الأسد وابنه بشار الأسد وما رافقه من ممارسات قمعية. كما تسلط الضوء على التحولات السياسية والإنسانية التي شهدتها البلاد منذ عام ٢٠١١، وتفحص إسهامات سمر يزبك الأدبية والفكرية التي عالجت قضايا الطائفية والهوية والمرأة، بالإضافة إلى دورها الحقوقي من خلال مبادراتها الإنسانية، ولا سيما عبر تأسيس منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"[٧١]. وتخلص الدراسة إلى أنّ سمر يزبك تمثّل نموذجا بارزا في المشهد الثقافي السوري المعاصر بقدرتها على الدمج بين الكتابة الإبداعية والعمل الحقوقي.

[٧١] تأسست منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" خلال عام 2012 في العاصمة الفرنسية باريس على يد الصحفية السورية سمر يزبك، لتكون مبادرة شعبية تسعى لدعم النساء والفتيات طوال الأزمة السورية، وكان هدفها في البداية خلق مساحات آمنة يمكن للنساء من خلالها أن يجتمعن ويتشاركن المعارف والخبرات، ويبحثن بصورة جماعية في الأساليب التي يمكن من خلالها دعم مجتمعاتهن، ومنذ ذلك الحين، تطورت تلك المنظمة لتصبح منظمة نسوية رائدة تعمل في مناطق الحرب والبيئات المتضررة بسبب النزاع، داخل سوريا وخارجها.

الكلمات المفتاحية:

سمر يزبك ، الثورة السورية ، حقوق الإنسان ، النظام السوري،القمع السياسي ،اللجوء والنزوح

المقدمة:

تعدّ الكتابة الأدبية في المجتمعات التي تخضع للقمع السياسي وتعيش تحت وطأة النزاعات والحروب أداة فاعلة للمقاومة وكشف المستور، إذ تتيح للكاتب تفكيك بنية السلطة وتوثيق التجارب الإنسانية التي غالبا ما تهمّش في السرديات الرسمية. وفي السياق السوري المعاصر، برزت مجموعة من الكتّاب الذين اضطلعوا بدور محوري في نقل معاناة الداخل السوري إلى العالم، وتعدّ الكاتبة والناشطة الحقوقية سمر يزبك من أبرز هذه الأصوات. فقد نشأت يزبك في بيئة اجتماعية وسياسية معقّدة، واستطاعت من خلال أعمالها الروائية والتوثيقية أن ترصد بعمق وجدان الإنسان السوري، ولا سيما المرأة، في ظل نظام سلطوي وحرب دامية تركت آثارا عميقة على الفرد والمجتمع.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية لمسيرة سمر يزبك الأدبية والحقوقية، من خلال ربط تجربتها الشخصية بسياق الثورة السورية التي اندلعت عام 2011، وتسليط الضوء على أهم المحطات التاريخية التي أسهمت في بلورة رؤيتها الفكرية والإنسانية. كما تسعى الدراسة إلى إبراز موقع يزبك ضمن خارطة الأدب العربي المعاصر بوصفها صوتا جمع بين السرد الروائي والشهادة التاريخية والانخراط الفاعل في العمل الحقوقي، بما يجعل تجربتها نموذجا معبّرا عن التداخل بين الإبداع الأدبي والالتزام الأخلاقي والسياسي في مواجهة الاستبداد وتوثيق مأساة الإنسان السوري.

لمحة تاريخية عن سوريا قبل الثورة

تعد سوريا واحدة من أقدم المراكز الحضارية في العالم، غير أن تاريخها الحديث بدأ فعليا عقب الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي في السابع عشر من أبريل عام ١٩٤٦، حيث أعلنت الجمهورية السورية الحديثة، لتبدأ مرحلة جديدة من بناء الدولة الوطنية.

غير أن هذه المرحلة تميّزت بعدم الاستقرار السياسي، إذ شهدت البلاد خلال الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٧٠ سلسلة متواصلة من الانقلابات العسكرية والنزاعات بين الأحزاب السياسية، كان أبرزها الصراع بين التيارات القومية واليسارية والإسلامية. هذه الفوضى السياسية أضعفت مؤسسات الدولة وأدت إلى تدهور الحياة الديمقراطية التي كانت سوريا قد شرعت في ممارستها منذ الاستقلال[72].

في عام ١٩٦٣، استولى حزب البعث العربي الاشتراكي[٧٣] على السلطة عبر انقلاب عسكري عرف بثورة الثامن من آذار[٧٤]، وبدأت بذلك مرحلة جديدة قوامها الحكم الشمولي القائم على الحزب الواحد، حيث تم إلغاء التعددية السياسية، وأقصيت القوى المعارضة، وتم تقييد الصحافة والحريات العامة.

[72] الحياه الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الاحزاب السياسية وتطورها، 1955-1908. (2019). لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[٧٣] حزب البعث العربي الاشتراكي حزب سياسي تأسس في سوريا على يد ميشيل عفلق وصلاح البيطار وزكي الأرسوزي .تبنى الحزب مفهوم البعثية (وتعني «النهضة» أو «الصحوة»)، وهي خليط إيديولوجي من القومية العربية والوحدة العربية والإشتراكية العربية ومعاداة الإمبريالية .تدعو البعثية إلى توحيد الوطن العربي في دولة واحدة.

[٧٤] انقلاب عام 1963 في سوريا أو ثورة الثامن من آذار كما يسمى رسميا، هو استيلاء اللجنة العسكرية التابعة للفرع السوري لحزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة المدنية والعسكرية في سوريا.

وفي عام ١٩٧٠، قام حافظ الأسد[٧٥]، وزير الدفاع آنذاك، بانقلاب داخلي داخل حزب البعث عرف بـ"الحركة التصحيحية"[٧٦]، استلم على إثرها السلطة كرئيس للجمهورية، مؤسسا بذلك نظاما رئاسيا سلطويا دام أكثر من ثلاثين عاما. اعتمد حافظ الأسد في حكمه على بناء جهاز أمني معقد وقوي يتغلغل في مفاصل الدولة والمجتمع، معتمدا على الولاءات الطائفية والقبلية والحزبية، خاصة الطائفة العلوية التي ينتمي إليها، ما كرّس نوعا من الانقسام الاجتماعي والسياسي.

تميزت فترة حكم حافظ الأسد بغياب الحياة السياسية الحرة، إذ كانت السلطة تسيطر على الإعلام، وتمنع تشكيل أحزاب خارج إطار "الجبهة الوطنية التقدمية"[٧٧]، وهي مظلة شكلية تضم بعض الأحزاب المتحالفة مع البعث. كما لجأ النظام إلى استخدام القمع المفرط ضد أي حركة معارضة، وكان أبرز الأمثلة على ذلك مجزرة حماة عام ١٩٨٢ التي أسفرت عن مقتل آلاف المدنيين خلال مواجهة بين السلطة وتنظيم الإخوان المسلمين[78].

[٧٥] حافظ الأسد (06 أكتوبر 1930 – 10 يونيو 2000) سياسي وضابط عسكري سوري، شغل منصب رئيس سوريا منذ عام 1971 وحتى وفاته في عام 2000. كما شغل منصب رئيس وزراء سوريا من عام 1970 إلى 1971، وكان الأمين القطري للقيادة القطرية للفرع السوري لحزب البعث العربي الاشتراكي والأمين العام للقيادة القومية لحزب البعث من عام 1970 حتى 2000.

[٧٦] الحركة التصحيحية هي حركة تغييرية انقلابية في سوريا قام بها وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس في 13تشرين الثاني 1970 وعين على إثرها أحمد الحسن الخطيب رئيسا للجمهورية مؤقتا، وصل بعدها حافظ الأسد إلى سدة الحكم.

[٧٧] كانت الجبهة الوطنية التقدمية ائتلافا مكونا من مجموعة من الأحزاب الوطنية والقومية الاشتراكية والشيوعية في سوريا بقيادة حزب البعث العربي الإشتراكي، ترأس الجبهة القيادة المركزية والتي نص ميثاقها على أن تتكون من الأمناء العامين للأحزاب والمنظمات المنضوية تحت الجبهة وأعضاء من حزب البعث العربي الاشتراكي على أن يكون الأعضاء البعثيين يشكلون النصف زائد واحد من مقاعد القيادة.

[78] دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر .لبنان, توزيع جروس برس،, 2000.

عقب وفاة حافظ الأسد في يونيو ٢٠٠٠، تولّى ابنه بشار الأسد[٧٩] الحكم في انتقال سلمي منظّم دستوريا ولكن عبر تعديل دستوري سريع خفّض سن الترشح للرئاسة ليتناسب مع عمره. صاحب صعود بشار الأسد إلى السلطة آمال بإصلاحات سياسية واقتصادية أطلق عليها اسم "ربيع دمشق"، حيث شهدت البلاد حوارات ثقافية ومنتديات فكرية، لكن سرعان ما تم قمع هذه الحركة وإغلاق المنتديات واعتقال المعارضين.

ومنذ ذلك الحين، بقيت السلطة متمسكة بسياسة الانفتاح الاقتصادي المقيد، دون السماح بأي حراك سياسي حقيقي. فقد جرى توسيع الطبقة الرأسمالية المقربة من النظام، مما أدى إلى تفاقم الفجوة الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء، خاصة في المناطق الريفية التي عانت من الإهمال وغياب التنمية. وفي هذا السياق، كانت البيئة الاجتماعية والسياسية السورية مشبعة بعوامل الاحتقان: من غياب الحريات، وانعدام العدالة الاجتماعية، وتضخم الفساد الإداري والمالي، حتى اندلعت الشرارة الأولى للاحتجاجات الشعبية في مارس ٢٠١١ متأثرة بموجة الثورات العربية في تونس ومصر.

الوضع السياسي في سوريا بعد عام ٢٠١١

مع بداية ما عرف بالربيع العربي[٨٠] في أواخر عام ٢٠١٠ وبداية عام ٢٠١١، انتقلت موجة الاحتجاجات الشعبية المطالبة بالحرية والعدالة الاجتماعية إلى سوريا. خرجت المظاهرات في عدة

[٧٩] بشار حافظ علي الأسد ولد في 11سبتمبر1965 . هو الرئيس السابق للجمهورية العربية السورية، بدأ حكمه في 17يوليو 2000 وحتى الإطاحة به في 8 ديسمبر 2024، بعد أن انتخبه الفرع السوري لحزب البعث العربي الاشتراكي أمينا قطريا عاما له خلفا لوالده حافظ الأسد.

[٨٠] الثورات العربية، أو الربيع العربي أو ثورات الربيع العربي في الإعلام، هي حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في بعض البلدان العربية خلال أواخر عام 2010ومطلع 2011، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق محمد البوعزيزي نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن

مدن سورية، أبرزها درعا ودمشق وحمص، حيث نادى المتظاهرون بإجراء إصلاحات سياسية وإطلاق الحريات العامة ومكافحة الفساد المستشري في أجهزة الدولة. ورغم الطابع السلمي الذي تميزت به هذه الاحتجاجات في مراحلها الأولى، جاء رد النظام السوري قمعيا وعنيفا، إذ تم استخدام القوة المفرطة من قبل قوات الأمن والجيش، بما في ذلك الذخيرة الحية والاعتقالات الواسعة، ما أدى إلى سقوط ضحايا وتحول الحراك تدريجيا من احتجاجات سلمية إلى نزاع مسلح داخلي.

ومع تفاقم الصراع، شهدت الدولة السورية حالة من التفكك السياسي والجغرافي، حيث تقسمت البلاد إلى مناطق نفوذ متعددة. سيطر النظام السوري على أجزاء من العاصمة دمشق وبعض المدن الكبرى، بينما ظهرت قوى معارضة مسلحة في مناطق أخرى، إلى جانب القوى الكردية التي شكلت إدارات ذاتية في الشمال الشرقي. هذا التفتت الجغرافي أضعف سلطة الدولة المركزية وفتح المجال أمام تنازع القوى المختلفة على السيطرة والنفوذ.

زاد من تعقيد المشهد السوري دخول قوى إقليمية ودولية على خط النزاع. فقد تدخلت إيران وروسيا إلى جانب النظام السوري، مقدمتين له الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي، بينما دعمت تركيا وقوى غربية، مثل الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية، فصائل معارضة مسلحة

علي، وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية .

مختلفة. هذا التداخل الإقليمي والدولي جعل من الأزمة السورية ساحة لصراعات إقليمية ودولية متشابكة، مما أعاق التوصل إلى حلول سياسية شاملة حتى اليوم.

إضافة إلى ذلك، أدى الفراغ الأمني الذي خلفه الصراع إلى ظهور جماعات متطرفة مسلحة، كان أبرزها تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"[٨١] (داعش) وجبهة النصرة. وقد سيطرت هذه الجماعات على مساحات واسعة من الأراضي السورية، لا سيما في الشرق والشمال، وارتكبت انتهاكات واسعة بحق المدنيين، ما زاد من حجم المعاناة الإنسانية وعمّق الانقسام الداخلي.

على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، شهدت سوريا تدهورا غير مسبوق، إذ انهارت عملتها بشكل كبير وارتفعت معدلات الفقر والبطالة إلى مستويات قياسية، وتوقفت معظم الخدمات العامة الأساسية مثل الصحة والتعليم والكهرباء والمياه في العديد من المناطق. كما تعرّضت البنية التحتية، بما في ذلك المستشفيات والمدارس والطرق، لدمار واسع نتيجة القصف المتبادل بين الأطراف المتنازعة. أما من الناحية الإنسانية، فقد تحولت سوريا إلى واحدة من أكبر مآسي اللجوء والنزوح في العصر الحديث، حيث تشير تقارير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إلى أن أكثر من نصف السكان أصبحوا نازحين داخليا أو لاجئين خارج البلاد. وبذلك، شكّل الوضع السوري بعد ٢٠١١ نموذجا مأساويا لحروب القرن الحادي والعشرين، حيث تداخلت العوامل

[٨١] الدولة الإسلامية او باسمه السابق الدولة الإسلامية في العراق والشام أو باختصار داعش،، هو تنظيم مسلح يتبع الفكر السلفي الجهادي، تأسس في العراق عام 2003على يد أبو مصعب الزرقاوي تحت اسم» جماعة التوحيد والجهاد «وتطور لاحقا ليعرف بـ»الدولة الإسلامية في العراق والشام«، أعلن التنظيم قيام «الخلافة الإسلامية» في يونيو 2014، وسيطر على مساحات شاسعة في العراق وسوريا حتى تراجع نفوذه عام 2017.

المحلية مع الإقليمية والدولية، وسط غياب حل سياسي متكامل، واستمرار معاناة الشعب السوري في ظل غياب الأفق الواضح لإنهاء الأزمة.

سمر يزبك ومسيرتها الأدبية

ولدت الكاتبة والناشطة السورية سمر يزبك عام ١٩٧٠ في مدينة جبلة بمحافظة اللاذقية،[٨٢] وتنتمي للطائفة العلوية. هذه الخلفية الاجتماعية والطائفية كان لها أثر واضح في تشكيل وعيها، خاصة في ظل التركيبة السياسية والاجتماعية في سوريا. منذ نعومة أظفارها، أبدت ميولا واضحة نحو الأدب والكتابة، ما دفعها لاحقا لدراسة الأدب العربي في الجامعة. مع بداية تسعينيات القرن العشرين، دخلت يزبك عالم الصحافة وعملت في عدد من الصحف والمجلات الثقافية، إلى جانب انخراطها في كتابة الرواية والقصة. تميزت أعمالها المبكرة بطرح قضايا إنسانية واجتماعية بأسلوب نقدي شجاع،

مع اندلاع الثورة السورية في مارس 2011، كان موقف سمر يزبك لافتا ومميزا، إذ أعلنت معارضتها الصريحة للنظام السوري رغم انتمائها للطائفة العلوية التي ارتبطت في نظر الكثيرين بدعم السلطة الحاكمة. أصرت يزبك على موقفها، وشاركت في المظاهرات ونقلت صوت الثوار ومعاناتهم في كتاباتها ومقابلاتها الإعلامية[83].

لم تتوقف جهود سمر يزبك عند حدود الكتابة والتوثيق، بل اتجهت نحو العمل الميداني في المجال الحقوقي والإنساني. في هذا الإطار، أسست منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" عام ٢٠١٣، وهي

[٨٢] https://www.alqiyady.com/12.10.2025

[83] https://dawnmena.org/ar/12.10.2025/

منظمة غير حكومية تعنى بتمكين النساء السوريات، سواء داخل سوريا أو في المخيمات ودول اللجوء[٨٤]. تركز المنظمة على تقديم برامج تعليمية ومهنية للنساء والفتيات السوريات.

أعمال سمر يزبك الأدبية

قبل اندلاع الثورة السورية، كانت سمر يزبك قد أثبتت حضورها الأدبي من خلال روايات جريئة تتناول قضايا اجتماعية شائكة. من أبرز هذه الأعمال رواية **"طفلة السماء** "التي صدرت عام ٢٠٠٢. في هذه الرواية، طرحت يزبك بجرأة مسألة الطائفية في المجتمع السوري، مسلطة الضوء على المعاناة التي تعيشها المرأة ضمن هذه المنظومة المعقدة. الرواية تحلل بعمق العلاقات الاجتماعية والثقافية والدينية، وتكشف عن هشاشة البنى الاجتماعية التي تقوم على الانتماءات الطائفية.

أما روايتها الثانية **"رائحة القرفة** "التي صدرت عام ٢٠٠٨، فقد شكلت محطة مهمة في مسيرتها الأدبية، إذ ركزت من خلالها على قضايا الصراع الطبقي والأنثوي في دمشق.[٨٥] الرواية ترسم صورة دقيقة للعلاقة المعقدة بين سيدات المجتمع المخملي وخادماتهن، كاشفة عن الطبقات الخفية من التمييز الاجتماعي والنفسي الذي تعيشه النساء في كلا الجانبين. وقد لاقت الرواية انتشارا واسعا وترجمت إلى لغات عدة، مما منح يزبك حضورا أدبيا عربيا ودوليا لافتا.

[٨٤] نح مجلس إدارة المعهد الكاتالوني الدولي للسلام جائزة "السلام في طور التقدم" لعام 2025 لمنظمة سورية وهي "النساء الآن من أجل التنمية" وذلك لعملها في مجال

[٨٥] https://www.alquds.co.uk/13.10.2025

مع انطلاق الثورة السورية في عام ٢٠١١، انعكس الواقع الجديد في سوريا بوضوح على نتاج يزبك الأدبي، إذ تحولت كتاباتها إلى توثيق مباشر ومكثف للأحداث. من أبرز ما كتبته في هذه المرحلة كتاب **"تقاطع النيران "**الصادر عام ٢٠١٢. يتضمن هذا الكتاب يوميات شخصية كتبتها خلال الأشهر الأولى للثورة، ويعد من أوائل النصوص التي وثّقت الأحداث من قلب سوريا عبر شهادة نسائية حية.[٨٦]

في عام ٢٠١٥، أصدرت يزبك كتابها المعروف عالميا **"بوابات أرض العدم**(The Crossing) "، الذي روت فيه تفاصيل رحلاتها السرية إلى الداخل السوري بعد خروجها إلى المنفى في فرنسا.[٨٧] الكتاب يجمع بين البعد الشخصي والإنساني والسياسي، حيث تلتقي يزبك بالناس العاديين الذين يعيشون تحت القصف والحصار، وتنقل معاناتهم للعالم بلغة أدبية وثائقية مؤثرة.

ثم جاء كتابها **"تسع عشرة امرأة "**الصادر عام ٢٠١٨، ليكمل هذا المسار. يضم الكتاب شهادات تسع عشرة امرأة سورية من خلفيات مختلفة، يسردن تجاربهن مع الحرب، الاعتقال، اللجوء، والفقدان. يتسم هذا العمل بطابع إنساني عميق ويعتبر وثيقة مهمة لتاريخ المرأة السورية في زمن الحرب[88].

[٨٦] https://ar.wikipedia.org/wiki/13.10.2025
[٨٧] https://rayaagency.org/2015/11/al-araby-samar-yazbek-the-syrian-svetlana-alexievich/15.10.2025
[88] https://www.aljazeera.net/culture/2018/1/29/15.10.2025

تعد رواية "مشّاءة" من أبرز أعمال الكاتبة السورية سمر يزبك التي تجسّد بعمق أثر الحرب على الإنسان، ولا سيما على الأطفال والنساء. تتناول الرواية رحلة فتاة صغيرة تدعى "مشّاءة" تعاني اضطرابات نفسية نتيجة ما شهدته من عنف ودمار في سوريا. تدور الأحداث في أجواء سريالية ورمزية، غير أنها تحمل بين طياتها واقعا مؤلما يعكس الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وتجعل من شخصية "مشّاءة" تجسيدا لمعاناة الطفولة والأنوثة وسط أتون الصراع السوري[89].

أما رواية "مقام الريح"، فهي عمل آخر يعكس رؤية سمر يزبك العميقة لتجربة اللجوء السوري وما تخلله من ألم وإنسانية. من خلال شخصية البطل "سامر"، اللاجئ السوري، تستعرض الرواية رحلة الهروب من الحرب نحو أوروبا، كاشفة عن مختلف أشكال الانتهاكات التي عانى منها اللاجئون، سواء داخل سوريا أو أثناء الرحلة أو حتى في أماكن اللجوء الجديدة.

السمات الأسلوبية في أعمالها

في كتابات سمر يزبك تتجلى سمات أسلوبية خاصة تميزها عن كثير من الكتّاب المعاصرين. وتتميز لغتها بالوضوح والصراحة، فهي لا تلجأ إلى الغموض أو المبالغة في المجاز، بل تحرص على عرض الحقائق كما هي، دون مجاملة سياسية أو تجميل للحقيقة، مما يمنح كتاباتها صدقا وقوة في التعبير عن الواقع السوري. كما تركز يزبك في أعمالها على تفاصيل الحياة اليومية تحت الحرب، لتقدّم صورا دقيقة للحياة في ظل الخوف، والقصف، والطوابير، والمعاناة اليومية التي يعيشها السوريون. هذا الاهتمام بالتفاصيل يجعل القارئ قريبا من الواقع المؤلم ويمنحه فهما عميقا لمعاناة الناس وحياتهم في ظل الأزمات.

[89] https://langue-arabe.ac-versailles.fr/16.10.2025

وإلى جانب ذلك، تحتل المرأة السورية مكانة مركزية في نصوصها، فهي ليست مجرد عنصر روائي، بل محور أساسي في بنية السرد، تجسده من خلال تصوير معاناة المرأة، وصمودها، وصوتها المقاوم في مواجهة العنف والتهميش.وبهذه الخصائص الأسلوبية والفكرية، رسخت سمر يزبك وجودها في المشهد الأدبي العربي والعالمي ككاتبة تزاوج بين الأدب والشهادة الحقوقية.

الخاتمة:

تمثل تجربة سمر يزبك نموذجا فريدا في الأدب السوري الحديث، إذ تداخلت فيها الأبعاد الشخصية مع القضايا الوطنية والإنسانية، فصورت من خلال رواياتها وأعمالها التوثيقية مأساة الشعب السوري، وخاصة النساء اللواتي عانين من الحرب والقمع واللجوء. ولم ينفصل نتاجها الأدبي عن نشاطها الحقوقي، إذ مزجت الكلمة بالفعل عبر تأسيسها منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"، مما منح أعمالها بعدا واقعيا وإنسانيا عميقا. وتؤكد تجربتها أن الكلمة الصادقة قادرة على مواجهة الظلم والاستبداد، وأن الأدب يمكن أن يكون منبرا للدفاع عن الكرامة الإنسانية في أحلك الظروف.

المصادروالمراجع:

- ✓ الخطيب، عبد الله. سوريا: من الثورة إلى الحرب. بيروت: دار الريس، 2019.
- ✓ تاريخ سورية المعاصر: من الانتداب الفرنسي الى صيف 2011 .لبنان, دار النهار للنشر، 2011 .
- ✓ أمل ميخائيل بشور. دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر. مصر, دار جروس, 2003.
- ✓ ياسين، سلامة. التاريخ السياسي لسوريا المعاصرة: من الاستقلال إلى الثورة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

- ✓ يزبك، سمر. طفلة السماء. دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٢.
- ✓ يزبك، سمر. رائحة القرفة. دار الآداب، ٢٠٠٨.
- ✓ يزبك، سمر. تقاطع نيران: من يوميات الثورة السورية. دار الآداب، ٢٠١٢.
- ✓ يزبك، سمر. بوابات أرض العدم. دار الآداب، ٢٠١٥.
- ✓ يزبك، سمر. تسع عشرة امرأة: قصص نساء من قلب الحرب السورية. بيروت: دار الآداب، ٢٠١٨.
- ✓ يزبك، سمر. المشّاءة. بيروت، دار الآداب، ٢٠١٧.
- ✓ يزبك، سمر. مقام الريح. دار الآداب، ٢٠٢١.
- ✓ "بين منفَيَين.. قراءةٌ في كتاب بوّابات أرض العدم للروائية السورية سمر يزبك." مجلة صور, ٢٠١٧.

أحمد مراد وروايته "تراب الماس":
رحلة في أعماق الجريمة والمجتمع

محمد سهل ك، باحث كلية بي تي يم، برنتل مانا، كيرلا
د.عبد الحميد ب.ك،مشرف، كلية تي يم جي ، ترور، كيرلا

تتناول هذه المقالة رواية "تراب الماس" للروائي المصري أحمد مراد، مع التركيز على تحليل بنائها السردي المعقد، وشخصياتها المتعددة الأبعاد، وموضوعاتها الاجتماعية والنفسية العميقة التي تعكس واقع المجتمع المصري. تستكشف المقالة كيفية توظيف مراد لعناصر التشويق البوليسي للكشف عن طبقات من الفساد والأسرار الدفينة التي تمتد عبر الأجيال. كما تسلط الضوء على الأسلوب المميز للمؤلف، الذي يجمع بين الدقة السينمائية في الوصف والعمق الأدبي، وقدرته الفائقة على حبك القصص التي تجمع بين المتعة الفنية والبعد الفكري، مما جعل الرواية تحقق نجاحًا جماهيريًا ونقديًا واسعا، وتعد علامة فارقة في مسيرة مراد الأدبية.

الكلمات المفتاحية :أحمد مراد، تراب الماس،سرد السينمائي ، تحليل أدبي، نقد مجتمعي .

المقدمة

في المشهد الأدبي العربي المعاصر، يبرز اسم أحمد مراد كأحد الروائيين الأكثر تأثيرا وشعبية، فقد استطاع ببراعة أن ينسج خيوط السرد البوليسي مع قضايا اجتماعية ونفسية شديدة التعقيد، مقدما أعمالا تلقى صدى واسعا لدى القراء والنقاد على حد سواء. تتميز أعماله بقدرتها على

الغوص في أعماق المجتمع المصري، كاشفة عن طبقاته المتناقضة وتحدياته الخفية. من بين أعماله البارزة، تحتل رواية" تراب الماس "مكانة خاصة، إذ تعد نموذجا حيا لقدرة مراد على بناء عوالم روائية متكاملة، تجمع بين الإثارة والتشويق والعمق الفكري. صدرت الرواية عام 2010، وحققت نجاحًا باهراً، لم يقتصر على المبيعات القياسية فحسب، بل امتد ليشمل تحويلها إلى فيلم سينمائي ناجح عام 2018. تهدف هذه المقالة إلى استكشاف أبعاد هذه الرواية، متعمقة في بنيتها السردية، تحليل شخصياتها، وتسليط الضوء على أبرز القضايا التي تطرحها، مع إبراز الأسلوب الأدبي الفريد لأحمد مراد.

أحمد مراد: رو ائي برؤية سينمائية

ولد أحمد مراد عام 1978، يعد من أبرز الروائيين المصريين المعاصرين الذين استطاعوا أن يُحدثوا نقلة نوعية في شكل ومضمون السرد العربي، من خلال المزج بين عناصر الرواية التقليدية والتقنيات البصرية المستوحاة من عالم السينما. تخرّج مراد في المعهد العالي للسينما، قسم التصوير، وهي خلفية أثرت بشكل واضح في أسلوبه الكتابي، حيث تتسم رواياته بدقة وصفية مشهدية، تجعل القارئ يشعر وكأنه يشاهد فيلمًا متكامل المشاهد.[90] هذا التأثير السينمائي لا يقتصر فقط على اللغة، بل يمتد إلى البنية العامة للرواية، من خلال تنقل السرد، وتقطيع الفصول، وتصاعد التوتر الدرامي بطريقة محسوبة.

من أبرز ما يميز أسلوب مراد هو اعتماده على تقنية "المونتاج" داخل الرواية، حيث تتنقل الأحداث بين أزمنة وأماكن مختلفة بطريقة سريعة وذكية، مما يعكس خبرته البصرية وقدرته على جذب

[90] فؤاد، أحمد. "تأثير الخلفية السينمائية في أسلوب أحمد مراد ."مجلة فصول الأدبية، العدد 2، 2021، ص. 45

القارئ بصريا وفكريا. في رواية "تراب الماس"، على سبيل المثال، تظهر هذه الرؤية بوضوح، حيث تتوزع المشاهد بين الماضي والحاضر، وتتقاطع خطوط السرد في بناء درامي قريب من الحبكة السينمائية.[91] هذا النوع من السرد يمنح النص إيقاعا ديناميكيا، ويبقي القارئ في حالة ترقب مستمر.

كما يحرص مراد على استخدام لغة دقيقة وشديدة الاقتصاد، تقترب من الحوار السينمائي، وتبتعد عن الحشو والوصف الزائد. يعتمد على الإيحاء أكثر من التصريح، ويوظف الإضاءة والظل، والألوان، والحركة في بناء المشهد السردي، كما لو كان يكتب سيناريو لا رواية. وهذا ما جعل أعماله، مثل "الفيل الأزرق" و"تراب الماس"، قابلة بسهولة للتحويل إلى أفلام سينمائية ناجحة، لأنها ولدت أصلًا برؤية بصرية متكاملة.

ولا تقتصر الرؤية السينمائية عند مراد على الجوانب الشكلية، بل تمتد إلى مضمون الرواية أيضًا. فالشخصيات في أعماله عادة ما تكون درامية، ذات تطور واضح، وحواراتها تحمل وظيفة مزدوجة: تعبيرية وسينمائية. وتبنى الحبكة وفق منطق تشويقي يعتمد على الإثارة والتوتر، بما يتماشى مع قواعد السينما البوليسية والنفسية. في "تراب الماس"، نلاحظ كيف يتحول بطل الرواية من شخصية سلبية هادئة إلى شخص يسعى للانتقام وكشف الحقيقة، تماما كما في بناء الشخصيات في السينما المعاصرة.

وقد أسهم هذا التوجه السينمائي في توسيع قاعدة جمهور مراد، إذ جذبت أعماله فئة كبيرة من الشباب الذين يفضلون السرعة، والبنية السردية الحديثة، والصورة الحية. كما استطاع أن يجعل

[91] مراد، أحمد .تراب الماس .القاهرة: دار الشروق، 2010.

الرواية المصرية قريبة من الذائقة العالمية، من خلال استلهام تقنيات السرد الغربية، دون أن يتخلى عن محليته واهتمامه بالقضايا المصرية الراهنة. فهو يعالج موضوعات مثل الفساد، القهر، البحث عن العدالة، والعلاقات الاجتماعية المعقدة، ولكن بلغة سينمائية سلسة[92].

إن تجربة أحمد مراد الروائية، وخصوصا في "تراب الماس"، تُقدم نموذجًا لما يمكن أن يكون عليه الأدب الروائي العربي في المستقبل: أدب يتفاعل مع الصورة، ويواكب الإيقاع البصري للعصر، دون أن يفقد جوهره السردي. ومن هنا، فإن مراد لا يُعد مجرد كاتب روايات ناجحة، بل هو أيضا مخرج أدبي استطاع أن ينقل تجربة السينما إلى الورق، ويصوغ من الكلمات مشاهد تُلامس العقل والوجدان معا.

تراب الماس: قصة جريمة تتجاوز حدود الزمن

تعد رواية" تراب الماس "تحفة فنية في مجال الأدب البوليسي والاجتماعي، حيث تنسج خيوطها ببراعة لتكشف عن شبكة معقدة من الجرائم والفساد المتجذر في أعماق المجتمع المصري. تبدأ القصة بتقديم شخصية طه حسين الزهار، الشاب الصيدلي الذي يعيش حياة هادئة وروتينية، لا تشوبها شائبة. يعمل في صيدلية ويحاول أن يُشكل مستقبله بعيدًا عن أي تعقيدات. لكن هذه الحياة الرتيبة تنقلب رأسا على عقب إثر حادثة وفاة غامضة لوالده، الحادثة التي ليست مجرد نهاية، بل هي مفتاح لبداية رحلة اكتشاف صادمة.

بعد وفاة والده، يكتشف طه دفاتر سرية ووثائق غامضة تُشير إلى أن والده لم يكن الصيدلي الهادئ الذي عرفه طوال حياته، بل كان يحمل سرًا خطيرًا، وكان متورطا في عالم خفي من المؤامرات

[92] خليل، محم. "السرد والتحول الاجتماعي في الرواية المصرية."، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2022، ص. 122.

والجرائم. يبدأ طه رحلته في فك ألغاز الماضي المظلم لوالده، ويكتشف تدريجيا شبكة واسعة من الفساد التي تضم شخصيات نافذة في الدولة والمجتمع، من رجال أعمال وسياسيين ومسؤولين. هذه الشبكة تمارس القتل والابتزاز والتستر على الجرائم لحماية مصالحها، مما يظهر جانبا قبيحا ومخيفا للسلطة والثراء.

تقدم الرواية عدة خطوط زمنية متوازية، حيث تسرد الأحداث التي وقعت في الماضي والتي كان والد طه جزءًا منها، بالتوازي مع الأحداث الجارية التي يُحاول فيها طه فك شيفرة هذا الماضي. هذا التداخل الزمني يضيف طبقة من التعقيد والتشويق، ويبقي القارئ في حالة ترقب دائم. يدرك طه أن "تراب الماس" ليس مجرد اسم لسلعة ثمينة، بل هو كناية عن الثروة التي تبنى على حساب الأرواح، والنفوس التي تباع وتُشترى، والضمائر التي تطحن لتصبح جزءا من هذه الثروة المدنسة.[93] يصبح الانتقام من قتلة والده وكشف الفساد الذي طاله هدف طه الأسمى، مما يجبره على التخلي عن حياته الهادئة والانغماس في عالم الجريمة الذي كان والده جزءا منه.

تحليل فني وموضوعي لرواية "تراب الماس"

تبرز رواية "تراب الماس" العديد من الجوانب الفنية والموضوعية التي تعزز من قيمتها الأدبية:

١. البناء السردي والحبكة

تتميز الرواية ببنائها السردي المحكم والمتشابك .يستخدم مراد أسلوب الخط الزمني المتعدد، حيث يتنقل ببراعة بين الماضي والحاضر، ويكشف تدريجيًا عن المعلومات التي تسهم في فهم اللغز الأكبر. هذا البناء يحافظ على التشويق والإثارة طوال الرواية، ويبقي

[93] عادل أبو شنب، "تقنيات السرد في روايات أحمد مراد"، الكتاب النقدي العربي، العدد 6، 2018، ص 92

القارئ منغمسا في تجميع قطع الأحجية. كل فصل يقدم معلومة جديدة أو يكشف عن شخصية جديدة، مما يُضيف طبقة أخرى إلى التعقيد، ويضمن أن تتطور الحبكة بشكل منطقي ومفاجئ في آن واحد. التداخل بين القصص الشخصية للشخصيات والقصة الرئيسية للفساد يعطي الرواية عمقا إضافيا[94].

٢. تطوير الشخصيات

يبدع أحمد مراد في خلق شخصيات ثلاثية الأبعاد، بعيدة عن النمطية. شخصية طه الزهار تتطور بشكل ملحوظ من شاب خجول ومتردد إلى شخص جريء ومُصرّ على كشف الحقيقة، حتى لو كلفه ذلك حياته. شخصية الأب، حسين الزهار، تقدم بشكل غامض في البداية، ثم تتكشف أبعادها تدريجيا لتظهر أنه كان شخصية معقدة، لديها جوانب مظلمة وأخرى نبيلة. كما تقدم الرواية مجموعة متنوعة من الشخصيات الثانوية، مثل وليد سيف النصر، رجل الأعمال الفاسد، وسارة، الفتاة التي تُصبح جزءا من حياة طه، وكل منها تُضيف طبقة من الواقعية وتسهم في دفع الأحداث. هذه الشخصيات ليست مجرد أدوات للسرد، بل هي كيانات حية تعبر عن صراعاتها الداخلية ودوافعها.

٣. اللغة والأسلوب

تقدم الرواية بلغة عربية فصحى سلسة وجذابة، يسهل على القارئ فهمها والاستمتاع بها. يجيد مراد استخدام الوصف الدقيق والمفصل، لا سيما في تصوير الأماكن والمشاهد، مما يضفي عليها طابعا سينمائيا مميزا. الأسلوب السردي يمزج بين السرد الموضوعي والتيار

[94] زينب عبد العزيز، "التحول في تقنيات السرد في الرواية البوليسية المصرية"، مجلة الفنون والآداب، جامعة عين شمس، العدد 21، 2019، ص 103 .

الوعي في بعض الأحيان، مما يسمح للقارئ بالدخول إلى عقول الشخصيات وفهم دوافعها. الحوارات ذكية ومحكمة، وتُسهم في كشف أبعاد الشخصيات ودفع الأحداث إلى الأمام.

أثر الرواية في الأدب المعاصر

تعد رواية علامة فارقة في المشهد الأدبي المصري المعاصر، لما أحدثته من جدل واسع وتأثير عميق على الذائقة القرائية والتوجهات السردية. فقد جاءت الرواية بأسلوبها المغاير وحبكتها المتشابكة لتقدم نموذجا جديدا في أدب الجريمة والتشويق، وهو ما كان يفتقر إليه الأدب العربي بشكل عام.[٩٥] استطاع مراد أن يجذب قطاعا واسعا من القراء، بمن فيهم غير المهتمين بالأدب، بفضل لغتها السلسة القريبة من لغة الشارع المصري، وتصويرها الدقيق لتفاصيل الحياة اليومية، مما جعلها أقرب إلى عمل سينمائي مشوق.

تميزت الرواية بقدرتها على الإمساك بالقارئ وشده إلى عالمها من البداية وحتى النهاية، بفضل الأحداث المتلاحقة والمفاجآت المتكررة التي تعتمد على التشويق والإثارة. كما أنها تناولت قضايا مجتمعية وسياسية عميقة، وإن كان ذلك بشكل عابر، كاشفة عن جوانب مظلمة من الفساد وسلطة النفوذ. ورغم الانتقادات التي وجهت للرواية فيما يتعلق بالإفراط في استخدام اللغة العامية وبعض الألفاظ التي اعتبرها البعض غير لائقة، إلا أن هذا الجانب نفسه كان أحد أسباب انتشارها ووصولها إلى شرائح مختلفة من المجتمع المصري.

لقد أثرت "تراب الماس" في الأدب المصري المعاصر من خلال فتح آفاق جديدة أمام كتابة الروايات البوليسية والتشويقية، وأثبتت أن هذا النوع من الأدب يمكن أن يحقق نجاحا جماهيريا كبيرا

[٩٥] محمد عبد المطلب، "تحولات الرواية البوليسية في الأدب العربي"، مجلة الرواية العربية المعاصرة، العدد 10، 2020، ص 76

وينافس الأعمال الأدبية الأخرى. كما أنها ساهمت في تعزيز ظاهرة الروايات التي تتحول إلى أعمال سينمائية وتلفزيونية، حيث تحولت الرواية نفسها إلى فيلم سينمائي ناجح، مما يؤكد على قدرتها على التكيف مع وسائط فنية مختلفة.[٩٦] يمكن القول إن رواية "تراب الماس" لم تكن مجرد عمل أدبي عابر، بل كانت تجربة قرائية متميزة أثرت في الأدب المصري المعاصر بعدة طرق. فقد قدمت نموذجًا للرواية التي تجمع بين المتعة والتشويق والعمق الاجتماعي، وساهمت في تغيير نظرة القراء والنقاد إلى أدب الجريمة، وأكدت على أهمية استخدام اللغة القريبة من الواقع لجذب جمهور أوسع، مما يضعها في مصاف الأعمال التي تركت بصمة واضحة في مسيرة الرواية المصرية الحديث.

الاستقبال النقدي والجماهيري

منذ صدورها عام 2010، أثارت رواية "تراب الماس" للروائي أحمد مراد اهتمامًا نقديا وجماهيريا واسعا، واعتبرت من أبرز الأعمال الأدبية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. فقد حققت الرواية نجاحا كبيرا على مستوى المبيعات، حيث نفدت طبعاتها الأولى خلال فترة قصيرة، وهو ما يعكس شغف القراء بهذا النوع من الأدب البوليسي الذي يعيد تقديم الجريمة ضمن سياق اجتماعي ونفسي عميق. وقد أسهم أسلوب مراد السينمائي الجذاب في جذب فئة واسعة من الشباب الذين لم يكونوا من قراء الرواية العربية التقليدية.

أما على الصعيد النقدي، فقد انقسمت آراء النقاد بين مؤيد ومعارض. رأى العديد من النقاد أن "تراب الماس" تمثل نقلة نوعية في الرواية البوليسية المصرية، وأنها أضفت بعدا فلسفيا ونفسيًا على قالب سردي اعتاد أن يعامل بوصفه أدبا ترفيهيا فقط. فقد أثنوا على بناء الحبكة المعقدة، وقدرة

[٩٦] حسام حلمي، "الرواية والسينما: التفاعل والتقاطع"، مجلة الفن السابع، العدد 18، 2019، ص 34.

الكاتب على التحكم في زمن السرد وتقديم شخصيات متطورة نفسيا وأخلاقيا، خاصة شخصية البطل طه حسين الزهار، الذي يشهد تحولا جوهريا في رحلته من البراءة إلى المواجهة[97].

ومع ذلك، لم تسلم الرواية من النقد السلبي. فقد اعتبر بعض النقاد أن اعتماد مراد على الأسلوب المشهدي القريب من السيناريو السينمائي قد أضعف البعد اللغوي للشكل الروائي، وأن السرد أحيانا يتجه نحو الإثارة التجارية على حساب العمق الأدبي. كما رأى آخرون أن الرواية بالغت في رسم صورة سوداوية للمجتمع المصري، خاصة في تصوير الفساد والطبقات العليا، مما يعزز نوعا من النظرة التبسيطية للمشهد الاجتماعي المعقد.

وعلى الرغم من هذه الملاحظات، إلا أن الرواية لاقت تقديرا من عدد من الأكاديميين والباحثين، الذين قاموا بتحليلها في دراسات جامعية ومؤتمرات أدبية. فقد اعتُبرت نموذجا معاصرا للرواية الاجتماعية ذات البعد البوليسي، كما طرحت في سياقات تربطها بأعمال روائيين عالميين مثل دان براون وجيليان فلين، من حيث قدرة الكاتب على خلق التشويق داخل سياق محلي ومألوف[98].

ولم يقتصر نجاح "تراب الماس" على الوسط الأدبي فقط، بل امتد إلى المجال السينمائي بعد تحويل الرواية إلى فيلم عام 2018. وقد ساهم هذا التحويل في إعادة طرح الرواية إلى جمهور أوسع، خاصة من غير المعتادين على قراءة الروايات. ورغم الاختلافات التي طرأت على بعض تفاصيل الرواية في المعالجة السينمائية، فقد حافظ الفيلم على الروح العامة للعمل، مما عزز مكانته في المشهد الثقافي المصري.

[97] صلاح فضل، "الرواية البوليسية بين الترفيه والعمق في أعمال أحمد مراد"، جريدة الأهرام الثقافي، العدد 478، 2011.

[98] آية الشامي، "تحولات الرواية البوليسية في مصر: دراسة لرواية تراب الماس"، وقائع المؤتمر الأدبي العربي الرابع والعشرين، جامعة القاهرة، 2020، ص 233.

أما جمهور القراء، فقد وجد في الرواية حالة من التماهي مع الواقع الاجتماعي والسياسي المصري، لا سيما في فترة ما بعد 2005 التي شهدت تصاعدا في قضايا الفساد والمحسوبية. ونجح مراد في لفت أنظارهم من خلال شخصية طه، الشاب العادي الذي يتحول إلى بطل مضاد، ما أضفى بعدا نفسيا وإنسانيا على الرواية، وأدى إلى تعاطف القارئ معه رغم اختياراته الأخلاقية المعقدة.

في المحصلة، فإن رواية "تراب الماس" لم تكن مجرد ظاهرة مؤقتة أو عمل جماهيري عابر، بل شكلت تحديا حقيقيا للمفاهيم السائدة حول الرواية البوليسية العربية، وفتحت الباب أمام تجارب جديدة تجمع بين التشويق والتفكير، وبين السرد الفني والنقد الاجتماعي. وقد أسهم نجاحها الجماهيري والنقدي في ترسيخ اسم أحمد مراد كواحد من أبرز الأصوات السردية المعاصرة في مصر والعالم العربي.

الخاتمة

تعد رواية" تراب الماس "لأحمد مراد علامة فارقة في الأدب العربي المعاصر، وتقدم نموذجا لمدى براعة الروائي المصري في نسج قصة تجمع بين الإثارة البوليسية والعمق الاجتماعي والنفسي .إنها ليست مجرد رواية جريمة، بل هي رحلة في أعماق النفس البشرية والمجتمع، كاشفة عن تناقضاته وصراعاته الخفية. من خلال شخصياتها المعقدة وحبكتها المتماسكة وأسلوبها السردي المتقن، تجبر الرواية القارئ على التفكير في قضايا العدالة والفساد وتأثير الماضي على الحاضر.

لقد استطاع أحمد مراد، بفضل رؤيته السينمائية وأسلوبه الروائي الفريد، أن يُقدم عملا خالدا يعيد تعريف الرواية البوليسية في العالم العربي، ويثبت أن المتعة الأدبية يمكن أن تترافق مع رسالة

عميقة ونقد مجتمعي بناء. تبقى "تراب الماس" شاهدا على قدرة الأدب على أن يكون مرآة صادقة للواقع، ونبراسًا يضيء الدروب المظلمة في رحلة البحث عن الحقيقة.

المصادروالمراجع

- ✓ مراد، أحمد. *تراب الماس*. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠.
- ✓ بسيوني، هالة. "روايات أحمد مراد بين السرد البوليسي والرؤية البصرية". *مجلة فصول*، العدد ٩٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥، ص. ٧٧–٩٥.
- ✓ حسان، مصطفى. "البنية السينمائية في الرواية العربية المعاصرة: دراسة في أعمال أحمد مراد". *مجلة القاهرة لدراسات اللغة والأدب*، جامعة القاهرة، مجلد ٢٣، العدد ٢، ٢٠٢٠.
- ✓ الخطيب، نجلاء. "التشويق والرؤية النقدية في رواية تراب الماس: تحليل سردي". *مجلة عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، العدد ١٧٩، ٢٠٢١، ص. ١٢٣–١٤٤.
- ✓ صالح، محمود. "من الرواية إلى السينما: التناص البصري في أعمال أحمد مراد". *مجلة فنون*، كلية الفنون – جامعة حلوان، العدد ٤١، ٢٠١٩.
- ✓ الحوفي، هبة. "أدب الجريمة كوسيلة لنقد المجتمع: قراءة في تراب الماس". *الجزيرة نت*، ١٢ ديسمبر ٢٠٢١. https://www.aljazeera.net/ تمت زيارة الموقع ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٥.

البعد السياسي و المقاوم في شعر أحمد مطر

رُبينة يو.تي. أستاذة مساعدة و باحثة ،كلية دار العلوم العربية بوايكاد
د. عبد السلام أي. بي ، عميد كلية دار العلوم العربية بوايكاد

الملخص

يُعدّ الشاعر العراقي أحمد مطر من أبرز الأصوات الشعرية العربية التي جمعت بين الفنّ والالتزام السياسي، وعبّرت عن معاناة الإنسان العربي تحت وطأة القهر والاستبداد. فقد جعل من شعره سلاحًا لمواجهة الظلم، ومن كلمته منبرًا للمقاومة، حتى أصبح اسمه مقرونًا بالثورة والرفض. تتناول هذه الدراسة البعد السياسي والمقاوم في شعر أحمد مطر من خلال تحليل مضامينه وأسلوبه، وبيان كيف استطاع أن يوظّف الكلمة الشعرية لخدمة الوعي الجمعي للأمة العربية. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، للكشف عن دلالات المقاومة في شعره، وربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي عاش فيه الشاعر .

الكلمات المفتاحية:

أحمد مطر ، الشعر السياسي ، المقاومة ،الحرية ، العدالة - الاستبداد ،السخرية ،المنفى .

المقدمة

الشعر السياسي في الأدب العربي مرآةً صادقة للتحوّلات الاجتماعية والفكرية التي تمرّ بها الأمة، إذ يتجلّى فيه وعي الشاعر بقضايا وطنه وأمّته، وموقفه من السلطة والظلم والحرية. وقد مثّل الشاعر أحمد مطر نموذجًا فريدًا في هذا المجال، حيث استطاع أن يجعل من قصيدته منبرًا للنقد

السياسي اللاذع، وأداة للتحريض والمقاومة الفكرية .ولد أحمد مطر في قرية التنومة[٩٩] في مدينة البصرة العراقية عام ١٩٥٤م، ونشأ في بيئة شعبية فقيرة، لكنها غنية بالهموم الوطنية. بدأ كتابة الشعر مبكرًا، ووجد نفسه في مواجهة مباشرة مع النظام السياسي القائم في العراق، فاضطر إلى المنفى ليستمرّ في نضاله بالكلمة، بعد أن ضُيّق عليه في وطنه .

إن دراسة شعر أحمد مطر تُمكّننا من الوقوف على رؤية شعرية مقاومة للظلم، نابضة بالصدق والإيمان بحرية الإنسان. فكلّ بيت من أبياته يحمل موقفًا، وكل قصيدة تُشعل ثورةً صغيرة في وعي المتلقّي. ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة، التي تسعى إلى الكشف عن البعد السياسي والمقاوم في شعره، وتوضيح الأدوات والأساليب التي استخدمها لبناء خطابه الشعري .

أحمد مطروسياقه السياسي والاجتماعي

ارتبط شعر أحمد مطر ببيئة عربية مضطربة عاشتها الأمة منذ منتصف القرن العشرين، حيث الاستبداد السياسي والفساد وغياب الديمقراطية. وقد عاصر الشاعر أنظمةً قمعية جعلت من الكلمة جريمة، ومن الحرية تهمة .وفي هذا السياق نشأ شعره السياسي المتمرّد، فكانت قصيدته صرخةً في وجه الحاكم المستبدّ. يقول في إحدى قصائده:

"ألقى السلاح وقال: لا تخفوا

فالخوف مفتاح النجاةِ،

وارتدّ في قلب الجيوش

ليقتل الأحرارَ في بيت الصلاةِ!"

[٩٩] تنومة هي إحدى نواحي قضاء شط العرب في البصرة

إنّ هذه الأبيات تعبّر عن وعي الشاعر بطبيعة السلطة العربية التي تتذرّع بالأمن والدين لتبرير القمع. وقد عاش مطر تجربة المنفى في لندن، حيث كتب معظم قصائده في صحيفة القبس الكويتية مع رسومات صديقه ناجي العلي، فشكّلا معًا ثنائيًّا مقاومًا يخيف الأنظمة [١٠٠].

البعد السياسي في شعر أحمد مطر

يتجلّى البعد السياسي في شعر أحمد مطر في موقفه الواضح من السلطة، وفي نقده اللاذع لأنظمة الحكم في العالم العربي. فهو لا يكتفي بوصف الواقع، بل يفضحه ويعرّيه، مستخدمًا أسلوبًا ساخرًا حادًّا يجعل القارئ يبتسم بمرارة

يُقدّم مطر صورة الحاكم العربي بوصفه رمزًا للطغيان، ويعبّر عن العلاقة غير المتكافئة بين الحاكم والمحكوم. ففي قصيدته الشهيرة "الحاكم" يقول:

"أُطاعُ فيك أمرَ مولاك،

لكنْ، من مولاي؟

منْ أنت؟ ما أنت؟!

إنك السلطانُ...

نحن الرعيّةُ الغَنَمُ الطائعةْ!"

هذا الخطاب المباشر يكشف عن جرأة فكرية نادرة، وعن انحياز تامّ إلى صفّ الشعوب. كما تتناول قصائده الفساد الإداري، وازدواجية الخطاب السياسي، والتبعية للغرب، مما يجعل شعره وثيقة احتجاج على واقعٍ عربي مأزوم[١٠١] .

[١٠٠] أحمد مطر، ديوان أحمد مطر، ص ١٢.

البعد المقاوم في شعر أحمد مطر

تتجلّى المقاومة في شعر أحمد مطر بوصفها موقفًا وجوديًا، لا مجرّد موضوع شعري. فهو يرى الكلمة سلاحًا يقاوم به القهر والسكوت. يقول في إحدى قصائده:

"سأقاومُ.. بالكلمةْ

بالكلمةْ التي تُوقظُ أمةْ

بالكلمةْ التي تُشعلُ همّةْ

بالكلمةْ التي تزرعُ في القلبِ القيامةْ!"

تُظهر هذه الأبيات أن المقاومة عنده ليست مادية فحسب، بل فكرية وأخلاقية أيضًا. والكلمة هي مركز الفعل المقاوم. لذلك يهاجم الشاعر الصمت والاستسلام، ويرى في الصمت خيانةً للأمة، إذ يقول في قصيدة أخرى:

"إذا سكتّ، تموتُ في فمي الكلماتْ،

وتُولدُ في يدي الأغلالْ."

لقد تحوّلت قصيدته إلى بيان تحريضي يُوقظ الوعي الجمعي. فهو لا يتحدث باسم وطن واحد، بل باسم الإنسان العربي المقهور في كل مكان[١٠٢] .

الحرية و العدالة في شعر أحمد مطر

يظهر مفهوم الحرية في شعر أحمد مطر بوصفه صرخة الوعي ضد القيود، إذ يرى أن الحاكم المستبد لا يخشى سوى الكلمة الحرة. في إحدى "لافتاته" يقول:

[١٠١] إحسان عباس، فن الشعر السياسي العربي الحديث، ص ٨٤.

[١٠٢] عبد الله أبو الهيجاء، أحمد مطر شاعر الحرية والرفض، ص ٦٧.

"قالوا لنا اصبروا قليلاً، ستنزل الأمطار... وما رأينا غير سيلٍ من الدموع!"[١٠٣]

بهذه السخرية المرّة يصوّر الشاعر عجز الشعوب التي صودرت إرادتها باسم الصبر والوطن. ويؤكد أن الحرية لا تُمنح بل تُنتزع انتزاعًا، فهي جوهر إنسانية الإنسان. وقد جعل من الكلمة وسيلته للمقاومة، فكتب شعرًا يزلزل الخوف في النفوس، ويوقظ الوعي الشعبي ضد الطغيان.

ترتبط العدالة في شعره ارتباطًا وثيقًا بالحرية، فهي أساس استقامة المجتمع. يصوّر الشاعر المفارقة بين الشعارات الرسمية والواقع المظلم،

فيقول:"نام العدل في وطنٍ، فاستيقظ الظلم يحكم باسمه!"[١٠٤]

بهذه الصورة المكثفة، يفضح زيف العدالة الزائفة التي تتحوّل إلى أداةٍ بيد المستبدّ. كما ينتقد التفاوت الطبقي والظلم الاجتماعي حين يموت الفقراء جوعًا بينما الأغنياء في نعيمٍ دائم. العدالة لديه ليست مطلبًا سياسيًا فقط، بل قيمة أخلاقية وإنسانية تضمن كرامة الإنسان وتوازن المجتمع.

الأدوات والأساليب الفنية في شعره السياسي

تميّز شعر أحمد مطر ببساطة لغته وعمق دلالاته، فهو يخاطب الجماهير بلغة قريبة من الحياة اليومية، دون أن يفقد فنيّته الشعرية. من أبرز السمات الأسلوبية في شعره:

السخرية السياسية: استخدمها وسيلة لكشف التناقضات، وجعل منها أداة مقاومة. فالسخرية عنده ليست ضحكًا، بل موقف احتجاجي.

---

[١٠٣] أحمد مطر، ديوان اللافتات، ط. دار العودة، بيروت، ١٩٩٠م، ص. ١٥.

[١٠٤] أحمد مطر ، ديوان اللافتات ،ط.دار العودة ،بيروت، ١٩٩٠م، ص. ٢٢.

المفارقة: يوظّف المفارقة بين المعنى الظاهر والباطن لإبراز عبثية الواقع العربي.

التكرار والإيقاع: يستخدم التكرار لإحداث التوكيد الشعوري والنغمي، مما يمنح القصيدة نغمة احتجاجية حادة .

الرمز السياسي: كثيرًا ما يلجأ إلى الرمز ليهرب من رقابة السلطة، مثل "الكلب" و"الكرسي" و"القصر" رموزًا للحاكم المستبدّ.

اللغة الحوارية: يدمج الحوار في شعره، فيحوّل القصيدة إلى مسرح صغير للنقاش بين الحاكم والمحكوم.

هذه الأدوات الفنية منحت شعره قدرة على الانتشار والتأثير،حتى صار شعره يُتداول في المنابر والمظاهرات والصفحات الأدبية، لما يحمله من طاقة تحريضية عالية[١٠٥] .

الخاتمة

يتّضح من خلال هذه الدراسة أن شعر أحمد مطر ليس مجرّد تعبير أدبي، بل هو فعل مقاومةٍ سياسية وفكرية. فقد استطاع أن يربط بين الجمال الفني والالتزام الأخلاقي، وأن يجعل من القصيدة منبرًا حرًّا للوعي والاحتجاج.

يمكن القول إن أحمد مطر قدم نموذجا مميزا للشعر المقاوم، إذ جمع بين الصدق الفني و الوعي السياسي. ومن خلال أسلوبه الساخر و الرمزي استطاع أن يعبر عن معانات الإنسان العربي و أن يرسّخ مفهوم الحرية و العدالة. لقد برهن شعره أنّ المقاومة ليست فقط بالسلاح ، بل أيضا بالفكر و الكلمة. و أن الشعر يمكن أن يكون سلاحا فعالا في وجه الطغيان.

[١٠٥] فاضل ثامر، تحولات الشعر العربي المعاصر، ص ١٠٣.

النتائج

وقد توصّلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ❖ يُعدّ أحمد مطر من أبرز شعراء المقاومة السياسية في الأدب العربي المعاصر.
- ❖ اتخذ من الكلمة سلاحًا لمواجهة الاستبداد والظلم، وجعل الشعر وسيلةً للدفاع عن الحرية والكرامة الإنسانية.
- ❖ يجمع شعره بين السخرية والجدّ، بين الفنّ والموقف، مما جعله قريبًا من عامة الناس وخاصّتهم.
- ❖ قدّم صورةً رمزية للحاكم والمحكوم، تجسّد طبيعة العلاقة السياسية في العالم العربي.
- ❖ ظلّ شعره وثيقةً احتجاجيةً دائمة، تحمل رسالة الحرية جيلاً بعد جيل.
- ❖ استخدم الرموز و البساطة اللغوية لتوصيل فكرته إلى جميع فئات المجتمع.

المصادر والمراجع

- ✓ أحمد مطر، ديوان أحمد مطر، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- ✓ عبد الله أبو الهيجاء، أحمد مطر شاعر الحرية والرفض، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد ٣، ٢٠١٢م.
- ✓ إحسان عباس، فن الشعر السياسي العربي الحديث، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٥م.
- ✓ فاضل ثامر، تحولات الشعر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
- ✓ يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي الحديث: تطوره ومذاهبه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ✓ أحمد مطر، ديوان اللافتات. بيروت: دار العودة، ١٩٩٠م.

جسور البلاغة:

قراءة في فكر شيخ البلاغيين محمد أبو موسى

محمد علي ك.ب
.باحث الدكتوراه_ جامعة اللغات الإنجليزية والأجنبية،حيدر آباد

الملخص:

يُعَدُّ الشيخ محمد محمد أبو موسى أحد أبرز أركان البلاغة العربية في العصر الحديث، إذ أحيا روح البيان القرآني في سياقٍ معرفيٍّ جديد يزاوج بين الأصالة والتراث من جهة، والمعاصرة والتجديد من جهة أخرى. يقوم فكره على استنطاق النصوص لا عبر المصطلحات الجافة، بل من خلال الحسّ الجمالي والتذوق الأدبي الذي يتوسل بالبيان إلى معرفة المقاصد. يعرض هذا المقال رؤيته البلاغية من خلال قراءة في مؤلفاته الكبرى مثل *من أسرار التعبير القرآني* و*مدخل إلى عبد القاهر الجرجاني* و*مراجعات في أصول الدرس البلاغي*، مع تحليلٍ لأسلوبه في بناء منهجٍ لغويٍّ تربويٍّ يتكئ على البيان ليعيد للغة مكانتها في التعليم والفكر. ينتهي البحث إلى أنّ فكر أبي موسى لم يكن تنظيرًا لغويًا فحسب، بل مشروعًا ثقافيًا يربط بين تربية الذوق وتهذيب الفكر، ويجعل من البلاغة جسرًا بين النص والإنسان.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة ، محمد أبو موسى ، التربية اللغوية ، البيان القرآني ، النقد العربي ، عبد القاهر الجرجاني

في زمن تكاثرت فيه المناهج وتفرقت السبل في دراسة اللغة والبيان، نهض الشيخ محمد محمد ابو موسى (1937م) صوتا يعيد الى الدرس البلاغي اصالته المفقودة. لم يكن خطابه تكرارا لبلاغة القدماء ولا ثورة على التراث كما صنع بعض المعاصرين، بل كان بعثا هادئا متزنا يفتح افقا جديدا بين النص والوجدان. ولد ابو موسى في بيئة ازهرية علمية محافظة ثم شب محبا للغة متضلعاً بعلومها حتى غدا بحق شيخ البلاغيين العرب. وكان يردد ان البلاغة ليست زينة الكلام بل طريق النفس الى ادراك المعنى كما اراده المتكلم، فإذا تعطلت البلاغة تعطل الفهم.

هذا التصور للبلاغة بوصفها وسيلة تذوق وفهم لا مجرد صناعة لغوية يختصر جوهر فكره. ففي كتابه من اسرار التعبير القرآني (1971م) يرى ان البيان القرآني يحدث في القلب ما لا تحدثه القوانين البلاغية لان الكلام الالهي يخاطب النفس بصدقها لا بعقلها وحده. ومن هنا جاءت عنايته بالتلقي الجمالي للنص القرآني وبفن السماع الذي يعده مفتاح البيان.

ولم يكن الشيخ اسير الماضي بل واصل تفعيل تراث عبد القاهر الجرجاني في سياق حديث. ففي مدخل الى عبد القاهر الجرجاني (1998م) يقدم الجرجاني كمنهج حي للفهم لا كموروث جامد، ويؤكد ان النظم رؤية تربط اللفظ بالمعنى والعبارة بالتجربة الانسانية. بهذا المنظور تصبح البلاغة عنده منهجا حضاريا لفهم الفكر الاسلامي ولتربية الذوق[106].

ان المتامل في مؤلفات ابو موسى من خصائص التراكيب الى دلالات التراكيب يدرك ان مشروعه البلاغي مشروع تربوي في جوهره. فهو لا يعلم البلاغة كما تعلم القواعد بل كما تغرس القيم. كان

[106] محمد محمد أبو موسى. المسكوت عنه في التراث البلاغي. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٧، ص ٥٦.

يقال لتلاميذه ان من اراد ان يتكلم بلسان عربي مبين فليطهر قلبه من العجمة قبل لسانه، يريد بذلك ان صفاء اللغة لا يتحقق الا بصفاء الذوق[107]. ولذلك ظل في دروسه بالازهر يزرع حب البيان في النفوس قبل العقول.

وقد عبر الشيخ عن رؤيته التربوية والبلاغية في عبارات مباشرة واضحة تبيّن مفهوم البلاغة في حسّه العملي والاخلاقي. من اقواله التي توضح رؤيته يمكن الوقوف عند العبارات التالية كما وردت في محاضراته وخطبه التعليمية:

"انصرفوا ايها الاقوياء واعملوا لصالح البلاد والعباد ودعوا الخصوم لان نجاحكم في عمل مصالح البلاد والعباد هو خيررة على الخصوم وهو افضل الف مرة من قصائد شعر تقولونها في هجاء الخصوم".[108]

"استوعب الاذان تجده ينتج منك انسانا افضل وما دام سينتج انسانا افضل فسوف ينتج الجماعة الافضل والجماعة الافضل هي خير امة اخرجت للناس".

"لا تعلم الا الذي لا يعارض فيه معارض ولا يشك فيه سال فضلا عن ان ينكره منكر لان هذه العقول التي امامك امانة فلا تزرع فيها الا الزرع الصالح واعلم ان الله سائلك عن كل نبتة غرستها يدك في قلوب ابناء المسلمين وابناء غير المسلمين لان الكل عباد الله.

الحمار يعرف حق امه الحمير عليه والكلب يعرف حق امه الكلاب عليه فالي الذي لا يعرف حق امته عليه يكون اسقط من الحمار ومن الكلب والذي يعيش لنفسه فقط ولا يلتفت الا الى نفسه لا قيمة له.

[107] محمد محمد أبو موسى. مراجعات في أصول الدرس البلاغي. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٥، ص ٦٨.

[108] محمد محمد أبو موسى. شرح أحاديث من صحيح البخاري: دراسة في سمت الكلام الأول. القاهرة: مكتبة وهبة، 2001، ص.37.

تظهر هذه الاقوال الوجه التطبيقى لفكر ابو موسى، اذ لا يرى البلاغة فنا معزولا عن الاخلاق والمجتمع بل هو فعل تربوي يؤثر في صيرورة الافراد والجماعات. فالبلاغة عنده ليست زينة للاستهلاك اللغوي بل اداة لتهذيب الاخلاق وبناء الوعي الوطني والانساني. من هنا فان دعوته اخلاص العمل للبلاد والعباد وربط التعليم بالمسؤولية الاخلاقية تتكامل مع رؤيته في تعليم البلاغة.

تُمثّل أقوال أبي موسى، مثل قوله :انصرفوا أيها الأقوياء واعملوا لصالح البلاد والعباد ...نموذجًا لرؤيته التي تدمج بين المسؤولية الاجتماعية ووظيفة البيان. فهو لا يتعامل مع اللغة بوصفها ممارسة جمالية فحسب، بل بوصفها ممارسة إصلاحية تتصل ببنية المجتمع وعلاقاته. وهذا التصور يقترب من مبادئ علم اللغة الاجتماعي الذي يدرس أثر الخطاب في التشكيل القيمي للجماعات، إذ يرى أبو موسى أن فاعلية اللغة لا تتحقق إلا عندما تُعيد بناء الوعي وتُسهم في ترسيخ السلوك العام. ويأتي قوله :*استوعب الأذان تجده ينتج منك إنسانًا أفضل* ...ليقدّم مثالًا تطبيقيًا على هذا الربط بين الصوت اللغوي والتحول السلوكي، حيث تصبح تجليات البيان امتدادًا لأدوار اللغة في بناء الهوية الأخلاقية والوجدانية للمتلقي.

وتتجلى ملامح رؤيته التربوية في قوله :*لا تعلّم إلا الذي لا يعارض فيه معارض... فهذه العقول أمانة* . فهذه العبارة تكشف الأساس الأخلاقي الذي يقوم عليه منهجه في تعليم البلاغة، وتضع العملية التعليمية ضمن إطار منضبط يُعلي من قيمة المسؤولية العلمية. ويتقاطع هذا الاتجاه مع مناهج التربية اللغوية الحديثة التي تربط التعليم بالتنمية الشاملة للمتعلم، لا بتوريث المعرفة وحدها. وهكذا يظهر أبو موسى واحدًا من أبرز من حاولوا مدّ الجسر بين البلاغة الكلاسيكية ومقتضيات الدرس اللساني الحديث، مقدّمًا تصورًا يرى في البلاغة وسيلةً لتكوين العقل النقدي، وفي التعليم

فضاءً تتكامل فيه اللغة والقيم، وفي الخطاب البياني قوةً تُسهم في صياغة الوعي الحضاري المعاصر.

لقد ادرك ابو موسى مبكرا ان ازمة التعليم العربي ليست في المناهج فحسب بل في غياب الروح البلاغية التي تربط المتعلم بلغته. ففي مراجعات في اصول الدرس البلاغي (2005م) يقول ان الدرس البلاغي اليوم قد اضاع رسالته حين جعل البلاغة مادة اختبار لا وسيلة تربية، وحين نسي ان المتعلم لا ينحت بالاسئلة بل ينضج بالتذوق. هذه الكلمات تكشف صلته بفكر التربية اللغوية الحديثة وانصياعه لاصول التربية القيمية.

ومن هنا يتبدى تقاطع فكره مع مناهج التعليم المعاصرة التي تتبنى التعلم التجريبي والتفاعلي. انه يرى ان تعليم اللغة لا يكتمل الا بتربية الحس الجمالي فيها. وقد لخص العبارة في احدى ندوات الازهر بقوله ان لم يستعد البيان الى التعليم فلا تعليم يثمر ولا لغة تبقى. فالتربية عنده ليست تلقينا بل اشعال للذوق واستنطاق للنصوص. وللوهلة الاولى تبدو كلماته انفعالية، لكن في جوهرها نابعة من منهج تربوي متكامل يروم تربية الانسان لغويا واخلاقيا وثقافيا.

وهكذا صار اسلوبه يجمع بين دقة المحقق ورهافة الشاعر. اسلوبه يجري في نفس واحد يجمع بين الجملة المحكمة والصورة الموحية وبين التفكير النقدي والحس الجمالي. وقد شهد له تلاميذه انه كان يشرح بيتا من الشعر فينقلب الدرس من تحليل لغوي الى عبادة فكرية تملأ القلب ضياء.، بهذا المعنى يصبح ابو موسى امتدادا لسلسلة من علماء البيان منذ الجرجاني الى الزمخشري لكنه اضاف اليهم شحنة تربوية انسانية جعلت البلاغة وسيلة للاستقامة لا للعرض. فهو يدعو الى بلاغة تنصت للانسان قبل ان تدهشه الالفاظ وى درس لغوي يربي الذوق لا يكدس المعلومات. وفي هذه الدعوة يكمن سر تأثيره في اجيال من طلاب الازهر وسائر الجامعات العربية[109].

[109] محمود توفيق سعد، علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠١٩، ص٦٧.

لقد ظلت دروسه الاسبوعية في جامع الازهر محافلا للبيان، لا يضيق فيها صدره بسؤال ولا ينقطع فيها حواره مع التراث. وكل من حضرها يدرك ان الشيخ يمارس البلاغة لا كعلم يدرس بل كفن يعاش. وكأن صوته وهو يشرح قول عبد القاهر ان النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم يعيد الحياة الى المصطلحات فيجعلها جسرا بين القديم والحديث وبين البلاغة والوجود[110].

ان فكر الشيخ محمد محمد ابو موسى ليس حنينا الى ماض ولا تمجيدا لتراث جامد بل بناء لجسور بين البلاغة القرآنية ووعي الانسان الحديث. لقد اعاد للبيان العربي رسالته الاخلاقية والتربوية وجعل من البلاغة علما للانسان لا للنص وحده. وفي زمن يتهاوى فيه الذوق اللغوي وتضعف صلة الناشئة بالعربية يظل صوت ابو موسى دعوة الى ان نتعلم كيف نسمع اللغة لا كيف نحفظها وكيف نحيا البيان لا كيف نحلله.

المصادروالمراجع

- ✓ محمد محمد أبو موسى، *من أسرار التعبير القرآني*، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧١.
- ✓ ، *مدخل إلى عبد القاهر الجرجاني*، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨.
- ✓ *مراجعات في أصول الدرس البلاغي*، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٥.
- ✓ ، *خصائص التراكيب*، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٤.
- ✓ محمود توفيق سعد، *علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى*، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٩.
- ✓ إبراهيم صلاح الهدهد (تقديم)، *شيخ البلاغيين محمد أبو موسى: بحوث مهداة لفضيلته*، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٩.

[110] إبراهيم صلاح الهدهد (تقديم)، شيخ البلاغيين محمد أبو موسى: بحوث مهداة لفضيلته، القاهرة، مكتبة وهبة، 2019، ص48.

معاناة المرأة المهمشة

دراسة تحليلية فى رواية الزنجية لعائشة بنور

فاطمة وى.كى ،باحثة الدكتوراه,جامعة كنور
د/ بى عبد الرشيد,مشرف البحوث ،جامعة كانور

الملخص

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات تحليلية التي تستهدف استكشاف معاناة المرأة الإفريقية المهمشة فى رواية الزنجية للكاتبة الجزائرية عائشة بنور,مركزا على الإشكالية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والتاريخية.ويتناول البحث عن القيود التقليدية والقضايا الاجتماعية ومشكلات المهاجرين واللاجئين,مثل الفقر المدقع وممارسة البغاء والأمراض المعدية ووفيات الصبيان والاغتراب والعزلة كلها تضحي النساء والصبيان. تتمثل مشكلة البحث فى دراسات كيف تؤثر العوامل الاجتماعية والسياسية فى الاضطهاد والعنف والقمع واعماقها فى حياة المستضعفين. يهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية عن أسلوب عائشة بنور الادبى الواقعى فى تصوير المرأة المهمشة المقهورة.

الكلمات المفتاحية : المرأة ,القارة الإفريقية, المعاناة,عائشة بنور

مقدمة

ان الادب لسان المضطهدين والمستضعفين ومرآة الوقائع الإجتماعية والسياسية والثقافية.و ان المرأة شطر المجتمع وحياتها وأحلامها و قضيتها موضوعة مهمة في الأدب منذ قرون.الرواية زنجية

ابرز الأعمال الأدبى الذى يناقش القضايا الانسانية لاسيما قضايا النساء المهاجرات و اللاجئات.يركز هذا البحث على تصوير الرواية المعاناة المرأة الإفريقية المهمشة واسلوب الكاتبة الادبى الوصفى الواقعي والرمزي الدلالى.

نبذة عن الكاتبة.

الكاتبة والصحفية الجزائرية عائشة بنور ولدت سنة 1970 تدائرة الحساسنة ,ولاية سعيدة بالغرب الجزائرى.حاصلة على بكالوريوس فى علم النفس الذى يظهر تأثرتها فى كتاباتها الواقعية.بدأت مسيرتها الأدبية في اواخر الثمانيات و طبعت بصمتها الشخصية فى مجال القصة والرواية والصحفية. وصارت صوت مميز فى الأدب المعاصرة حيث تعالج القضايا الواقعية والألم الإنسان المضطهدين.

ترجمت العديدة من الاعمال الى لغات مختلفة متعددة.منها الانجليزية و الفرنسية و الاسبانية و الإيطالية و التركية.أصدرت الكاتبة عدة أعمال ادبية متميزة منها فى الرواية الصوت والصدى(2006)اعترافات المرأة(2007) نساء فى الجحيم(2017) فى مجال القصة مخاليب,المؤودة تسأل... فمن يجيب؟,امرأة فى ظل.حصلت عائشة بنور على العديد من الجوائز الادبية الرفيعة .منها جائزة الإستحقاق الأدبى (لبنان)2007, الجائزة الدولية الأولى فى أدب المرأة بالولاية المتحدة 2017,الجائزة التقديرية الدولية لرائدات والإبداع(الهند)2020,

الزنجية رمزية لتهميش

تقدم رواية الزنجية استكشاف عميقا للقهر والاضطهاد على المرأة الأفريقية حيث ترتبط بعوامل الاجتماعي والسياسي والتاريخي . صدرت الرواية عام 2020 بعد جهد من ثلاث سنوات عن

منشورات دار الخيال.يقول عنها الأديب والناقد السودانى عز الدين ميرغني فى مقدمته لها "أنها إضافة للرواية العربية والإفريقية [111].روايتها الزنجية ترسم حياة المرأة الأفريقية التي تعيش فى ظروف بائسة بين اصوات العالم الجديد المرتفع .

عنوان الرواية "الزنجية" تختزن عنصرة الجغرافية والتاريخية والأنثوية.وتوضح عمق جراح الأنثى التى تعيش فى البلدان الأفريقية حيث تألم تاريخ مرير العبودية التى مارس العنصر الأبيض على الأسود.لفظ "الزنجية " يشير الى الإنسان سكب الملح على الجروح عبر القرون بحركة الاستعمار والاستعباد. تدور أحداث الرواية فى مدينة آرليت (مدينة صناعية بمنطقة أغادير شمال النيجر). في الرواية ثمانية فصول دون تسميتها.وكل فصل يحمل حياة المرأة و فجواتها بالاضطهاد والحرمان مذ نعومة الاظفار الى المشيب.خلاصة الرواية رحلة حياة البطولة من الختان إلى الهجرة التى تضم شديد الألم والبؤس المستمر.بلانكا الشخصية المحورية في الرواية وهي رمزية للمرأة الأفريقية.

الظروف الاجتماعية القاسية

ان المرأة ضحية للظروف الاجتماعية العنيفة بالفقر المدقع والبيئة المعكرة. وتصور الرواية حياة المرأة الإفريقية المستضعفة وبيئتها بائسة بالأمراض والأوبئة بالماء الملوث و الفضاء غير نقي.تعيش فى القهر والجهل والأمية بدأت حياتها القاسية منذ صغرها . تنقص هذه البيئة القاسية أحلامها إلى قطعة الخبز اليومية.بحديث البطل مع النفس ومن حولي أفواه كثيرة مفتوحة تبحث

(1) عائشة بنور ,الزنجية,دار خيال للنشر والترجمة ,2020,ص9

عن رغيف خبز يابس.[112] مثل بلانكا المرأة الأفريقية تعاني من الألّم الجوع والحاجة ومشقة العمل.وهن يجمعن حول البئر لتملأ دلوهنّ بمياه

غير صالحة بينما يحملن اطفالهنّ فوق ظهورهنّ وهذه الصورة تظهر حياتهن اليومية القاسية كما خلقت المرأة لتتألم هذا الكل .هن يجبرن على ممارسة الدّعارة والفتيات الصغيرات تغتصب من الرجال الذين مرضوا بداء الإيدز. الفتيات الصغيرات تغتصب من الرجال خصصوا لذالك يسمى الواحد منهم في المناطق المجاورة "الرجل الضبع" او هكذا كانوا ينادونه.هؤلاء الرجال مرضى بداء الايدز, ولا يهمهم انتقاله الى الفتيات الصغيرات.[113]

تتجلى الرواية ألوان مختلفة فى حياة أهل القرية ومنها محنة فى الأرض وخطرات من منجم آرليت وشدّة التلوث البيئي بالمخلفات الذرية ,والتلال المتراكمة من النفايات السامة.وفيات الصغار عادية في هذه البلدان. وتقول بلانكا عن الصغار الذين سقطوا الى عمق المعاناة "لم نكن ننتمي للحياة كلّنا كنا ننتمى للموت"وهذا القول ممتلئ بالحزن والبؤس لفقد حقهم الحياة السعيدة.

المعاناة من ظروف الثقافية

فى العديد من الشعب الافريقية تعتبر المرأة خلقة ضعيفة وتفرض عليها قوانين تقليدية . تجسد الرواية الثقافة الوحشية التي تمارس باسم العادات والتقاليد . التي رغم كل هذه الصعوبات الاجتماعية تواجه المرأة قيودا قاسية التى تقيد الحريات الفردية مثل ختان المرأة,ذلك تقليد فى بعض المجتمع الإفريقى.

2.المصدر نفسه ,ص 50
3.المصدر نفسه ,ص 49

.يظهر الختان في الرواية كجزء من منظومة العنف الاجتماعي ضد المرأة.ترسم الكاتبة بمعاناة الإناث الإفريقية جسديا ونفسيا وتدعوا الى تخلص مثل هذه الوحشية الظالمة التي تعيق حرية المرأة والكرامة. كشفت عملية الختان في بداية الرواية تذكر البطلة ألم شفرة السكين الذى انتزع منها فرحة الحياة وسرق منها ابتسامة الطفولة وهي بنت خمسة عشر. بلانكا 'بلانكا' نموذج للمرأة الإفريقية اختتنت فى وقت مبكر وتموت بعضهنّ به.

وعجيبا تتولى المرأة العجوزة بهذه الممارسة وتفشل ان تفهم معاناة أخواتهنّ.تقول البطلة "ألا تشعر هذه العجوز بما احس وهى تمسك بشفرة السكين؟ "[114]وتخبر على المختونة ودمها سالت على فخذيها 'أنها قد صارت امرأة'.حيث تشعر الفتيات بأن أجسادهن ليست ملكا لهن بل للمجتمع الذى يتحكم في مسيرتهن .وتعاني البطلة بلانكا وغيرها من الفتيات من هذه العادات القاسية مما يجعلها رمزا للظلم الذى تتعرض له النساء منذ طفولتهن.تنتقد الرواية المجتمع الذكوري الذي يفرض هذه العادات على الفتيات باسم "العفة" دون النظر الى آثارها المدمرة.ترتبط قضية الختان بموضوع الهجرة في الرواية حيث تسعى بعض شخصيات للهروب من هذه التقاليد القاسية بحثا عن حياة الإنسانية.تعكس الرواية أن الختان جريمة على الطفولة والأنوثة.

التمييز العنصرى باللون والأصل.

تسلط الرواية الضوء على مظاهر التمييز العنصرى على الشعوب الأفارقة السود التى جرحت عميقا على تاريخ الانساني بسبب الاستعمار.جعلت قوات الاستعمارية عديد من الدول الافريقية مصدر للمواد الخام و الموقع للعمال الرخيصة. تعبر البطلة عن هويتها الإفريقية التي تشكل جزءا

4.المصدر نفسه ,ص 25

أساسيا من ذاتها لكنها تعانى من نظرة المجتمع لها باعتبارها امرأة مختلفة و مهمشة.وان المجتمع يرفضها بسبب العنصرية.تجسد الرواية أفكار المرأة السوداء وإشكالية عن جمالية ولون بشرتها.تقول بلانكا "ولأننى سوداء البشرة فأنا جميلة"[115]

بأسباب متنوعة من بيئة متألمة قررت البطلة ان يهجر مع اسرتها بالآمال المملئة.أن الهجرة لا تقع فى يوم واحد بل طوال الايام القاسية لا يطيق التحمل والتصبر ويجتنب مسقط رأسه بحنين واشتياق.الهجرة في الرواية ليست مجرد حركة من مكان الى الآخر بل هي رحلة يبحث عن الذات والحرية بل إلى مأساة جديدة عميقة. تركز الرواية على الفرق الكبير بين أحلام الهجرة ووقائعها القاسية وعلى معاناة المهاجرين أثناء رحلتهم الطويلة مثل الخطيرة عبر الصحراء حيث يتعرضون للاستغلال من قبل التجار البشر الذين يقذفون الى عمق المأساة والوحشية.

يعيش المهاجر الإفريقي بين العالمين , لا يقبل ذاتهم تماما كاملا وتكشف عن قسوة العالم الحديث الذي لا يرحم المستضعفين اللاجئين. تعيش البطلة حالة الإغتراب النفسى لا تستطيع الإنتماء بالكرام في أي مجتمع.وتصور الرواية "الزنجية " جدلية قوية بين أنا الإفريقية والأخر .تعيش البطلة بلانكا فى صراع مستمر مع المجتمع الذي لا يعترف بها كفرد كامل الحقوق سواء فى وطنها او فى بلاد المهجر. يمثل الآخر' المجتمع يرفض البطلة بسبب لون بشرتها او اصولها.كما يظهر' الآخر' فى بلاد المهجر تواجه المهاجر الإفريقيون صعوبة

5.المصدر نفسه ,ص,50

ومشقة.تصور الرواية البطلة التي ممزقة بين العنصرية الإفريقية والمجتمع الجديد. وتعكس الرواية العالم الذي لا يقبل الاختلاف والتنوع.

الخاتمة

تجسد رواية الزنجية المعاناة المرأة المقهورة فى قارة الإفريقية وتنتقد الاوضاع الاجتماعية والثقافة والسياسية والحكومة التى تسقط المرأة من القهر الى القهر.ويتناول الرواية قضية الهجروة غير مشروعة والجدل الذاتى للمرأة السوداء ومعاناة الانسانية .نجحت الروائية بشخصية بلانكا واصدقائها فى تسليط الضوء على اسباب الجذرية هذه الأزمة العظيمة المستضعفين .

المصادروالمراجع

- ✓ .عائشة بنور, الزنجية , دار الخيال للنشر والترجمة,الجزائر ,٢٠٢٠
- ✓ .عائشة بنور ,الصوت والصدى ,منشورات الحضارة,الجزائر,٢٠٠٦
- ✓ .عائشة بنور ,نساء في الجحيم,منشورات الحضارة ,الجزائر,٢٠١٧
- ✓ .عائشة بنور,اعترافات المرأة ,منشورات دار ريادة ,مملكة العربية السعودية ,٢٠٠٧
- ✓ .محمد عثمن بزمى ,صورة الشخصية النسائية من خلال رواية الزنجية لعائشة بنور الجزائرية, الاضاءات مجلة البحوث العربية ,العدد ٤, ٢٠٢٤

الهوية والانتماء في الشعر الفلسطيني المعاصر

دراسة تحليلية

محمد شهيركي
أستاذ مساعد، كلية الرحمانية العربية، كدميري

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة حضور مفهومي الهوية والانتماء في الشعر الفلسطيني المعاصر من خلال تحليل التجارب الشعرية لكلٍّ من محمود درويش، فدوى طوقان، وسميح القاسم، بوصفهم الأصوات الأبرز في تشكيل الوعي الجمعي الفلسطيني. تكشف الدراسة كيف تحوّل الشعر إلى فضاءٍ رمزيٍّ للمقاومة الثقافية، يجمع بين الذاكرة والمنفى، بين الذات والوطن. فالهوية عند درويش فعل مقاومة رمزية، وعند طوقان حنينٌ أنثويٌّ يعيد إنتاج الذاكرة، بينما تتجسد عند القاسم في الصمود الجماعي والانتماء المقاوم. وتخلص الدراسة إلى أن الشعر الفلسطيني لم يكن مجرّد مرآةٍ للوجع الوطني، بل خطابًا جماليًا وإنسانيًا أعاد بناء معنى الوجود الفلسطيني في مواجهة النسيان والاقتلاع.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، الانتماء، الشعر الفلسطيني المعاصر، الأدب المقاوم، الذاكرة، المنفى، الوطن

المقدمة

يعدّ الأدب الفلسطيني المعاصر انعكاسًا حيًّا لمسيرة شعبٍ يواجه الاغتراب والاقتلاع منذ أكثر من سبعة عقود، حيث تداخل فيه الهمّ الوطني بالبعد الإنساني، ليشكّل ظاهرة أدبية وثقافية متفردة. في هذا السياق، تبرز ثنائية الهوية والانتماء باعتبارهما المحورين الأكثر حضورًا في الخطاب الشعري الفلسطيني، إذ تحوّلت الهوية إلى أداة مقاومةٍ رمزية، والانتماء إلى فعلٍ إبداعيٍّ يعيد ربط الذات بالأرض والذاكرة.

إنّ دراسة هذا الموضوع في شعر محمود درويش، وفدوى طوقان، وسميح القاسم، تكشف عن تطور الوعي الجمالي والسياسي للأدب الفلسطيني، وعن التحوّل من مجرد التوثيق إلى صياغة خطابٍ إنسانيٍّ يعبّر عن الوجود ذاته.

وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية :كيف تجلّت مفاهيم الهوية والانتماء في الشعر الفلسطيني المعاصر؟ ما أوجه التباين والالتقاء بين التجارب الشعرية الثلاثة قيد الدراسة؟ كيف أسهمت اللغة الشعرية والرمز في تشكيل الوعي الجمعي الفلسطيني؟

المنهج المتّبع في الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي–الوصفي بوصفه الأداة الأنسب لقراءة النص الشعري الفلسطيني في ضوء مفهومي الهوية والانتماء .يقوم هذا المنهج على تحليل المضمون الأدبي للكشف عن الدلالات الرمزية والجمالية الكامنة في لغة الشعر، وتتبع تطوّر الوعي بالذات والوطن في تجارب الشعراء الثلاثة :محمود درويش، فدوى طوقان، وسميح القاسم.

كما تستفيد الدراسة من بعض مقاربات النقد الثقافي ونظريات الخطاب والهُوية (كما لدى إدوارد سعيد) لفهم العلاقة بين النص والسياق التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه. وبذلك

تجمع الدراسة بين التحليل النصّي الدقيق والمقاربة الفكرية التي ترى في الشعر الفلسطيني فعلاً لغويًا مقاومًا يسعى إلى ترميم الذاكرة وبناء الانتماء.

الإطار النظري للدراسة

ينطلق هذا البحث من الأسس النظرية التي تربط بين الأدب والهوية والانتماء، بوصفهما ركيزتين مركزيتين في بناء الوعي الجمعي الفلسطيني. فالهوية، في منظور النقد الثقافي الحديث، ليست كيانًا جامدًا أو معطًى ثابتًا، بل هي سرد متجدّد للذات في مواجهة الآخر، كما يؤكد إدوارد سعيد في رؤيته للهوية بوصفها نتاجًا لحالة من الوعي بالاختلاف والمنفى .ومن هذا المنطلق، يصبح الشعر الفلسطيني فضاءً رمزيًا يُعيد من خلاله الشاعر إنتاج ذاته الوطنية والثقافية في مواجهة محاولات الطمس والإلغاء.

كما يستند الإطار النظري إلى مفاهيم النقد الثقافي والسيميولوجيا الأدبية، حيث تُقرأ النصوص الشعرية بوصفها نظامًا من العلامات التي تحمل دلالات الوجود والمقاومة. فالرمز الشعري في الأدب الفلسطيني — كالأرض، الزيتون، الأم، والخبز — لا يقتصر على بعده الجمالي، بل يتحوّل إلى علامة ثقافية تعبّر عن انتماءٍ جمعيٍّ ومقاومةٍ رمزية.

وتستند الدراسة كذلك إلى رؤية المنهج المقارن الذي يكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تمثّل مفهومي الهوية والانتماء عند الشعراء الثلاثة: فدوى طوقان التي تُجسّد الهوية الأنثوية والذاكرة الوجدانية، ومحمود درويش الذي يحوّل المنفى إلى خطاب رمزي للهوية، وسميح القاسم الذي يجعل من البقاء في الوطن فعلًا من أفعال المقاومة الوجودية.

بهذا التأسيس النظري، تسعى الدراسة إلى فهم الشعر الفلسطيني المعاصر كـ خطاب ثقافي إنساني، يتجاوز حدود التوثيق السياسي إلى بناء هوية لغوية وروحية تحفظ للذات الفلسطينية حضورها وفاعليتها في وجه الاغتراب والمنفى.

الهوية والانتماء في الأدب الفلسطيني

مفهوم الهوية الأدبية :الهوية، من منظورٍ نقديٍ معاصر، ليست حالةً ساكنة، بل عملية مستمرة من إعادة البناء الثقافي. يرى إدوارد سعيد أن "الهوية تتكوّن في لحظة الوعي بالاختلاف والفقد، فهي ليست معطى جاهزًا، بل سردٌ متجددٌ للذات في مواجهة الآخر [116]."من هذا المنطلق، تصبح الهوية الفلسطينية فعلًا مقاومًا يتجسد في اللغة والصورة الشعرية، باعتبار الشعر ساحةً رمزيةً لحفظ الوجود.

مفهوم الانتماء في السياق الفلسطيني: الانتماء في الأدب الفلسطيني ليس مجرد ارتباط بالأرض أو الجماعة، بل هو شعورٌ وجوديّ ينبع من الوعي بالمنفى والاغتراب. ويشير عبد الرحمن ياغي إلى أنّ "الانتماء في الأدب الفلسطيني هو إعادة بناء الذات من خلال الحنين والذاكرة [117]."وهكذا يتجاوز الانتماء عند الشعراء الفلسطينيين الإطار الجغرافي ليصبح استعادةً رمزيةً للوطن في اللغة.

الشعر الفلسطيني كأدب مقاوم : منذ نكبة ١٩٤٨م، تحوّل الشعر الفلسطيني من الغنائية التقليدية إلى خطابٍ نضاليٍ يعكس التجربة الجماعية. فالشاعر الفلسطيني أصبح المؤرّخ غير الرسمي للوجع الوطني، يعبّر بالكلمة عمّا عجز التاريخ عن توثيقه [118]. وهكذا ظهر جيل من

[116] إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية. بيروت: دار الآداب .1997 ، ص. 36

[117] خليفة، عدنان. محمود درويش: قراءة في خطاب الهوية. عمان: دار أزمنة .2010 ، ص. 112

[118] عيسى، إحسان. الهوية في الشعر الفلسطيني المقاوم. القدس: المؤسسة العربية للدراسات .2001 ، ص. 45

الشعراء الذين جعلوا من القصيدة خندقًا للهوية: محمود درويش، فدوى طوقان، وسميح القاسم.

الهوية والانتماء في شعر محمود درويش

يُعتبر محمود درويش (١٩٤١–٢٠٠٨م) صوتَ الذاكرة الفلسطينية الأكثر حضورًا في المشهد العربي. تشكّل شعره من رحم المنفى ليصبح مرآةً للإنسان الفلسطيني في بحثه عن ذاته بين حدود الأرض والذاكرة.

الهوية بوصفها مقاومة رمزية : في قصيدته الشهيرة بطاقة هوية، يقول درويش:

سجّل! أنا عربي،

ورقم بطاقتي خمسون ألف...

يحوّل درويش البطاقة من وثيقةٍ بيروقراطية إلى بيانٍ شعريٍّ للوجود، حيث تتحول الكلمة إلى فعلٍ سياسي. فالهوية عنده ليست ورقًا، بل كينونة إنسانٍ مهددٍ يحاول أن يُعرّف نفسه رغم محاولات الطمس[١١٩].

الانتماء بوصفه حلمًا دائمًا :في قصيدة جواز السفر، يصرّ على أنّ الانتماء لا يُقاس بالمكان، بل بالمعنى:

كل المنافي لا تسعني،

فأنا من أرضٍ تحمل اسمي!

[١١٩] درويش، محمود. ديوان محمود درويش. بيروت: دار العودة 2003. ص. 17

يتحول الوطن هنا من مساحةٍ جغرافية إلى رمزٍ روحيّ يلازم الإنسان أينما رحل. فالمنفى ليس نقيض الانتماء، بل هو مساحة لإعادة تعريفه. ويؤكد النقاد أن درويش "حوّل الألم الفردي إلى خطابٍ جمعيّ يمثل الأمة"[١٢٠].

الرمز واللغة في بناء الهوية: اعتمد درويش على رموزٍ متكررة (الأم، الزيتون، الخبز، الطفل) تُعيد إنتاج الذاكرة الجماعية. ومن خلال هذه الرموز، تتحوّل القصيدة إلى سجلٍّ تاريخيٍّ للعاطفة الوطنية.

فدوى طوقان الهوية الأنثوية والانتماء الوجداني

تُعدّ فدوى طوقان (١٩١٧–٢٠٠٣م) من أبرز الأصوات النسوية في الشعر الفلسطيني، إذ استطاعت أن تدمج بين التجربة الذاتية والهمّ الوطني في خطابٍ شعريٍّ رقيقٍ ومكثّف.

الذات والهوية الأنثوية :في قصيدتها تقول:

وحدي مع الأيام،

لا أحد يمدّ لي يد العزاء...

إلا الوطن!

تربط طوقان بين الذات الأنثوية والوطن الأم، فالوطن عندها ليس أرضًا فقط، بل حضنًا يحتوي جراحها. وبهذا تدمج بين الأمومة والوطنية لتؤسس هوية جديدة للمرأة الفلسطينية: هوية المقاومة بالحنين.

[١٢٠] خليفة، عدنان. محمود درويش: قراءة في خطاب الهوية. عمان: دار أزمنة .2010. ص. 92

الانتماء كذاكرة واستمرارية: تعبّر طوقان عن الانتماء باعتباره استمرارًا للذاكرة رغم الغياب. في سيرتها الذاتية رحلة جبلية، رحلة صعبة، تقول:

"كل قصيدة كتبتها كانت محاولة لإنقاذ شيء من الوطن في قلبي"[١٢١]

اللغة هنا فعل إنقاذ، والشعر وسيلة لتثبيت ما يتسرب من الذاكرة.

الرمزية واللغة الوجدانية: تميزت لغتها ببساطتها وصدقها العاطفي، إذ استخدمت رموزًا مثل الليل، البحر، والزهرة لتصوير المقاومة الداخلية. فالرمز عندها ليس زخرفًا بل وسيلة لإبقاء الوطن حيًا في وجدانها[١٢٢].

سميح القاسم: الانتماء المقاوم وصوت الجماعة

ينتمي سميح القاسم (١٩٣٩–٢٠١٤م) إلى الجيل الذي عاش تجربة الاحتلال داخل الوطن، وهو ما جعل شعره صوتًا جماعيًا يعكس صلابة الصمود الفلسطيني.

الانتماء كفعل جماعي: يقول في قصيدته منتصب القامة أمشي:

منتصب القامة أمشي،

مرفوع الهامة أمشي،

وفي كفّي غصن زيتونٍ، وفي قلبي نار!

يختصر القاسم في هذه الأبيات مفهوم الانتماء المقاوم: سلامٌ في الظاهر، نارٌ في القلب. القصيدة هنا أنا جماعية تعبّر عن "نحن" الفلسطينية التي لا تذوب في المنفى.

[١٢١] طوقان، فدوى. رحلة جبلية، رحلة صعبة. عمان: دار الشروق 1985. ص. 91

[١٢٢] الموسى، عفاف. الصورة الرمزية في شعر فدوى طوقان. القاهرة: دار الفكر العربي. 2012. ص.131

الهوية كوجود في المكان :يرفض القاسم فكرة الرحيل والمنفى، مؤكدًا أنّ البقاء على الأرض هو شكل من أشكال المقاومة. يقول:

سنبقى هنا، على صدوركم كالجدار!

هنا تتحوّل القصيدة إلى شعارٍ نضاليّ يؤكد أن الوجود المادي ذاته هو هويةٌ حية.

الأسلوب الخطابي والرمز الشعبي :تميّز أسلوبه بنبرةٍ خطابيةٍ قويةٍ تمزج بين الشعر والنشيد. فالقاسم يستخدم الرموز الشعبية (الخبز، الجدار، الزيتون) لإيصال رسائل جماعية بسيطة وعميقة في آنٍ واحد[١٢٣]

المقارنة والتحليل الفني

تُظهر المقارنة بين تجارب درويش وطوقان والقاسم أن مفهوم الهوية والانتماء في الشعر الفلسطيني مرّ بثلاث مراحل متكاملة:

تُظهر المقارنة بين التجارب الشعرية لكل من محمود درويش، فدوى طوقان، وسميح القاسم تبايناً في زاوية تناول مفهومي الهوية والانتماء، لكنها تتقاطع في رؤيتهما بوصفهما فعلاً إبداعياً متجدداً.

محمود درويش يمثل الوعي الرمزي للهوية؛ حيث تتجسد هويته في صورة رمزية فلسفية قائمة على تجربة المنفى. أما الانتماء عنده فيرتبط بالحلم والذاكرة، ويعتمد في ذلك على لغة مجازية متجددة.

فدوى طوقان تُجسّد الهوية الوجدانية الأنثوية. يعبّر شعرها عن الانتماء بصفته حنيناً واستمرارية. وتتميز لغتها بالشفافية وتوظيف الرموز الطبيعية. هي بذلك تمثل الوجدان الإنساني في معادلته الشعرية.

[١٢٣] عيسى، إحسان. الهوية في الشعر الفلسطيني المقاوم. القدس: المؤسسة العربية للدراسات 2001. ، ص. 87

سميح القاسم يعكس الالتزام الجماعي. تتبدى الهوية لديه في صورة جماعية ونضالية، ويكون الانتماء فعلاً مقاوماً. يتميز أسلوبه بلغة خطابية ذات طاقة جماهيرية.

يتبيّن أن التجارب الثلاث تتقاطع في رؤيتها للهوية كفعل إبداعي متجدد، لكنها تختلف في زاوية التناول: درويش يمثل الوعي الرمزي، وطوقان الوجدان الإنساني، والقاسم الالتزام الجماعي.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة، يتضح أن الشعر الفلسطيني المعاصر لم يكن مجرد تعبيرٍ عن المأساة، بل أداة لتشكيل هويةٍ جماعيةٍ متجددة وهي

- الهوية عند درويش فعل مقاومة رمزية للمنفى.
- وعند طوقان، فعل حنينٍ وذاكرةٍ تُقاوم النسيان.
- وعند القاسم، فعل صمودٍ جماعيّ يتحدى الاندثار.

وهكذا يصبح الشعر الفلسطيني "ذاكرةً مضادة" تحافظ على الذات من الذوبان، وتمنح الشعب الفلسطيني هوية لغوية وروحية تستمر رغم فقدان المكان.

نتائج الدراسة وتوصياتها

خلصت الدراسة إلى مجموعةٍ من النتائج التي تؤكد أن الشعر الفلسطيني المعاصر لم يكن مجرد أداةٍ للتعبير عن الوجع الوطني، بل شكلًا من أشكال المقاومة الثقافية والرمزية التي أسهمت في حفظ الهوية الفلسطينية وتجديدها. فقد مثّل محمود درويش الوعي الرمزي للهوية عبر اللغة والصورة الشعرية، وعبّرت فدوى طوقان عن الانتماء الوجداني الذي يوحّد بين الذات الأنثوية والوطن، في حين جسّد سميح القاسم الانتماء الجماعي القائم على الفعل والمواجهة والصمود. كما

بيّنت الدراسة أن اللغة الشعرية تحوّلت إلى ذاكرةٍ بديلة تحفظ ما حاول الاحتلال طمسه من تاريخٍ ووجود.

وتوصي الدراسة بضرورة توسيع نطاق البحث في الشعر الفلسطيني بوصفه وثيقة ثقافية تُسهم في بناء الوعي الجمعي العربي، وبأهمية إدراج نصوص الشعر المقاوم في المناهج الدراسية لتأكيد القيم الوطنية والإنسانية، وتعزيز حضور الأدب الفلسطيني في الخطاب النقدي العربي والعالمي.

المراجع

- ✓ إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية. بيروت: دار الآداب .(١٩٩٧).
- ✓ إحسان عيسى. الأدب الفلسطيني المقاوم. القدس: المؤسسة العربية .(٢٠٠١).
- ✓ خليفة، عدنان. محمود درويش: قراءة في خطاب الهوية. عمان: دار أزمنة .(٢٠١٠).
- ✓ درويش، محمود. ديوان محمود درويش. بيروت: دار العودة .(٢٠٠٣).
- ✓ طوقان، فدوى. رحلة جبلية، رحلة صعبة. عمان: دار الشروق .(١٩٨٥).
- ✓ الموسى، عفاف. الصورة الرمزية في شعر فدوى طوقان. القاهرة: دار الفكر العربي .(٢٠١٢).
- ✓ عيسى، إحسان. الهوية في الشعر الفلسطيني المقاوم. القدس: المؤسسة العربية للدراسات .(٢٠٠١).

التناص القرآني

في رواية "موتٌ صغير" لمحمد حسن علوان

أبرار أحمد حسن محمد حسن
باحثة الدكتوراه، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

يعد التناص الديني من أبرز المفاهيم النقدية الحديثة التي أسهمت في كشف عمق البنية الدلالية للنصوص الأدبية، إذ يعبر عن التفاعل بين النص الأدبي والنصوص الدينية، سواء أكانت قرآنية أم حديثية. فهذا التداخل يمنح العمل الأدبي بعداً روحياً وفكرياً مضاعفاً، ويثري معناه عبر استدعاء رموز ومضامين تنتمي إلى الذاكرة الدينية القيمة. وقد أصبح التناص الديني أداة تحليلية مهمة في النقد الحديث، لأنه يبرز كيفية توظيف الكاتب للنصوص المقدسة بوصفها وسيلة لتوليد المعنى، لا لمجرد الاستشهاد أو الزخرفة اللغوية، مما يعكس وعياً جمالياً وفكرياً لدى المبدع.

وفي رواية "موتٌ صغير" لمحمد حسن علوان[١٢٤] يتجلى التناص الديني بعمق واضح من خلال إعادة كتابة السيرة المتخيلة للشيخ محيي الدين ابن عربي، حيث تتشابك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في نسيج سردي يعبر عن رحلة الإنسان نحو المطلق. يوظف علوان التناص الديني لإضفاء صدق روحاني على التجربة السردية، فيجعل القارئ يعيش بين الواقع والتجلي، وبين الحكاية

[١٢٤] محمد حسن علوان: روائي سعودي معاصر، ولد في الرياض عام ١٩٧٩م، ويعد من أبرز كتاب الجيل الجديد في الأدب العربي. حصل على درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال. ومن أبرز رواياته: سقف الكفاية (٢٠٠٢م)، صوفيا (٢٠١٥م)، وموتٌ صغير (٢٠١٦م) التي فازت بجائزة البوكر العربية عام ٢٠١٧م، وتعد من أهم الروايات التي أعادت صياغة السيرة المتخيلة للمتصوف محيي الدين ابن عربي بلغة تجمع بين العمق الروحي والجمال السردي.

والتأمل. ومن خلال هذا التوظيف، تتحول الرواية إلى فضاء للتأمل في جوهر الدين والوجود، مما يجعلها نموذجاً فنياً راقياً لتجليات التناص الديني في السرد العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: التناص، التناص القرآني، رواية موتٌ صغير، محمد حسن علوان

المقدمة:

تعد رواية "موتٌ صغير" للروائي محمد حسن علوان واحدة من أهم الأعمال السردية في الأدب العربي المعاصر التي برز فيها التناص القرآني بوصفه محوراً جمالياً وفكرياً في تشكيل النص. فقد قام الكاتب في توظيف الآيات القرآنية توظيفاً فنياً يتجاوز حدود الاقتباس إلى إعادة إنتاج المعنى في سياق سردي يتقاطع فيه الديني مع الإنساني، والمقدس مع التجربة الفردية. حيث يأتي حضور النص القرآني في الرواية ليعبر عن عمق التجربة الروحية لشخصية "محيي الدين ابن عربي"، وليشكل مرجعاً دلالياً يوجه مسار الحكاية ويضفي عليها بعداً تأملياً ومعرفياً. فالتناص هنا لا يعمل على تزيين السرد أو تأكيد البعد الديني فقط، بل يسهم في بناء الرؤية الصوفية التي تتمحور حول فكرة الوحدة الوجودية والبحث عن الحقيقة الإلهية، وهو ما يجعل النص الروائي فضاءً يتفاعل فيه الخطاب القرآني مع التجربة الإنسانية في تناغم فني مبدع.

وينطلق هذا البحث من مجموعة من **الأسئلة الرئيسة** التي تتمحور حول طبيعة حضور النص القرآني في رواية "موتٌ صغير"، ومن أهمها: ما الدوافع التي قادت محمد حسن علوان إلى توظيف الآيات القرآنية في روايته؟ وما مظاهر هذا التوظيف في البناء السردي؟ وكيف تتجلى العلاقة بين النص القرآني ومسار الرحلة الروحية لابن عربي من حيث الدلالة والتعبير؟ وتنبثق من هذه الأسئلة **(أهداف)** ضرورة تحليل مظاهر التناص القرآني في الرواية والكشف عن دوافع توظيف النص

القرآني بوصفه عنصراً فنياً وفكرياً يسهم في تعميق الرؤية الصوفية للنص. ومن خلال تتبع مواضع حضور الآيات القرآنية وتفسيرها في سياقها السردي، يمكن الكشف عن وظائفها الجمالية والفكرية في تشكيل البنية الروحية للعمل، وبيان دورها في تطوير اللغة وتعزيز البعد التأملي في السرد، بما يجعل النص القرآني عنصراً محورياً في بناء التجربة الإنسانية والروحية لابن عربي كما يصوغها علوان في روايته. كما يعتمد البحث على **المنهج التحليلي** الذي يقوم على قراءة النصوص القرآنية في ضوء سياقاتها داخل العمل، وتحليلها دلالياً وفنياً، للكشف عن أثرها في بناء الرؤية الفلسفية والروحية لرواية موت صغير، وفي إبراز قدرة الكاتب على جعل النص القرآني عنصراً حيوياً في بناء التجربة السردية الحديثة.

وأما فيما يخص المحاولات السابقة، فلم يعثر – حتى الآن – على بحثٍ أكاديمي يتناول بصورة مباشرة ظاهرة التناص القرآني في رواية "موتٌ صغير" لمحمد حسن علوان، على الرغم من وجود عدد من البحوث والمقالات التي تطرقت إلى موضوعات ذات صلة مثل :

- دراسة توظيف القصص القرآني في رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ لنعيم عموري، في مجلد ١ عدد ٣٧ (٢٠١٦م) مجلة الكلية الإسلامية بنجف.
- تجليات التناص القرآني في روايات يوسف السباعي، لمحمد مزمل حق، مجلة البعث الإسلامي بلكناو ٢٠٢٢م.
- التناص الديني في روايات غازي القصيبي، لزبير حسين، مجلة البعث الإسلامي بلكناو ٢٠٢٢م.

محاور البحث

المحور الأول: مفهوم التناص و أنواعه

تُعد فكرة التناص من أبرز المفاهيم النقدية الجديدة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ صاغتها الباحثة جوليا كريستيفا سنة ١٩٦٦م، حين عرفته في إحدى مقالاتها في مجلة تيل كل (Tel Quel) بأنه "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى أو لوحة فسيفسائية من الاقتباسات"[١٢٥] . ثم جاء رولان بارت في مقالته الشهيرة موت المؤلف (١٩٦٨م)، ليؤكد أن كل كتابة هي إعادة كتابة، وأن كل نص هو نسيج من الاقتباسات السابقة، معلناً أن الكتابة لا تنتج من مؤلفها بل من النصوص السابقة والمتداخلة فيها[١٢٦].

وفي **اللغة**، يرى ابن منظور في لسان العرب أن "النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً أي رفعه، وكل ما أُظهر فقد نُص"[١٢٧]، وقال الأزهري: "النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده"[١٢٨]. ومن هنا، فإن التناص في أصله اللغوي يعني الرفع والإظهار والإبانة. أما في **الاصطلاح**، فيعرفه أحمد الزعبي بأنه: "تضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي لتشكل نصًا جديداً متكاملاً."[١٢٩]

---

[١٢٥] موسى، إبراهيم نمر (٢٠٠٨م)، صوت التراث والهوية " دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد. بيروت: مجلة دمشق، ص ١٠٢.

[١٢٦] علوش، سعيد (1985م) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (ط١). المغرب: دار البيضاء، ص٢١٥.

[١٢٧] ابن منظور (١٩٩٠م) لسان العرب (ط١). لبنان: دار صادر ، ص ٩٧ – ٩٨.

[١٢٨] نفس المصدر السابق.

[١٢٩] الزعبي، أحمد (١٩٩٣م)، التناص مقدمة نظرية، المؤتمر الأول للحركة الأدبية. الأردن: جامعة موت، ص ٤.

وقد صنف النقاد التناص إلى أنواع متعددة، بحسب مصادره ومرجعياته، من أبرزها: التناص القرآني، والتناص الحديثي، والتناص الأدبي، والتناص التاريخي، والتناص التراثي[١٣٠]. ومن بين هذه الأنواع، يُعد التناص الديني أكثرها عمقاً وأثراً في النصوص الأدبية العربية، إذ يقصد به "تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية... مع النص الأصلي للرواية بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما"[١٣١]. ويسهم هذا التداخل في إثراء النص الأدبي جمالياً وفكرياً، ويمنحه أبعاداً رمزية ودلالية جديدة تتجاوز حدود السرد المباشر.

المحور الثاني: التناص الديني في الأدب العربي

يعتبر التناص الديني من أبرز أشكال التفاعل النصي في الرواية العربية الحديثة، لما يمثله من حضورٍ رمزي وفكري وروحي داخل البنية السردية. فالروائي العربي، وهو يشتبك مع واقعه الثقافي والاجتماعي، يجد في النصوص الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مرجعاً غنيّاً بالدلالات والمفاهيم القادرة على تعميق رؤيته للإنسان والعالم. وقد ساهم هذا التوظيف في منح الرواية العربية بعداً فلسفياً وتأملياً يتجاوز حدود الحكاية، لتصبح الرواية فضاءً للحوار بين المقدس والإنساني، وبين الماضي الموروث والحاضر المتحول.

وتتنوع أساليب حضور التناص الديني في الرواية العربية بين الاقتباس الصريح للآيات القرآنية، والتضمين غير المباشر للمعاني القرآنية والحديثية، واستلهام الرموز والمواقف الدينية في بناء

[١٣٠] انظر: الندوي، محمد أعظم (٢٠٢١م) التناص القرآني وتجلّياته في كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبي الحسن الندوي. لاكناو: البعث الإسلامي.

[١٣١] الزعبي، أحمد (٢٠٠٠م) التناص نظرياً وتطبيقياً. الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ص٣٧.

الشخصيات والأحداث. وغالباً ما يوظف هذا التناص لخدمة غايات جمالية وفكرية، فيسهم في كشف البعد الروحي للشخصيات، ويمنح النص عمقاً دلالياً يعكس رؤى الكاتب العقائدية والفلسفية. ومن هنا أصبح التناص الديني أداة فنية تعبر عن الوعي الثقافي والروحي للروائي ف "عمد إلى استحداث آليات قراءة النص التراثي وتوظيفه ليعبر عن الواقع المعاش وفق منظور أدبي ورؤية أيديولوجية واجتماعية تاريخية وعقائدية.. فنتج خطاب روائي متعلق بنص تراثي دلالياً وفنياً وجمالياً."[١٣٢]

وفي هذا السياق، برزت أعمال روائية عديدة استثمرت التناص الديني بوصفه ركيزة فكرية وجمالية، من أبرزها رواية "موتٌ صغير"، التي تمثل نموذجاً فنياً متفرداً في توظيف الآيات القرآنية ضمن بناء سردي متكامل يرصد الرحلة الروحية والفكرية لابن عربي، ويعيد عبرها قراءة المفهوم الصوفي للحياة والموت والمعرفة. وتأتي دراسة هذا العمل للكشف عن كيفية حضور النص القرآني في الرواية، وعن الوظائف الجمالية والدلالية التي يؤديها داخل النسيج السردي، بوصفه أحد أهم أشكال التناص الديني في الأدب العربي المعاصر.

المحور الثالث: التناص القرآني في رواية "موتٌ صغير"

"عقد الخلائق في الإله عقائداً و أنا اعتقدت جميع ما عقدوه"[١٣٣]

[١٣٢] منصوري، جوى (٢٠١١م)، التعلق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني:" النفير والقيامة لفرج الحوار أنموذجاً. الجزائر: مجلة كلية الآداب واللغات (جامعة العربي التبسي)، العدد ٨.

[١٣٣] علوان، محمد حسن (2002م).رواية موت صغير(طبعة السابعة عشرة).بيروت: دار الساقي، ص561.

تمثل رواية «موت صغير» للروائي محمد حسن علوان نموذجاً سردياً معاصراً لتجلي التناص القرآني في بنية الرواية العربية الحديثة، إذ استطاع الكاتب أن يوظف النص القرآني بوصفه ركيزة فكرية وجمالية تضيء المسار الروحي والوجودي لشخصية محيي الدين ابن عربي. فالقرآن الكريم لا يحضر في الرواية كزخرف لغوي أو عنصر ظاهري للتزيين، بل كمنظور دلالي عميق يسهم في بناء رؤية العالم التي ينطلق منها السرد، ويشكل معادلاً فنياً لتجربة ابن عربي الصوفية في سعيه نحو المعرفة والاتحاد بالمطلق.

فيأتي هذا التناص في الرواية من خلال الاقتباس الصريح لبعض الآيات الكريمة في مواضع محددة ترتبط بلحظات التحول والصفاء والتجلي في حياة البطل، ومن خلال التضمين غير المباشر في اللغة السردية ذات البنية الإيقاعية المشبعة بالروح القرآنية. كما تتجلى ظاهرة التناص في الاستحضار الرمزي للآيات التي توازي التجربة الصوفية في معناها العميق، مثل آيات الخلق والنور والموت والحياة والرجوع إلى الله، وهي جميعها مفاتيح دلالية لبنية الرواية وتأملاتها الوجودية.

إن علوان لا يوظف النص القرآني بوصفه مرجعية جاهزة، بل يعيد إنتاجه داخل نسيج سردي متفاعل، فيتحول المعنى القرآني من مدلوله التفسيري إلى دلالة فنية وتأملية تعبر عن رحلة البطل في البحث عن الحقيقة. وبهذا يصبح النص القرآني عنصراً فاعلاً في تشكيل البنية السردية والفكرية للرواية، إذ يعيد توجيه مسار الحكاية نحو تجربة الكشف الروحي والمعرفة الإلهية، التي تشكل جوهر مشروع ابن عربي الفكري والصوفي.

ومن هنا ينطلق البحث في تحليل أشكال هذا التناص القرآني في "موت صغير"، من حيث أنماطه ووظائفه ودلالاته، وكيف أسهم في بناء اللغة السردية وتعميق الخطاب الفلسفي والروحي للرواية، بوصفه أحد أهم مظاهر التفاعل بين النص المقدس والنص الأدبي في الرواية العربية المعاصرة.

وفي هذا السياق تستثمر الرواية ذلك التناص القرآني بشكل بارز، إذ تتنقل الشخصيات بين الواقع التاريخي المعيش والبعد الديني المفعم بالرمزية القرآنية، بما يخلق طبقة من العمق النفسي والمعنوي للنص. فيظهر التناص القرآني في الرواية كأداة للسرد والرمزية، ويرتبط بالهوية الدينية، الأخلاقية، والتاريخية للشخصيات، كما يظهر جلياً في عدة مقاطع:

"أما علمتم بالطاعون الذي انتشر في أرجاء الأندلس... فأنتم في معزل منه بفضل الله، فلم ينتقل إلينا هذا الوباء ولم يمسسنا ضر ما دام أحد لا يدخل المدينة ولا يخرج منها."[١٣٤]

هذا النص يحمل بعداً تناصياً قرآنياً يرتبط بالفكرة القرآنية عن البلاء والنجاة، كما في قوله تعالى: "وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ".[١٣٥] فيستخدم الراوي التناص ليخلق رابطاً بين النص القرآني والتاريخ المحلي، مؤكداً على حماية المدينة بفضل الله، وعلى البعد الأخلاقي والروحي للوباء. كما أن السرد التاريخي يتداخل هنا مع البعد الديني، مما يعكس صراع الشخصيات بين الواقع المرير وحقيقة الإيمان.

بينما يظهر التناص القرآني في المشهد: "هذه عصا فرعون... ألا تعرفها؟"

"نعم. عصا فرعون التي تعود لراميها."[١٣٦]

---

[١٣٤] نفس المصدر السابق، ص٢٣

[١٣٥] القران الكريم، سورة يونس ١٠٧

[١٣٦] علوان، محمد حسن (٢٠٠٢م).رواية موت صغير(طبعة السابعة عشرة).بيروت: دار الساقي، ص٢٧٥.

هنا يظهر التناص الرمزي القرآني؛ عصا فرعون رمز للقوة والاستبداد، وربطها بالطفل والفعل السحري يعكس استعارة لأحداث موسى عليه السلام: العصا التي تتحول علامة على قدرة الله ونجاته، كما في قوله تعالى: "فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ".[١٣٧] فيصبح هذا التناص أداة لخلق إيحاء بالمعجزة، وتوضيح الفارق بين الطفولة والسلطة، بين البراءة والجبروت، مما يربط الحكاية بالبعد القرآني المعرفي والديني.

وأما في الحوار مع فاطمة بنت المثنى: "مثلها مثل مريم بنت عمران، أحصنت فرجها وتقبله بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا."[١٣٨] هنا يستخدم الراوي التناص بشكل مباشر من آية "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"[١٣٩] لتأكيد فضيلة المرأة ونقاءها، وربط الشخصيات النسائية بالقدوة القرآنية، مثل مريم عليها السلام، بما يعزز بعداً سيميائياً وشخصياً للحب والزواج: "فاصطفاها وطهرها واصطفاه نساء العالمين. "فيُظهر التناص كيف أن الحب والزواج في الرواية ليسا مجرد شعور شخصي، بل يرتبطان بالقيم الدينية والرمزية القرآنية، ما يخلق طبقة أخلاقية وثقافية للنص.

كما يتواصل ذلك في وصف الولادة عماد الدين (ابن عربي) بعد تقدمه في العمر "ولدٌ يا سيدنا... ولد. ابنٌ وقد تجاوزت الخمسين من عمري؟... إذ أنعمت على زكريا"[١٤٠]، فيمكن ربط هذه اللحظة بالتناص القرآني عن ولادة زكريا وابنه يحيى: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى"[١٤١] فالتناص هنا

[١٣٧] القران الكريم، سورة الشعراء ٣٢.
[١٣٨] علوان، محمد حسن (٢٠٠٢م).رواية موت صغير(طبعة السابعة عشرة).بيروت: دار الساقي، ص١٦٤.
[١٣٩] القران الكريم، سورة ال عمران ٤٢.
[١٤٠] علوان، محمد حسن (٢٠٠٢م).رواية موت صغير(طبعة السابعة عشرة).بيروت: دار الساقي، ص ٤٨٦.
[١٤١] القران الكريم، سورة مريم ٧.

يعزز عاطفة الفرح والخلاص الروحي، ويجعل الحدث شخصياً وعالمياً في آن واحد، إذ يرتبط بالمعجزات القرآنية، ويمنح السرد بعداً روحانياً يتجاوز الواقعة المادية.

وبهذا أستطيع أن أقول أن رواية "موت صغير"، تؤكد أن التناص القرآني ليس مجرد إشارة سطحية، بل آلية سردية متعددة الأبعاد:

- التناص التاريخي: ربط الأحداث الواقعية (الطاعون، الصراع السياسي) بالمعنى القرآني للابتلاء والنجاة.
- التناص الرمزي: تحويل رموز قرآنية (عصا فرعون) إلى أدوات سحرية أو رمزية لتعميق الدلالة السردية.
- التناص الأخلاقي والديني: ربط الشخصيات (مثل مريم وفاطمة) بالقيم القرآنية للنقاء والطهارة، وربط الحب والزواج بالمعايير الأخلاقية.
- التناص العاطفي: ربط أحداث الولادة والخلاص الشخصي بالمعجزات القرآنية، مضاعفاً تأثير الحدث على القارئ.

بهذه الطريقة، يصبح القرآن في الرواية عنصراً تكاملياً للسرد، يربط التاريخ بالخيال، والحقيقة بالرمز، والواقع بالروح، مما يعكس إبداع الراوي في المزج بين التراث الديني والخيال الروائي.

الخاتمة

توصل البحث إلى أن رواية «موتٌ صغير» لمحمد حسن علوان قدمت نموذجاً فنياً فريداً في توظيف التناص القرآني بوصفه ركيزة أساسية في بناء الرؤية الصوفية والفكرية للنص، إذ لم يكن حضور الآيات القرآنية مجرد استشهاد بل عنصراً فاعلاً في تشكيل البنية السردية والدلالية. ومن خلال

هذا التحليل، تبين أن علوان استطاع أن يجعل النص القرآني ينبض بالحياة داخل سياقٍ أدبي معاصر، فحول الخطاب الديني إلى تجربة إنسانية وجمالية عميقة. ويمكنني أن ألخص تلك النتائج في نقاط متسلسلة وواضحة:

- تجلى التناص القرآني في الرواية بوصفه أداة فكرية وجمالية تعمّق التجربة الروحية لشخصية ابن عربي.
- لم يقتصر التوظيف على الاقتباس المباشر، بل شمل التلميح والرمز والإيحاء القرآني في اللغة السردية.
- أظهر الكاتب وعياً فنياً في إدماج النص القرآني بما يخدم البنية الصوفية والفلسفية للرواية.
- ارتبط التناص القرآني بمفاهيم أساسية كالابتلاء، النور، الخلق، والموت، لتأطير التجربة الوجودية للبطل.
- أسهم التناص في إثراء السرد بلغة تأملية عالية، تجمع بين القداسة والجمال الفني.
- اتخذ التناص أشكالاً متعددة: تاريخي، رمزي، أخلاقي، وعاطفي، بما يعكس تنوّع وظائفه داخل النص.
- أسهم حضور القرآن في ترسيخ البعد الأخلاقي والديني، وربط الشخصيات بالقيم الروحية العليا.
- برهنت الرواية على قدرة الأدب العربي المعاصر على إعادة توظيف النصوص المقدسة لتوليد دلالات جديدة تعبر عن الإنسان والوجود.

المصادروالمراجع

✓ القران الكريم.

- ابن منظور (١٩٩٠م) لسان العرب (ط١). لبنان: دار صادر.
- الزعبي، أحمد (١٩٩٣م) التناص مقدمة نظرية ، المؤتمر الأول للحركة الأدبية. الأردن: جامعة موت.
- الزعبي، أحمد (٢٠٠٠م) التناص نظرياً وتطبيقياً. الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.
- الندوي، محمد أعظم (٢٠٢١م) التناص القرآني وتجلّياته في كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " للإمام أبي الحسن الندوي. لاكناو: البعث الإسلامي.
- علوان، محمد حسن (٢٠٠٢م).رواية موت صغير(طبعة السابعة عشرة).بيروت: دار الساقي.
- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية (٢٠١٣م).الرياض: دارة الملك عبد العزيز.
- موسى، إبراهيم نمر (٢٠٠٨م)،صوت التراث والهوية " دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد. بيروت: مجلة دمشق.
- محمد حسن علوان، سعوديبيديا https://saudipedia.com/article/1274918.
- علوش، سعيد (١٩٨٥م)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (ط١). المغرب: دار البيضاء.
- منصوري، جوى (٢٠١١م) التعلق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني:" النفير والقيامة لفرج الحوار أنموذجاً. الجزائر: مجلة كلية الآداب واللغات (جامعة العربي التبسي)، العدد ٨.

مظاهر العنف الأسري

ضد المرأة وآثاره السلبية على الأطفال

د. سيدة مهبارة بيضاء
أستاذة مساعدة، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، بودجام، سريناغر، كشمير

الملخص :

يستمر العنف ضد المرأة في كل بلد في بلدان العالم باعتباره انتهاكاً واسع النطاق لحقوق الإنسان وعقبة رئيسية أمام تحقيق المساواة بين الجنسين . إن مظاهر العنف الأسرى ضد المرأة ليس نتاج الساعة ولا يعتبره مسألة جديدا وعاجلاً بل هى ممتدة إلى عمق التاريخ البشري . يشكل العنف الأسري ضد المرأة انتهاكاً لكرامة المرأة و تهديداً لأمن الأسرة واستقرارها و عائقاً أمام تنمية المجتمع حيث أنه يحد من قدرة المرأة على التمتع بالحقوق و الحريات الأساسية التي يقرها لها الشريعة أو الدساتير الدولية أو القوانين الوطنية . لا شك أن ذلك سيكون له تأثير سلبي على حياة النساء والأطفال سواء كان ذلك جسديًا أو نفسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو غير ذلك كما أصبحت مظاهر العنف الأسري ضد المرأة وباء يهدد حياة أفراد وصحتهم ويعطل التماسك الأسري ويحول البيئة الأسرية الدافئة إلى مكان للشقاء والعذاب مما قد يؤدي في بعض الأحيان إلى و أو الانتحار ولذلك يجب أن يكون لدى كل فرد في المجتمع قدر كبير من الوعي والعمل بلا كلل من أجل بناء حياة اجتماعية و ثقافية تقوم على مبدأ الاحترام المتبادل ، و إزالة جميع العوائق التي تلوث صفو عيشها والاعتراف بحقوقها المختلفة حتى يمكن استئصال مظاهر العنف الأسري ضدالمرأة واجتثاث جذوره كما هدفت هذه الدراسة لمعرفة مظاهر العنف الواقع على المرأة الأكثر انتشار في الأسرة والمجتمع ،

و معرفة مفهومه و تحديد أشكاله و أسبابه التي تؤدي إلى تعنيف المرأة مع معرفة آثاره الضارة على المرأة و الأطفال ، ثم توصلت الدراسة إلى مجموعة النتائج والحلول اللازمة على هذه مظاهرة .

الكلمات المفتاحية : العنف ، الأسرة ، الطفل ، أشكال العنف ضد المرأة ، الأطفال .

المقدمة :

العنف في اللغة :

يمكن تعريف العنف في اللغة على أنه قسوة والشدة ، وهى كلمة مشتقة من الفعل " عَنُفَ" فعند القول بـ " عنف بالرجل" أي لم يرفق به و عامله بقسوة وشدة . كما يعرف (ابن منظور / الفيومي ،/ الأزهري) بأنه الخرق بالأمر وقلة الرفق به ، وهو ضد الرفق ، يقال : أعنفته تعنيفاً : أي عيرته و لمته و وبخته بالتقريع ، و العنيف : الشديد القول ، والعنف : الغلظ والصلابة واعتنف الأمر : إذا أخذه بعنف ، و أعنف الشيء أخذه بشدة و عنَّفه : لامه بعنف و شدة والتعنيف : التوبيخ والتقريع واللوم [142]. هذا يدل على أن معاني العنف في اللغة : الشدة والقسوة واستخدام القوة و هو خلاف الرفق .

العنف اصطلاحًا :

بشكل اصطلاحي يتم تعريف العنف من خلال أكثر من تعريف واحد :

١. يُعرف العنف بشكل اصطلاحي بأنه سلوك جسدي أو معنوي يتبعه القوة والإيذاء الجسدي والنفسي ، وهو ظاهرة اجتماعية تؤدي إلى نتائج سلبية و تعوق التكيف مع

[142]. مقاييس اللغة ، لسان العرب لابن منظور ، ص : ٢٥٧-٢٥٩ / تاج العروس لأزهري ص: ٣-٥ / الفيومي ، المصباح المنير، ص: ١٦٤ .

أفراد المجتمع كما عرفه علماء النفس على أنه : " سلوك الفرد البدني و اللفظي الذي يتسم بالتطرف فى العدوان الصريح و المباشر، وذلك بهدف إلحاق الأذي بدنياً و نفسياً بالآخرين و هو ميل انفعالي عدواني مباشر وخارجي ، موجه إلى آخر توجيها مباشراً مادياً أو لفظيا ويؤدي بصاحبه إلى أن يفكر ويدرك بطريقة غير عادية [١٤٣] ".

٢. وقد عرف بعض الفقهاء العنف بقولهم : "هو استخدام الفعلي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذي و الضرر بالأشخاص و الإتلاف للممتلكات[١٤٤] ".

٣. مفهوم العنف من المنظور الاجتماعي عرفته الدكتورة ليلي عبد الوهاب :" بأنه سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال و اخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة و اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا مما يتسبب في إحداث اضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى[١٤٥] ".

إذن العنف هو سلوك عدواني يمارسه فرد أو مجموعة أو طبقة اجتماعية معينة بهدف استغلال أو إخضاع الطرف المعارض بسلطة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية غير متكافئة حيث من المعروف أنه يحرم الآخرين سواء حرية التعبير أو حرية الفكر أو حرية الرأي مما يؤدي إلى ضرر مادي أو معنوي أو نفسي .

---

[١٤٣] العنف ضد المرأة بين الترجم وآليات المواجهه ، جمعه مجدي محمد ، ص : ٣٩

[١٤٤] العنف الأسري ، أسبابه ، آثاره ، وعلاجه في الفقة الإسلامي ، د. محمد البيومي الراوي بهنسي ، ص : ١٧١

[١٤٥] العنف الأسري الجريمة والعنف ضد المرأة ، ليلى عبد الوهاب ، دمشق ، دار المدى للثقافة و النشر ، تاريخ الإصدار ١٩٩٤ ، ص : ١٦

العنف الأسري ضد المرأة :

يُعرف العنف الأسري بعدة أسماء مثل الإساءة الأسرية أو الإساءة الزوجية أو بأنه شكل من أشكال السلوك التعسفي الصادر عن أحد الشريكين أو كليهما في علاقة الزوجية أو الأسرية . أصبح العنف المنزلي منتشراً في المجتمع المعاصر وقد أصبحت هناك العديد من حالات سوء الاستخدام أو الإساءة معاملة الأسرة التي تظهر بعدة مظاهر مما يدل على أن الأسرة قد أصبحت مليئة بالعديد من مظاهر العنف .

إن العنف الموجة ضد المرأة يفهم على بأنه :" سلوك أو الفعل الموجة إلى المرأة على وجه الخصوص سواء كانت زوجة أو أما أختا أو أما ابنة أو أما عاملة وتتسم بدرجات متفاتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية الناجم عن علاقات القوة غير متكافئة بين الرجل والمرأة فى المجتمع والأسرة [146]".

يعرف العنف ضد المرأة أيضا " فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل ان ينجم عنه أذى ومعاناة جسمية أو نفسية للمرأة بما في ذلك التهديد باقتراب هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء أحدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة[147] "

يعتبر العنف الأسري ضد المرأة من المشاكل العالمية التي لا يكاد لا يخلو المجتمع منها سواء تم وصفه بالتقدم أو التخلف لأنه يشكل انتهاكاً لحقوق الإنسان و الحريات الأساسية التي يجب أن يتمتع بها و هو ما يمارس عبر التاريخ فى جوانب و أشكال مختلفة كمظهر من مظاهر علاقات القوة المتساوية بين الرجل والمرأة عبر التاريخ و التي أدت إلى سيطرة الرجل على النساء وممارسته التمييز ضدهن . أصبح العنف ضد المرأة خاصة العنف الأسري من القواعد الاجتماعية الحاسمة التي

[146] سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي ، طه عبد العظيم حسين ، ص : ١٥

[147] العنف ضد المرأة ، الدكتورة فهيمة كريم المشهداني ، قسم الاجتماع – كلية الآداب جامعة بغداد ، ص : ٤

تفرض التبعية على المرأة للرجل و ينتج عن ذلك تداعيات و انعكاسات خطيرة على أسرة والمرأة على حد سواء وقد يؤدي إلى معاناتها من تجارب سيئة و خبرات عاطفية فاشلة ومعاناة نفسية واضطرابات سلوكية وعلاقات اجتماعية مفككة (Disjointed Social Relation) و كذلك عن إصابتها بالعجز الدائم أوحتى الوفاة[148] .

ومن المهم التعرف على أشكال هذا العنف لا يأخذ شكلاً واحداً و لا يظهر بأسلوب وسلوك واحد بل له عدة أشكال يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١. **العنف الجسدي :** يعد العنف الجسدي من أكثر أنواع العنف انتشارا ضد المرأة ، فيه تتعرض المرأة للضرب المبرح الذي يسبب الجروح والإصابات المختلفة في الرأس والوجه والكدمات ، أو الركل ، أو العض ، أو الصفع ، أو كسر العظام أو شد الشعر، أو لف الذراعين ، أو الحرق ، أو الطرد من المنزل وما إلى ذلك كما أنه يشمل أي تصريفات ينتج عنه ضرر جسدي حتى و إن كان عبثاً بالطعام ، أو الدواء ، أو درجات الحرارة التي تحتاجها المرأة .

٢. **العنف النفسي :** هو العنف يمارس ضد المرأة من خلال الكلمات مهينة أو الإهانا ت التي تحط من وضعها بالإضافة إلى التهديدات اللفظية وسوء المعاملة وهذا يشمل التهديد بالطلاق وللعنف النفسي آثار سلبية على نفسية المرأة بالرغم عدم وجود آثار واضحة إلا أنه يؤدي إلى أمراض نفسية شديدة مثل الإكتئاب والخوف والقلق .

[148] المرأة المعنفة فى المجتمع الجزائري ، د.عمار نوال ، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية العدد ١٦ الصفحة ٧١

٣.**العنف الاقتصادي :** يعود سبب هذا العنف إلى عدم قدرة المرأة على الحصول على المال بسبب اعتمادها المادي على زوجها ونتيجة لذلك فهي غير قادرة على اتخاذ أي قرار مالي و لا حتى إبداء رأيها في الأمور المالية على اعتبار أنه هو الرجل الذي يجمعها .

٤.**العنف اللفظي :** يؤثر العنف الجسدي على نفسية المرأة ، فإن العنف اللفظي له أيضاً تأثير واضح و أكبر على صحتها النفسية و من أمثلة هذا النوع من العنف : الصراخ عليها فى الأماكن العامة ، و استخدام عبارت و كلمات تقلل من شأنها و تذلها أمام الناس . إنه أحد أكثر الأنواع شيوعاً فى المجتمعيات الغنية والفقيرة على حد سواء [149].

٥. **العنف الجنسي :** يحدث هذا النوع من العنف عندما تجبر المرأة على ممارسة أي فعل جنسي تحت الإكراه . لا يجب أن تكون علاقة كاملة لكنها كافية لإجبار أي نوع من الإيذاء الجسدي مثل التلفظ بمحتوي جنسي أو الإجبار على مشاهدة أفلام جنسية كما أن الامتناع عن إشباع الرغبة الجنسية للزوجة هو أيضًا شكل من أشكال العنف الجنسي .

أهم أسباب العنف ضد المرأة :

إن قضية العنف الأسري ضد المراة ليست حديثة فهي قديمة و ليست قضية محلية بل هى قضية عالمية حيث تنتشر في كل المجتمعات حضارية ومتخلفة لكهنا تظل واحدة من أكثر الأمور و القضايا الخفية لأنها تدخل في إطار المشاكل العامة التي تغطي العادات والتقاليد وتمنع إفشاء أسرار الأسرة و لذلك لا يربط العنف ضد المرأة بعامل مجتمعي واحد بقدر ما يرتبط بمجموعة من العوامل التي تشابك فيما بينها لتوليد تلك الأسباب التي تؤدي إلى العنف ضد المرأة وتدعمه . أسباب العنف ضد

[149] العنف ضد المرأة : أسبابه ، وأشكاله ، وآثاره وأهم حلوله ، ٤ سبتمبر ٢٠٢١

المرأة كثيرة ومتنوعة ولم يتم حصرها والنقاش بشأنها مطول لكن سنركز في هذا الموجز على أهم العوامل المسببة للعنف ضد المرأة على النحو التالي[150] :

١. غياب أو ضعف القناعة الدينية : يعتبرها من أكبر وأخطر الأسباب التي تؤدي إلى ارتفاع معدل الجريمة حيث يسهل على الفرد ارتكاب الجريمة و ممارسة العنف بجميع أنواعه إذا لم يجد رادعاً يمنعه من ارتكابها . فالدافع الديني من أقوى الوسائل التي تمنع الإنسان من ارتكاب الجرائم وهو أنجع وسيلة لحماية الإنسان من خطر الجريمة والوقوع فيها لأنه يساعد على تجنب الوقوع فيها والإنسان العادي هو الذي يعلم أحكام دينه ويطبقها على حالها ولا يخرج عنها يميناً ولا يساراً بل يطبقها كما كان أمر بغير تطرف .

٢. التأثر بما تقدمه وسائل الإعلام : تعتبر وسائل الإعلام و مواقع التواصل الاجتماعي في هذا الزمن من أكثر الوسائل تأثيراً في تفكير الناس و أخلاقهم و سلوكهم وفي بناء توجهاتهم بسبب شدة سيطرتهم على عقول الناس استحواذهم على اهتماماتهم و أزمانهم و قوة تأثيرهم عليهم . فقد يتأثر المرء بما تعرضه وسائل الإعلام من مشاهد فهي تشجع على العنف بما في ذلك مشاهدة أفلام عنيفة التي تدفع الشخص إلى تطبيق ما يراه على أسرته أو غيرهم . حيث أن المشاهد العنيفة التي تعرضها وسائل الإعلام لا تنفس عن الفرد بقدر ما تدفعه و تحفزه على ممارسة السلوك العنيف .

٣ . الانحرافات الأخلاقية : مثل شرب الخمر واللكحول وغيرهما تزيد من الخلافات الأسرية وتؤدي إلى اللجوء إلى العنف ضد المرأة حيث تعاطي المخدارت يزيد بشكل كبير من مخاطر العنف الأسري . ومن الأمور المسلم بها نظراً وواقعاً أن تعاطي المسكرات والمخدرات بل يعد الإدمان على شرب الخمر

[150] العنف ضد المرأة والعوامل المسببة له ، محمد شاكر ، https://www.qho.int

والمسكرات والمخدرات من أكبر أسباب العنف الأسري ومن أكبر المشاكل التي تؤجج الخلافات الأسرة ولا شك أن هذا المحرمات لا تصدر إلا من شخص منحرف أخلاقيا و دينيا [151].

٤. أسباب الاقتصادية : تلعب الظروف الاقتصادية والسكنية للأسرة دوراً مهماً في حدوث العنف ضد المرأة داخل الأسرة مثل عدم القدرة على توفير احتياجات الأسرة أو التهرب من تأمينها أو ضيق المنزل وكثرة العدد من سكانها كلها تؤدي إلى حدوث خلافات مستمرة تتصاعد لدرجة العنف بالإضافة إلى انعدام التوازن النفسي لدى الرجل فضعف بنيته النفسية حيث يواجه بعض الصعوبات في حياته اليومية وينعكس ذلك في العنف والقسوة على الضعيف من حوله . كما نقل نوال بن عمار قول مصطفى حجازي في مقاله " يتناسب القهر الذي يخضع له الرجل في المجتمع ، فالأمر مطلقاً عنيفا و رضوخاً يقابلهما مجرد سيادة وتسلط كلما كان الرجل أكثر عبثاً في مكانته الاجتماعية مارس قهراً أكبراً على المرأة[152] " .

٥. العوامل النفسية المرأة : قدرة أفراد الأسرة على تحمل الإحباط والضغط النفسي وضعف الشعور بالمسؤولية تجاه أفراد الأسرة ، تسبب اضطراب شخصية الرجل والشك في سلوك أفراد الأسرة وخاصة الإناث إشكالا من العنف [153].

٦. ومن الأسباب حدوث العنف الثقافة المجتمعية مثل الجهل وقلة معرفة المرأة في التعامل مع الرجل وعدم احترام الرجل للمرأة بسبب الحقوق التي يتمتع بها الرجل . وهى عامل رئيسي في العنف والجهل الذي قد يكون كلا الطرفين المرأة والرجل الذي يرتكب العنف ضد المرأة .

---

[151] العنف الأسري ، أسبابه ، آثاره ، وعلاجه فى الفقة الإسلامي ، محمد البيومي الراوي بهنسي ، ص : ١٨٣

[152] المرأة المعنفة فى المجتمع الجزائري ، د.عمار نوال ، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية العدد ١٦ ، ص : ٧١

[153] المجلة العربية للنشر العلمي ،جرائم العنف ضد المرأة وآثارها على المجتمع ...الدكتور معن فتحي مسمار ، ص : ١١٣

٧ . في بعض الأحيان يكون للجهل و الفقر دور كبير و دور بارز في العنف ضد المرأة فهناك بعض الفئات التي تعاني من التخلف فى التفكير فيتعاملون مع المرأة و كأنها مهملة و لا قيمة لها ، حيث يمكنها التعامل معها من منظور أن دورها داخل المنزل فحسب وخارجه أنها لا شيء .

هذه بعض أهم الأسباب السلبية التي تؤدي إلى العنف الأسري ضد المرأة ، ونتيجة لذلك فإن لها تأثيرً سلبياً للغاية على المرأة سواء من حيث الجسدية أو النفسية أو الاقتصادية أو غير ذلك . كما تعتبر العنف الأسري ضد المرأة مشكلة كبيرة في العالم التي لا تؤثر على المرأة فقط بل تؤثر أيضاً على الأسرة بأكملها التي تعتبر نواة المجتمع و هذه المشكلة تؤدي بشكل مباشر إلى انتشار الفساد و البغض والعديد من المشاكل السلبية التي نراها حالياً في المجتمع بشكل واضح .

آثار العنف الأسري على المرأة :

قد يكون للتعرض للعنف الأسري ضد المرأة آثار سلبية شديدة على الصحة الجسدية والنفسية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للنساء المعنفات وبيئتهن الاجتماعية وأكثر هذه الآثار شيوعاً هى[154] :

الأعراض الجسدية أمثال الكدمات والحروق والكسور وفقدان الأسنان وآلام الحيض الشديدة ومشاكل القلب والصداع المزمن واضطراب الجهاز الهضمي وسوء الصحة العامة وغير ذلك وكما يؤدي العنف الأسري الممارس على المرأة حدوث مشاكل في النوم و اضطرابات فى الأكل . تواجه المرأة أيضًا من أعراض نفسية مثل الاكتئاب أو القلق أو الخوف أو محاولات الانتحار و يؤثر هذا على نمط الحياة العمل مثل استقالة أو تبديل أماكن العمل أو مشاكل العمل أو فقدان الوظيفة ، وله

[154] آثار العنف ضد المرأة ، https://www.frauen-gwgen-gewalt.de

التأثير السلبي على السلوك الصحي مثل شرب الكحول أو إدمان الأدواية أو التدخين أو تعاطي المخدرات فتكون عواقب الأسرة والعلاقات الاجتماعية مثل الانفصال و العزلة و قطع الروابط الأسرية أو الخوف من العلاقات الحميمة .

آثار العنف الأسري ضد المرأة على الأطفال :

فيما يلى العديد من الآثار السلبية التي تظهر على الأطفال نتيجة تعرض المرأة للعنف الأسري :

يتعرض الأطفال الآثار النفسية عند مشاهدة العنف ضد المرأة في الأسرة كما يتعرضون لمشاكل صحية خطيرة كالاكتئاب و القلق و الخوف و البكاء بالإضافة إلى أمراض القلب والسكري و بعضم يعاني التبول ليلي والعديد من المشاكل الأخرى .

ويؤثر العنف ضد المرأة على أسرتها و أطفاها حيث يوجه الأطفال صعوبة في النوم و لا يحصلون على درجات عالية في المدرسة ، و يواجهون صعوبات في تكوين الصداقات بالإضافة إلى مشاكل مع القانون خاصة في مرحلة المرهقة كما الأطفال الأكبر سناً مدمنين على اللكحول ويجربوا المهدئات[155]

.

فالأطفال الذين يتواجدون في معظم مظاهر العنف المنزلي ضد أمهاتهم هذا ينعكس بالتأكيد في سلوكهم فإما أنهم يمارسون العنف المنزلي كتقليد لسلوك والديهم وقد يكونون ضحايا لهذا السلوك فالطفل الذين يشاهد والده يضرب أمه يمارس نفس السلوك مع الإناث في المستقبل ويقلد والده . وأما الفتاة التي ترى الضرر الذي يلحق بأمها أمامها بإنها تتوقع حدوث ذلك معها في المستقبل كما تميل الفتيات إلى عزل أنفسهن عن الناس والاحتفاظ بمشاكلهن بداخلهن وإظهار علامات القلق

[155] https://www.rcpsych.ac.ukما هو تاثير العنف المنزلي على الأطفال ،

والاكتئاب وكره أنفسهن ويعانون من شكاوي جسدية مختلفة وظهور أعراض اضطراب الأكل وقد يؤذون أنفسهن من خلال تبادل الأدوية المهدئة وحتى جرح أنفسهن[156] .

يتسبب العنف الأسري ضد المرأة في فقدان الثقة بالنفس لدى الأطفال وبالتالي ينشأ لديهم شعور بالخوف وعدم الرغبة في اتخاذ أي إجراء . وفي الأخير يمكن أن نقول بأن العنف الأسرى ضد المرأة يعلم الأطفال الخوف من الناس و العلاقات كما يقول بويل : " يغير العنف الأسري طريقة نمو دماغ الأطفال وتطوره مما يؤثر على رؤيتهم لأنفسهم ولغيرهم و للعالم كله فغالبا ما يفتقد هؤلاء الأطفال إلى العلاقات الآمنة فيهتمون بدلا من ذلك بالصراع من أجل البقاء و هو مايعيق تطورهم الطبيعي و يجعل خوض العلاقات أمرا شديد الصعوبة بالنسبة لهم فهم يرون الخطر فى كل شخص يلتقون به[157]".

هذه بعض الآثار السلبية التي يخلفها العنف الأسري ضد المرأة على الأطفال ولذلك يجب على الآباء عدم الترويج لأي نوع من العنف في المنزل لأنه لا يتسبب فقط فقدانهم لراحة البال بل يفقده أفراد الأسرة أيضاً . كمايعتبر العنف المنزلي أشد أشكال العنف لأنه خيانة للسلامة و القسوة في مكان الحنان والمودة وإذا لم يجد الطفل الأمان فى منزله فأين يجد الأمان؟ .

أظهرت الدراسة المختلفة بأن المتزوجات أكثر تعرضاً للعنف الأسري من أزوجهن و أكثر أنواع العنف الأسري التي تتعرض لها المرأة شيوعاً هى الإهانة و الإذلال فالأطفال الذين تعرضت أمهاتهم للعنف الأسري يعانون مشكلات جسدية ونفسية وسلوكية بما في ذلك تأخر في النمو أو المشاكل في

---

[156] المرجع نفسه .

[157] https://www.aljalzeerat.netكيف يؤثر العنف الأسري على عالم الأطفال ؟ محمد أسامة ،

النوم والأكل وفقدان الشهية وضعف الأداء الأكاديمي وأحياء الفشل فيه وضعف التعاطف مع الآخرين ونوبات الغضب وغيرذلك .

فلاشك فيه أنه من الضروري للغاية إيجاد حلول مهمة لمنع العنف ضد المرأة فى الأسرة مثل إنشاء جمعيات فاعلة تعني بالتعامل مع قضايا المرأة بشكل عام وقضايا العنف بشكل خاص على أن يتم دعمها بحيث تمارس نشاطهابشكل أكثر فاعلية بحيث لا يكون موسميا و في نطاق ضيق بل يمتد ليشمل إلى المجتمع بكامله ، وتحمى جميع حقوق المرأة و إعطاؤها الاحترام الكامل داخل المنزل وخارجه وكما العمل على إيجاد الحلول من قبل المؤسسات التعليمية من خلال تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ومنع العنف الأسري ضد المرأة وتقليل عدد النساء المعتدي عليهن .

ففرض العقوبات الشديدة على مرتكبي العنف الأسري ضد المرأة قد يؤدي دورا بارزا في هذا المجال وفوق ذلك يحتاج الناس إلى أن يعرفوا بدقة ما هى آثار العنف المنزلي على الأطفال ولا ينبغي للضحية أن تستسلم لهذا العدوان وسوء المعاملة ويمكنها طلب المساعدة .

المصادروالمراجع :

١. المجلة العربية للنشر العلمي ، جرائم العنف ضد المرأة و آثارها على المجتمع من وجهة نظر العاملين في مراكز حماية الأسرة ، دراسة ميدانية على المجتمع الأردني . الدكتور معن فتحي مسمار ، العدد ٢٢ ، تاريخ الإصدار : ٢-آب-٢٠٢٠ .

٢. عنف الأسري أسبابه و آثاره و علاجه في الفقة الإسلامي ، محمد البيومي بهنسي / نايف بن دخيل صعفق العنزي ، مجلة الشمال للعلوم الإنسانية (ISSN: 1658-7006) ، المجلة (٥) ، العدد (٢) ، جامعة الحدود الشمالية ،(٢٠٢٠م/١٤٤١ هـ) .

٣. العنف ضد المرأة ، د. فهيمة كريم المشهداني ، قسم الاجتماع – كلية الآداب جامعة بغداد ، ص : ٤ .

٤. العنف الأسري ، أسبابه ، آثاره ، وعلاجه فى الفقة الإسلامي ، د . محمد البيومي الراوي بهنسي ،المجلة التاسع من العدد والثلاثين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

٥. العنف ضد المرأة بين الترجم وآليات المواجهه ، جمعه مجدي محمد ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ٢٠١٥ .

٦. العنف الأسري الجريمة والعنف ضد المرأة ، ليلى عبد الوهاب ، دمشق ، دار المدى للثقافة و النشر ، تاريخ الإصدار ١٩٩٤ ، ص : ١٦ .

٧. المرأة المعنفة في المجتمع الجزائري ، د.عمار نوال ، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتمالتمرداعية العدد ١٦ الصفحة ٧١.

٨. العنف ضد المرأة : أسبابه ، وأشكاله ، وآثاره وأهم حلوله ، ٤ سبتمبر ٢٠٢١ .

٩. كيف يؤثر العنف الأسري على عالم الأطفال ؟ محمد أسامة ، https://www.aljalzeerat.net .

إسهامات عائشة عبد الرحمن
في اللغة العربية وثقافتها

حسن. كي.أم باحث الدكتوراه، كلية روضة العلوم العربية بفاروق، كيرالا
د. نجم الدين. بي، مشرف البحث، كلية روضة العلوم العربية بفاروق، كيرالا

الملخص

عائشة عبد الرحمن، أو كما عُرفت بباسمها القلمي "بنت الشاطئ"، هي واحدة من أعظم الأسماء في عالم الفكر العربي والإسلامي خلال القرن العشرين. هي امرأة جمعت بين التراث الإسلامي العريق والحداثة الفكرية، واستطاعت بصبرها واجتهادها أن تتفوق في مجال لطالما ارتبط بالرجال في ذلك الوقت. ولدت عائشة عام 1913م في مدينة دمياط بمصر، في أسرة تقليدية محافظة. ورغم نشأتها في بيئة اجتماعية كانت تحدّ من تعليم المرأة، إلا أن شغفها بالعلم ومعرفتها العميقة بثقافتها الإسلامية والعربية جعلها تتحدى تلك التقاليد. تُعتبر عائشة عبد الرحمن واحدة من أبرز الشخصيات التي قدَّمت إسهامات كبيرة في تطوير الدراسات اللغوية العربية، إحياء التراث الإسلامي، والدفاع عن قضايا المرأة. كانت تؤمن بأن اللغة العربية ليست فقط أداة للتعبير، بل هي هُوية ثقافية وأساس وحدة العرب. عبر هذا المقال، سنُلقي الضوء على إسهاماتها البارزة في إثراء اللغة العربية وثقافتها.

المقدمة

الدكتورة عائشة عبد الرحمن، المشهورة بلقب بنت الشاطئ، من أبرز النساء في تاريخ الفكر العربي والإسلامي الحديث. كانت امرأة قوية وذكية، أحبّت العلم منذ صغرها، وتمكّنت بإصرارها وجهدها

من الوصول إلى مكانة كبيرة في مجالٍ كان يسيطر عليه الرجال في ذلك الوقت. جمعت بنت الشاطئ بين حبّها العميق للتراث العربي والإسلامي وبين فكرٍ متجدد يواكب روح العصر، فكانت مثالًا للمرأة التي تجمع بين الأصالة والحداثة في آنٍ واحد.

نشأت عائشة في بيتٍ محافظ، لكنّ شغفها بالعلم وحلمها بأن تخدم لغتها وثقافتها ساعداها على تجاوز الصعوبات الاجتماعية التي واجهتها. لم تكن دراستها مجرّد طريق للمعرفة، بل كانت رسالة تؤمن بها وتسعى من خلالها إلى خدمة الأمة واللغة العربية التي رأت فيها رمز الهوية ووسيلة النهوض الثقافي.

تتناول هذه الدراسة جانبًا مهمًا من مسيرة بنت الشاطئ، حيث تسلّط الضوء على إسهاماتها في اللغة العربية وثقافتها، وتبيّن كيف استطاعت أن تجعل من فكرها وكلماتها جسرًا يصل بين الماضي والحاضر، وأن تكون قدوة للأجيال في الإيمان بالعلم والعمل والتجديد.

نشأة عائشة عبد الرحمن وتكوينها الثقافي

وُلدت عائشة عبد الرحمن في مدينة دمياط عام 1913م، في أسرةٍ بسيطة ومتديّنة. كان والدها شيخًا في الأزهر الشريف، وكانت أمها ربة منزل أُمّية، ولكنها كانت حكيمة وقوية التأثير في حياة ابنتها. تربَّت عائشة في كنف والدها، حيث درست على يديه علوم اللغة العربية والفقه الإسلامي، وكانت طفولتها مليئة بالمطالعة والبحث. رغم رفض والدها لفكرة تعليم الفتيات في المدارس، إلا أن إصرارها وشغفها جعلاه يسمح لها بالالتحاق بالتعليم الرسمي لاحقًا.

كان والدها عالمًا أزهريًا يهتم بالعلم والدين، فزرع في نفسها حبّ اللغة العربية والقرآن منذ طفولتها. نشأت في بيتٍ يقدّر التعليم رغم أن المجتمع في ذلك الوقت لم يكن يشجّع البنات على الدراسة. ومع

ذلك، كانت عائشة تحبّ القراءة والكتابة منذ صغرها، فكانت تمضي وقتها بين الكتب، تحفظ القرآن وتقرأ في الأدب والتفسير. واجهت بنت الشاطئ عقبات كثيرة في طريق تعليمها، لأن كثيرين كانوا يرون أن مكان الفتاة في البيت، لا في المدرسة. لكنها كانت مصمّمة على النجاح، فتابعت دراستها حتى وصلت إلى جامعة القاهرة، حيث درست اللغة العربية وآدابها. هناك تعلّمت طرقًا جديدة في التفكير والبحث، وتوسّعت في معرفة الأدب والبلاغة والقرآن، فكوّنت لنفسها شخصية علمية مميّزة.

امتزج في تكوينها حبّ التراث القديم بروح العصر الحديث. فقد جمعت بين ما تعلمته من بيئتها الدينية المحافظة وما اكتسبته من دراستها الأكاديمية الحديثة، فكانت مثقفةً واعية تجمع بين الأصالة والتجديد. ولهذا أصبحت بنت الشاطئ مثالًا للمرأة العربية المتعلّمة التي تجمع بين الإيمان والعقل والحرية في الفكر.

بعد سنوات من الدراسة المنزلية، التحقت عائشة بجامعة القاهرة، حيث درست الأدب العربي، وتخرجت منها بامتياز عام 1939م. وفي عام 1950م، حصلت على درجة الدكتوراه عن أطروحتها التي تناولت تحليل النصوص العربية التراثية من منظور نقدي حديث. كانت أطروحتها تتناول الجوانب البلاغية والجمالية للنصوص الإسلامية الكلاسيكية، مما أتاح لها فرصة لإبراز الجوانب الإبداعية للغة العربية.

بيئة الطفولة وتأثير الأسرة

عاشت عائشة عبد الرحمن، المعروفة بلقب بنت الشاطئ، وسط أسرة متدينة تحترم الدين والعلم معًا. كان والدها إمامًا وخطيبًا في الأزهر، معروفًا بتمسّكه الشديد بالعادات والتقاليد، بينما كانت

والدتها أكثر مرونة وتشجع ابنتها على الدراسة، رغم أن المجتمع آنذاك لم يكن يرحّب كثيرًا بتعليم البنات[158]. كبرت عائشة بين هذين التأثيرين المختلفين: صرامة الأب وتشجيع الأم، فتعلمت أن تجمع بين الإيمان بالعقل واحترام الدين، وبين الطموح والالتزام. منذ طفولتها، أحبت القراءة وحفظ القرآن الكريم، ووجدت في ذلك متعةً وسبيلاً للمعرفة، فكوّنت لنفسها أساسًا قويًا من الثقافة والعلم.

كانت دمياط، بطبيعتها الهادئة على شاطئ البحر، مصدر إلهام لها، فقد رأت في بساطة الحياة اليومية حولها درسًا في الصبر والكفاح[159].[4] وكانت والدتها القدوة الأولى في حياتها، إذ كانت تخفي لها كتب المدرسة داخل أواني الطعام حتى لا يكتشف والدها الأمر، لتتمكن من مواصلة تعليمها. هذا الموقف الصغير ترك أثرًا كبيرًا في نفس الطفلة، فعلمها الإصرار على التعلم مهما كانت الصعوبات. ومع مرور السنوات، ظلّت بنت الشاطئ وفيّةً لذلك الدرس الأول من أمها: أن طريق العلم لا يُغلق أمام من يؤمن به، وأن المرأة تستطيع أن تتعلّم وتعمل وتبدع دون أن تتنازل عن دينها أو هويتها العربية.

إسهامات عائشة عبد الرحمن في اللغة العربية

قدّمت عائشة عبد الرحمن جهودًا كبيرة في خدمة اللغة العربية، جمعت فيها بين حب التراث وروح التجديد. [1] كانت من أوائل النساء العربيات اللاتي درسن النصوص العربية بعمق، فاهتمت بجمال اللغة وبلاغتها، وسعت إلى إبراز قدرتها على التعبير عن الفكر والمشاعر بدقة وجمال[160]. ومن أبرز

[158] عبد العزيز شرف، بنت الشاطئ: سيرة ومسيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 23

[159] فاطمة الزهراء إبراهيم، "بنت الشاطئ وريادة المرأة في الفكر الإسلامي"، مجلة الفكر المعاصر، العدد 45، 2005، ص 76

[160] بنت الشاطئ، مقدمة في تفسير البيان للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص 9

أعمالها كتابها المعروف «الإعجاز البياني للقرآن الكريم»، حيث شرحت فيه بأسلوبٍ بسيطٍ ومؤثرٍ روعة اللغة القرآنية، وكيف يجتمع فيها الإيمان والعلم في آنٍ واحد. كانت ترى أن اللغة العربية ليست مجرد أداة للكتابة، بل هي هوية الأمة وذاكرتها. لم تقتصر جهودها على الكتب فقط، بل كتبت في الصحف والمجلات مقالات لغوية وتربوية ساعدت الطلاب والقراء على فهم العربية وحبها. بأسلوبها السهل والعميق في الوقت نفسه، جعلت بنت الشاطئ اللغة أقرب إلى الناس، وأثبتت أن المرأة قادرة على الإبداع في مجال اللغة والفكر مثل أي عالم أو أديب.

قدمت عائشة العديد من المؤلفات التي تناولت بلاغة اللغة العربية وأسرارها. كان كتابها "بلاغة القرآن" أحد أبرز إسهاماتها، حيث حلّلت فيه الجوانب البلاغية للنصوص القرآنية بأسلوب يُظهر جماليات اللغة ويُبرز إعجازها. ركزت عائشة على أهمية الحفاظ على اللغة العربية باعتبارها مفتاحًا لفهم التراث الإسلامي وروح الحضارة العربية. كان أحد أهم أدوارها إحياء النصوص التراثية القديمة وتحقيقها بأسلوب علمي حديث. عملت على تحقيق ودراسة العديد من النصوص الإسلامية، مثل مؤلفات زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب، والتي أظهرت فيها الدور التاريخي للمرأة في الثقافة الإسلامية المبكرة. في زمن الاستعمار الثقافي، دافعت بنت الشاطئ عن اللغة العربية بقوة ضد محاولات تغريبها. كانت ترى أن اللغة ليست فقط أداة للتواصل، بل هي وعاء الهوية الثقافية والحضارية. عبر مقالاتها في الصحف مثل الأهرام والرسالة، دعت إلى الاهتمام باللغة العربية وتطويرها دون المساس بأصالتها.

إسهامات عائشة عبد الرحمن في الثقافة العربية

قدّمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن جهودًا كبيرة في خدمة الثقافة العربية والفكر الإسلامي. جمعت في كتاباتها بين حبّ التراث العربي القديم وروح التجديد، فكانت صوتًا قويًا يدعو إلى فهمٍ أعمق للغة والدين والحياة. رأت بنت الشاطئ أن التراث ليس شيئًا جامدًا نكرره، بل هو طاقة حيّة نستمدّ منها القوة لنفهم حاضرنا ونبني مستقبلنا. لذلك درست شخصيات كبيرة في الأدب العربي مثل الجاحظ وأبي العلاء المعرّي، وقدّمت عنهم دراساتٍ تُظهر عبقرية الفكر العربي[161]. كما كان لها دور رائد في تجديد تفسير القرآن الكريم، حيث دعت إلى فهمه بأسلوب أدبي جميل يعتمد على التذوق والبيان، لا على الحفظ والنقل فقط. [3] وفي مقالاتها وكتبها عن المرأة في الإسلام، دافعت عن حق المرأة في التعليم والعمل والفكر، مؤكدةً أن الإسلام الحقيقي لا يعارض كرامة المرأة، بل يحميها ويرفع من شأنها[162]. ومن خلال مسيرتها الطويلة، استطاعت بنت الشاطئ أن تكون جسرًا بين الماضي والحاضر، تجمع بين الأصالة العربية والتفكير العلمي الحديث، فصارت واحدة من أهم رموز النهضة الفكرية في العالم العربي.

أولت بنت الشاطئ قضايا المرأة اهتمامًا خاصًا. كتابها "نساء النبي" يُعد من أبرز مؤلفاتها، حيث تناولت فيه حياة النساء اللواتي عاصرن الرسول محمد ﷺ. قدَّمت عائشة دراسة مستفيضة عن دور المرأة في بناء الحضارة الإسلامية، مؤكدة أن المرأة لم تكن يومًا عنصرًا ثانويًا، بل شريكًا أساسيًا في بناء المجتمع.

كانت الصحافة منبرًا أساسيًا لعائشة للتعبير عن أفكارها.

[161] عائشة عبد الرحمن، الجاحظ: دراسة في تراثه الفكري والأدبي، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص 9

[162] بنت الشاطئ، المرأة في القرآن الكريم، دار المعارف، 1971، ص 11

عملت ككاتبة ومحررة في عدد من الصحف المصرية والعربية، وكتبت مقالات تناولت فيها قضايا الهوية الثقافية، التحديات التي تواجه اللغة العربية، وأهمية الحفاظ على التراث. كانت عائشة ترى الأدب وسيلة لنقل المعاناة الإنسانية والتجارب الروحية. في كتابها "على الجسر بين الحياة والموت"، عبَّرت عن تجربتها الإنسانية العميقة مع فقدان زوجها، وكتبت بأسلوب مفعم بالوجدان والعاطفة، مما أكسبها مكانة مميزة في قلوب قرائها.

أثر عائشة عبد الرحمن على الأجيال اللاحقة

كان للدكتورة عائشة عبد الرحمن أثرٌ كبير في الأجيال التي جاءت بعدها، سواء في الفكر أو الأدب أو الدراسات الإسلامية. فقد كانت نموذجًا للمرأة العربية المثقفة التي جمعت بين العلم والإيمان، وبين الشجاعة في التفكير والاحترام العميق للتراث[163]. تأثّر بها كثير من الكتّاب والباحثين الذين رأوا فيها مثالًا يُحتذى للمرأة القادرة على الجمع بين الأصالة والتجديد، وبين الدين والعقل. وقد فتحت بنت الشاطئ الطريق أمام المرأة العربية لتشارك في البحث والكتابة بثقة، بعد أن أثبتت أن المرأة يمكن أن تكون باحثة مبدعة ومفكرة مسؤولة دون أن تفقد هويتها أو قيمها. ومن خلال كتبها مثل المرأة في القرآن الكريم والتفسير البياني للقرآن الكريم، ألهمت كثيرين لإعادة قراءة النصوص الدينية بطريقة عصرية تحترم اللغة وتُبرز جمالها.كما أثّرت بنت الشاطئ في عدد من المفكرات العربيات مثل نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي ورضوى عاشور، اللواتي واصلن الدفاع عن قضايا المرأة كلٌّ بطريقتها[164].[4] ومع اختلاف توجهاتهن، بقي فكر بنت الشاطئ حاضرًا في التأكيد على أن الإصلاح يبدأ من داخل المجتمع ومن فهمٍ صحيح للدين، لا من تقليد الغرب أو الابتعاد عن الجذور. لقد كانت

[163] بنت الشاطئ، على الجسر بين الحياة والموت، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص 21

[164] عبد الرحمن بدوي، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992، ص 244

بحقّ رائدةً تركت بصمتها في عقول الأجيال، ومدرسة فكرية تجمع بين الأصالة والانفتاح، وبين العلم والقيم الإنسانية.

عملت بنت الشاطئ أستاذة جامعية في جامعات عربية مرموقة، مثل جامعة عين شمس وجامعة أم درمان. كانت محاضراتها تُركز على إبراز جماليات اللغة العربية وربطها بالهوية الثقافية. استطاعت أن تُلهم العديد من الطلاب والباحثين، وكانت تُشجِّع دائمًا على تبني منهج علمي متجدد في دراسة التراث. أثرت بنت الشاطئ على الأجيال اللاحقة من خلال مؤلفاتها التي أصبحت مراجع هامة للدراسات اللغوية والأدبية. كما أن دفاعها المستمر عن قضايا اللغة والثقافة جعلها قدوة للمرأة المثقفة التي تجمع بين التراث والمعاصرة.

الخاتمة

كانت عائشة عبد الرحمن نموذجًا فريدًا للمرأة العربية التي استطاعت أن تتحدى العوائق الاجتماعية والثقافية وتُحقق إنجازات عظيمة في مجال اللغة والثقافة. كانت ترى أن اللغة العربية ليست فقط وسيلة للتواصل، بل هي جوهر الهوية العربية وروحها. لقد كرَّست حياتها لخدمة اللغة العربية والدفاع عن قضايا الأمة، وأثبتت أن المرأة تستطيع أن تكون قائدة فكرية إذا ما أُتيحت لها الفرصة.، يبقى إرث بنت الشاطئ مصدر إلهام دائم لكل من يسعى لخدمة اللغة العربية وإحياء ثقافتها.

المصادروالمراجع

- ✓ أحمد أمين، حياة بنت الشاطئ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.
- ✓ عائشة عبد الرحمن، رسائل زينب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧
- ✓ عائشة عبد الرحمن، بلاغة القرآن، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٣

- ✓ زكي نجيب محمود، "إسهامات بنت الشاطئ في تحقيق التراث"، مجلة الأزهر، العدد ٥، ١٩٦٠
- ✓ عائشة عبد الرحمن، مقالة بعنوان "اللغة العربية ومقاومة الاستعمار الثقافي"، مجلة الرسالة، العدد ٢٢، ١٩٤٨
- ✓ عائشة عبد الرحمن، نساء النبي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦١
- ✓ إبراهيم مدكور، "دور بنت الشاطئ في الصحافة الثقافية"، مجلة الثقافة، العدد ١٢، ١٩٧٥
- ✓ عائشة عبد الرحمن، على الجسر بين الحياة والموت، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١
- ✓ محمد عبد الله دراز، "التأثير الأكاديمي لبنت الشاطئ"، مجلة الفكر العربي، العدد ٨، ١٩٨٠
- ✓ هدى شعراوي، رائدات الفكر العربي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥

غالب هلسا الروائي الأردني؛
شعلة لا تنطفئ في درب النضال والثقافة

د.محسن م و محاضر
كلية سلم السلام العربية بأريكود، كيرالا، الهند.

الملخص

تُسلِّط هذه المقالة البحثية الضوء على العلاقة الجدلية بين تجربة غالب هلسا الروائي لحياتية الغنية وتنقله بين خمسة أقطار عربية، وبين رؤيته الفكرية والسياسية في ابداعاته، ومحاولة لوضع توظيف تجربته الذاتية وذكرياته في بناء عوالمه الروائية، حيث يمزج بين الواقع والمتخيل في بنى فنية متماسكة. وتؤكد المقالة المكانة العربية الرفيعة لغالب سلامة هلسا وتقدير نقاد كبار مثل نجيب محفوظ لابداعاته الممتعة.

الكلمات المفتاحية: غالب هلسا، الرواية الأردنية،السيرة الذاتية، الاغتراب والانتماء، الأدب والسياسةالواقع والمتخيل، التجريب الروائي، المثقف العضوي، التحولات الاجتماعية، التقنيات السردية.

الرواية الأردنية

إن الرواية في الأردن بمضامينها ومقاصيدها و موضوعاتها، كما في أشكالها وتقنياتها الفنية، هي جزء لا يتجزء من الرواية العربية، وهذه الحقيقة تظهر واضحة في مراحل مختلفة، فمع جيل الرواد المشهورين، ومنهم نجد العزيزي يكتب عن التاريخ المربي بروايتي "أبناء الغساسنة" و"إبراهيم باشا"،

ونجد عبد الحليم عباس يكتب عن "فتاة من فلسطين" وعن"فتى من دير ياسين"، ويتابعه عيسى الناعوري[١٦٥] فيكتب عن "جراح جديدة"، وقبلها عن " بيت وراء الحدود"، أما حسني فريز، فيتجه إلى دمشق ليكتب عن "حب من الفيحاء".

بعد جيل الرواد يأتي جيل المؤسسين الحقيقيين للرواية في الأردن، مثل تيسير سبول[١٦٦] وسالم النحاس[١٦٧] وأمين شنار[١٦٨] ثم القلعة الروائية الكبيرة غالب هلسا.

شخصية غالب هلسا الفذة

غالب هلسا هو أديب و مثقف و مناضل. "ولد في قرية ماعين جنوب عمان في ١٩٣٢/١٢/١٨، و تعلم في مدارسها و في مأدبا و عمان. تفتحت اهتماماته السياسية و النضالية مبكرا، و بسبب منها اعتقل و طورد في الأردن و لبنان و العراق و مصر. آخر عهده بالأردن كمقيم كان عام ١٩٥٤، حيث غادر إلى بغداد ثم القاهرة و أكمل دراسته الجامعية عام ١٩٥٨في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، و فيها تفتحت مواهبه و نضجت خبرته و كتب معظم أعماله المعروفة . عام ١٩٧٦ اعتقل و أبعد ما شارك في احتجاجات المثقفين ضد زيارة السادات لإسرائيل، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ، ثم انتقل إلي بيروت، ضمن إطار المقاومة الفلسطينية ، و معها خرج أيلول ١٩٨٢ إلى عدنان، و أثيوبيا و برلين . ثم عاد للإقامة في دمشق عام ١٩٨٣، و رحل فيها يوم ١٩٨٩/١٢/١٨ إلي عدن ، و دفن في عمان. " [١٦٩]

---

[١٦٥] أديب و كاتب و باحث أردني ولد في ناعور القريبة من العاصمة الأردنية عمان عام ١٩١٨م، وتوفي عام ١٩٨٥م.

[١٦٦] شاعر وكاتب أردني، ولد في مدينة الطفيلة الواقعة جنوب الأردن عام ١٩٣٩م.

[١٦٧] سياسي وكاتب أردني من مواليد مدينة مادبا، ولد سنة ١٩٤٠م

[١٦٨] صالح عطا الله شاعر وأديب وصحفي ومفكر من مواليد البيرة في فلسطين عام ١٩٣٣م.

[١٦٩] عبيد الله محمد، الرواية القصيرة في الأردن و فلسطين : بنية الرواية القصيرة ، عمان ، دار أزمنة ، ط ١ ، ٢٠٠٧، ص . ٦٧

وإذا تابع القراء النظر إلى رواية التسعينات بدورها لا تقل انتماء وتعبيرا عن هذا الإرتباط بالعروبة، ولعل الرواية الملحمية الهامة لزياد قاسم[١٧٠] "أبناء القلعة"، التي تروي التاريخ المعاصر لعمان، تقدم اليقين باستحالة وجود رواية أردنية بالمعنى الإقليمي الضيق، وليس بمعنى الإنتماء للأردن كجزء من الأمة أو الوطن العربي. أما أبطال قلعة القاسم الذين شكلوا مدينة عمان فهم، إضافة إلى السكان المحليين الإقليميين من شرق الأردن والبادية، الفلسطينيون والشوام والعراقيون واللبنانيون والمصريون.

مسيرته الحياتية

عاش غالب هلسا حياته كلها غريبا واجف القلب مضطرب الفؤاد. ومنذ ان أدرك وجوده البشري على هذه الأرض لم يعرف معنى الطمأنينة قط، لأن والده، سلامة هلسا، أنجبه وهو في الثمانين، فلم يذق طعم الاحتماء بالأبوة. وفي قريته عاش أيضا غريبا بلا جناح، فلم يتحسس مشاعر الانتماء الى حمولة أو عزوة في مجتمع زراعي شبه بدوي، لأن عائلته قليلة العدد، ولم تكن تميل الى أي واحدة من القبيلتين المتنافستين في القرية، ولا حتى الى القبيلة المسيحية. وحينما انتقل الى الدراسة الداخلية في مدرسة المطران في عمان عاش بين جدرانها غريبا ومنبوذا معا، لأنه كان أصغر تلاميذ صفه، وطالما تسلط الجميع عليه. ولعل التحاقه بالحزب الشيوعي الأردني محاولة لمقاومة الشعور بالغربة، وللاحساس بالانتماء الى جماعة من الناس. والشعور بعدم الانتماء رافقه في جميع مراحل عمره، وربما كان ذلك سببا في عدم زواجه، لأنه، بالتدريج، صار يخشى الانتماء، ولأن الزواج، في رأيه، انتماء حقيقي الى مؤسسة محددة والى امرأة بعينها.

[١٧٠] روائي وأديب من العاصمة الأردنية عمان ولد سنة ١٩٤٥م.

كان أول ما يفعله حينما يستيقظ كتابة أحلامه. وظل طيلة أيام حياته يكتب أحلامه المؤودة، ويرتعش أمام هول مصائره. وعندما علم ان الشمس ستتبدد بعد خمسة ملايين سنة، وان الحياة ستنتهي على هذه الأرض، أُصيب بكآبة وقلق، واعتكف لا يغادر منزله في دمشق ستة أشهر كاملة، وكان ينام ست عشرة ساعة يوميا هربا من ضيقه وخوفه، الى ان اصطحبه سعد الله ونوس الى الطبيب النفساني جمال الأتاسي، فوصف له بعضا من المهدئات ليهديء وجيف قلبه.

لم يكن غالب هلسا ابن القرية الاردنية غريبا عن محيطه و حسب بل عن مجموع ظروف القرية الاجتماعية و الثقافية ، و انتسب إلي حزب اليسار انذاك مجالا للتعبير عن طاقاته و قدراته التي سعت به وباقدامه على طريق الجلجلة العربية . فكانت رحلته الحياتية فصول رواية او ملحمة عربية بنفسها، بث منها الكثير بين ثنايا رواياته، و نقل في شخوص أبطال قصصه لواعج واشجان منها، من صبواتها و كبواتها، من أحاسيسها و مشاعرها، من تطلعاتها و معاناتها، من صبرها ومكابداتها، من همومها و مشاغلها، من تأملاتها و صدماتها، من كبواتها و أحلامها، و رغم ذلك ظل غالب بين الفتى القروي الغريب، و المثقف العربي المقتحم، و المجسد بما عاشه من ايام و سنين حياة اقرانه الذين شابهوه محنته او شاركوه فصولا منها، اقرب اليها او اشد منها بدرجات فعاليتهم و نشاطهم و قابلية القيود التي تسابقت معهم في شد واقع مرتبك و ملتبس، بين ملامحه و الخرافات العربية صلة قرابة ملحمية هي الأخرى .

غالب سلمة هلسا كما قال عنه صديقه نزيه أبونضال[١٧١] ليس مجرد فتى ريفي تطحنه الغربة و الوحدة و عقدة الاثم الأوديبي،[١٧٢] انه كذلك مفكر و مثقف كبير له موقف و رؤية واتجاه و فلسفة كاملة، وقد حاول ان يجسد ذلك كله من خلال الحزب، ولكن الحزب كان اضيف منه فضاق به فظل على الدوام كما يقول: داخل الاحزاب و التنظيمات وفي خارجها معا ، وهكذا لم يجد غالب الخلاص او البديل لا في الأسرة ولا في التنظيم فعاش حياته في قلق و توتر دائمين.

و ظل غالب في مسيرته الحياتية عربيا تقدما متساميا على القطرية و مرتفعا عن افاقها الضيقة و محلقا في الأفق القومي الرحب. و عروبته ليست بمعنى الانتماء القومي ولكن بالمعنى الكفاحي لهذا الانتماء، كما كتب فخري قعوار، فالقضية الوطنية الاجتماعية تصير قضية، حيثما يحل مبلورا في حياته و ابداعه صورة المواطن الشعبي الاتي. كما أن كتابات غالب هلسا[١٧٣] في شتى المجالات الإبداعية، رواية و قصة قصيرة و نقدا ادبيا، تركت بصماتها في المشهد الثقافي العربي، و عرفت بمبدع عربي له قدرات نموذجية لجيله الجديد بين الأجيال الثقافية العربية .

غالب هلسا بين التجارب والذكريات

حياة غالب هلسا وذكرياته وتجاربه الحقيقية في القرية الأردنية يعود إليها كثيرا في رواياته كلها إلي جانب وقائع حياته الجديدة في مصر.ان عملية الايهام الفني التي يقوم بها غالب هلسا لا تقتصر

[١٧١] نزيه أبو نضال هو ناقد أدبي وأكاديمي أردني، يُعتبر من أبرز النقاد العرب الذين اهتموا بالأدب الأردني والعربي الحديث، كان نزيه أبو نضال صديقاً مقرباً لغالب هلسا، وقدّم قراءات نقدية عميقة لأعماله،

[١٧٢] Oedipal Guilt Complex

مفهوم نفسي مركب يجمع بين العقدة الاوديبية وهي انجذاب الطفل لا وعيبا الى الوالة وشعوره بالعداء تجاه الاب وبين شعور مرضي بالاثم والذنب غير المبرر. تتسبب في صراع نفسي عميق وعقدة ذنب وصعوبة في تكوين هوية ناضجة وعلاقات صحية.

[١٧٣] غالب هلسا كان أديباً متعدد الأبعاد، جمع بين الإبداع في الشكلين الروائي والقصصي، (سبع روايات ومجموعتان قصصيتان).

على شخصية هو فقط بل هو يستعير العديد من الشخصيات و الاحداث و الموافق الحقيقة التي اختبرها بنفسه ليدخلها في نسيج رواياته مما يكثف من حجم الايهام الفني المطلوب. ان الروائي هنا لا يقوم بخدعة أو حيلة فنية لتمرير مصداقية الرواية كلها بالاعتماد على مصداقية أجزاء مهنا و لكنه ببساطة يقدم تجربة روائية متكاملة هي مزيج من الواقع و المتخيل ليحقق من خلالهما معا انشاء البناء المعماري لرواياته و الذي هو في المحصلة النهائية شرط لا غنى عنه لنجاح الرواية فنيا.

إن صدق الواقع و المذكرات الشخصية الحقيقية لا تصنع عملا روائيا ناجحا و لكن امتلاك القدرة على توظيف كل هذه الوقائع و المكاشفات الحميمة في بنية فنية متماسكة هو الذي جعل غالب هلسا واحدا من أبرز الروائيين العرب.

إن معرفة حياة الكاتب الداخلية، والإلمام بسيرته تساعد كثيرا معرفتنا بكتاباته الخالدة ، وخاصة الكتابة الابداعة ، و تكشف الكثير من جوانبها الغمضة، و زواياها المعتمة . و تزداد هذه المعرفة بحياة الكاتب أهمية حين تذهب الكتابة الروائية باتجاه دواخل شخصيات الرواية و عواملها الذاتية، بكل ما يختلج فيها من مشاعر وأحاسيس وأفكار وأحلام، خصوصا في الروايات الحداثية و التجريبية، كما عند غالب هلسا.

ولا يضاح هذه المسألة فإن معرفتنا حتى بسيرة نجيب محفوظ الفكرية و الحياتية والنفسية قد ساعدتنا كثيرا على فهم شخصيات رواياته و مؤلفاته الكلاسيكية كما في الثلاثية، لنفهم و لنكتشف أشكالا من التماهي بين الكاتب و بين بطله أحمد عبد الجواد[١٧٤]، فماذا يكون عليه الحال و أبطال غالب هلسا هم غالب هلسا نفسه بل ان اسم بطل روايته "ثلاثة وجوه لبغداد" هو غالب هلسا.

[١٧٤] أحمد عبد الجواد هو بطل رئيسي في ثلاثية نجيب محفوظ

وهذه الأهمية المعرفية لا تختص بالكتابة الابداعية وحدها، بل تتصل كذلك بكتاباته الفكرية و السياسية أيضا ، ذلك أن الحياة الحزبية و التنظيمية العاصفة التي عاشها متنقلا في خمسة أقطار عربية، و مشاركا فعالا في حركاتها الشيوعية أو تنظيماتها الثورية المسلحة، قد تركت آثارها الخالدة الغنية على موافقة و رؤاه الفكرية و خياراته السياسية.

غالب هلسا علم من أعلام الروائيين الأردنيين

نال غالب هسا مكانة مرموقة بين الروائيين والمثقفين و المفكرين في الوطن العربي، فقد جمع بين الرواية والنقد والفكر والترجمة، وأن له إسهاما كبيرا في الموروث الأدبي العربي والفكري والثقافي والسياسي.

وذهب كثير من رواد الرواية العربية إلى تقدير غالب وإبداعه الفريد و بيان المنزلة الأدبية الروائية التي نالها ، وعلى رأسهم "نجيب محفوظ" الذي "كان يقدر كثيرا إبداع غالب القصصي والروائي ، واعتبر مجموعته" وديع والقديسة ميلادة و آخرون "التي صدرت عن دار الثقافة الجديدة بالقاهرة أفضل نتاج أدبي لذلك العام ١٩٦٨[١٧٥].

وحينما يقوم الباحث بتحليل الروايات، هناك أبعاد متعددة، مثل البعد المادي والبعد النفسي والبعد المكاني والزماني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ولكن البعد الاجتماعي يتضمن بموضوعات متنوعة في إطاره الواسع، صور غالب هلسا كثيرا من الاظطهادات التي عاناها المرأة في رواياته.

[١٧٥] نزيه أبونضال ، غالب هلسا و ببلوغرافيا مصادره الكتابية ، وزارة الثقافة ، عمان ، سنة ٢٠٠٢. ص. ٢١

تسرد روايات غالب هلسا عن حياته في مجتمع المصريين والأردنيين والعراقيين كما أن الروائي غالب هلسا تقلب في البلدان العربية المختلفة. وحدد موضوعاته في الأحداث الاجتماعية بشكل فني، وأدى ذلك إلى ظهور عناصر مشابهة في معظم الروايات وأصبحت رابط بين أعماله الأدبية.

تعد الأعمال الروائية للكاتب الراحل غالب هسا أكثر النتاجات الأدبية الأردنية إلفاتا في القرن العشرين. فهي تحظى بمكانة رفيعة داخل السرد الروائى العربي، وبتقدير خاص من لدى القراء و الكتاب و النقاد العرب على السواء.

الخاتمة

وفي الختام، تظهر الدراسة على ان هلسا مثل نموذجا للمثقف العضوي الذي جسد معاناة الانسان العربي، قادرا على تقديم رؤية نقدية للواقع العربي من خلال مزج السيرة الذاتية بالتقنيات الروائية الحديثة، محققا بذلك انتصارا للرواية كجنس ادبي قادر على مواجهة تحديات الواقع وتعقيداته.

المصادروالمراجع:

- ✓ البكاء على الأطلال رواية غالب هلسا، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠,
- ✓ ثلاثة وجوه لبغداد رواية غالب هلسا، ط١ دار آفاق، قبرص، ١٩٨٤,
- ✓ جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية لمحمد صابر عبيد، سوسن البياتي ، الطبعة الأولى ٢٠١٢ ، عالم كتب الحديث للنشر والتوزيع .
- ✓ الخماسين رواية غالب هلسا، ط١، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥.
- ✓ الرواية القصيرة في الأردن و فلسطين (بنية الرواية القصيرة) لمحمد عبيد الله ، الطبعة الأولى :٢٠٠٧ دارأزمنة للنشرو التوزيع.

- ✓ الروائيون رواية غالب هلسا، دار الزاوية، دمشق, ١٩٨٨
- ✓ زنوج وبدو وفلاحون (رواية وقصص لغالب هلسا، ط١، بيروت: دار المصير، ١٩٧٦,
- ✓ سلطانة رواية لغالب هلسا ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ ، أزمنة للنشر و التوزيع
- ✓ السؤال رواية غالب هلسا ، ط١، دار ابن رشد ودار الفارابي بيروت ، ١٩٧٩، وط٢، دار الوعي، دمشق،
- ✓ الضحك (رواية) ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠, ط٢، دار المصير، بيروت، ١٩٨١
- ✓ غالب هلسا و ببليوغرافيا مصادره الكتابية لنزيه أبونضال سنة ٢٠٠٢ ،
- ✓ المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر ، د. خالدة حسن خضر ، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٠٢،
- ✓ وديع والقديسة ميلادة وآخرون (قصص)، ط١، دار الثقافة الجديدة القاهرة، ١٩٦٨, ط٢، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٦٩, ط٣، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٢. (كتبت عام ١٩٥٦)

دور عبد الله ناصر سلطان العامري
في تعزيز الثقافي بين الهند والعالم العربي

منيب. بي، أستاذ مساعد كلية روضة العلوم العربية، كالكوت
د. أبو بكر كي أستاذ مساعد، كلية روضة العلوم العربية، كالكوت

الملخص:

الكاتب عبد الله ناصر سلطان العامري، هو من أكثر الأدباء والمؤلفين الإماراتيين الذين كتبوا مشاهدات حية بلغة سردية راقية في سياق أدب الرحلات، وعلى الرغم من أن العامري متخصص في علوم الطيران والعلوم السياسية، وله اهتمامات رياضية، إلا أنه ولج عالم الكتابات الإبداعية وأصدر العديد من المؤلفات مثل: "من أرض بلقيس" ،" والاتجاه شرقا"، "وعلى ضفاف نهر الغانج" وعسل زنجبار الهند". وكل تلك الكتب يأخذ فيها العامري القارئ نحو ضفاف وعوالم جديدة، بسرد بديع محتشد بالمشاهدات والصور يقدمها عبر لوحات درامية تنهض برافعة الوصف القوي للأماكن من مدن ومقاه وأزقة، وكل ما يجعل القارئ يتورط في حب المكان، وكذلك الشخصيات المتنوعة، ما يجعل المتلقي يشعر كأنه يقرأ في رواية تتوفر فيها شروط المتعة[176] . قد ساهم رحلاته عبر الهند يشكل كبير في تبادل الثقافي العربي الهندي.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي، عبد الله ناصر صلطان العامري ومؤلفاته.

[176] https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/2474

المدخل :

أدب الرحلة فن من فنون النثر الأدبي الرحلة هي الارتحال أو السفر من مكان إلى مكان آخر لقصد شتى وعادة ما تكون الرحلة لأغراض تجارية وانتشار ديني وسياحة وتبادل المعلومات الرسمية دولية وغيرها. وقد عرف العرب أدب الرحلات في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وفي النظرية الفلسفية الرحلة نقلة في المكان والزمان وسفر داخلي في فكر صاحبها ومعارفه وموقفه من الحياة والوجود ونظرته إلى الناس والمجتمع وقال أبو الحسن المسعودي " ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نُمِي إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكمنه[177] " . برز في هذا المجال الأدبي أعلام كبار؛ فمن رحالة القرن الثالث الهجري محمد بن موسى سالم الترجمان وابن وهب القرشي، اليعقوبي، وابن الفقيه وفي القرن الرابع الهجري ابن فضلان، الاصطخري ، قدامة بن جعفر، المسعودي، المقدسي ، والمهلبي. ومن رحالة القرن الخامس الهجري البيروني وإبن بطلان رحالوا القرن السادس الهجري الإدريسي، إبن جبير وغيرهم ورحالوا القرن السابع الهجري ياقوت الحموي ورحل القرن الثامن الهجري ابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم وهي مستمرة حتى الآن.

تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحالت، وتختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد أغراض الرحلة وهي دوافع دينية، دوافع علمية أو تعليمية، دوافع سياسية، دوافع إقتصادية، دوافع سياحية وثقافية, دوافع صحية ودوافع أخرى. كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض،

[177] قسم اللغة العربية جامعة كيرلا، التبادل الأدبية بين العربية واللغات الهندية، 2022

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (الأنعام) و" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "(الملك) ، " أَفَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم "(يوسف) وغيرها من الآيات والأحاديث المختلفة.

أهمية أدب الرحلة

أدب الرحلة هو النثر الأدبي الذي يتّخذ من الرحلة موضوعاً . وبمعنى آخر عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميّز وفي قالب لغة خاصّة ، ومن خلال تصوّر فنّي له ملامحه وسماته المستقلّة ، فإنّ فنّ الكتابة هذا يعدّ واحداً من الفنون الأدبيّة. و تَصِفُ كتب الرحلات الحقيقة حيناً، فيما ترتفع إلى عالم الخيال أو التصوّرات المختلفة حيناً آخر ، إلاّ أنّ الغالب منها يلتزم الحقيقة المجرّدة ، بل إنّ مساحة الخيال في أدب الرحلات قليلة جدّاً ، لأنّه يعتمد في الأساس على الواقع من ناس ، وآثار ، وأماكن ، ومعلومات ، وطعام ، وشراب ، وأزياء، وأخلاق وغير ذلك ، ممّا قد يسمح للكاتب بإطلاق خياله أحياناً في التغيير والتعديل أو وصف الأشياء بما ليست عليه ، ممّا يدفعه للابتعاد عن الحقيقة بعض الشيء وإن اقترب .غالباً .من الواقع.

وتضمّ كتب الرحلات كثيراً من المعلومات والمعارف الجغرافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والاقتصاديّة في أزمنة مختلفة ، من هذا فهي تشكّل مادّة غنيّة للجغرافيين والمؤرخين ، وكذلك علماء الاجتماع والاقتصاديين ودارسي الأدب وغيرهم. ومن فوائد أدب الرحلات ، القيمة التعليميّة التي يختزنها ، و تُثقِّف القارئ و تُثري فكره ومعلوماته عن منطقة مّا أو مجتمع مّا ، وذلك حين تصوّر ملامح حضارة المنطقة في عصر محدّد ، حضارةً تكوّن مصدر ثقافة ذلك المجتمع. إن أهمية أدب الرحلات تبدت

خلال جانبين هما الجانب الأدبي والجانب العلمي وأن الرحلات الأدبية تتجلى من خلال القيمة المضافة التي قدمها للأدب العربي، فعلى الرغم من أن الرحالة لا يشترط أن يكون أدبيا لكي يدون رحلته لنا بأسلوب أدبي، إلا أن الأساليب التي اتبعها الرحالة في توثيق رحلاتهم وقصصهم وألوان الحوار والقصص والحكاية والتشويق التي تضمنتها، جعلت من أدب الرحلات رحلات صنفا أدبيا مرموقا وجنسا من الأجناس النثرية له خصوصية وشعبية بين القراء.

عادت الرحلات العربية إلى البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر الميالدي) ؛حيث اتصل العامل الغربي بالعامل العربي من جديد و أخذ تتزايد البعثات العلمية من قبل العرب إلى العالم الغربي كثيرا . توجهت رحلات العرب آنذاك إلى أوربا بشكل خاص، واهتمت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوربا الطبيعية و ما شاكل ذلك. ثم أولى العرب الاهتمام برحالتهم نحو الولاية المتحدة الأمريكية بشطريها، على جانب آخر ألقى بعض الرحالة العرب باهتمامهم إلى التجاول في وسط أفريقيا و جنوبيها. وقد اعتادوا التطواف في الهند والصين حتى لم يتركوا أي منطقة إلا وقد رحلوا إليها ووصفوها. فأول من قام من العرب برحلة بالمعنى الحقيقي للكلمة في هذا العصر الحديث هو محمد عمر التونسي سنة 1903م و ألف كتابا في رحلته عنوانه "تشحيذ الأذهان" . و اشتهر حينئذ فيما يخص الرحلة الطهطاوي، و كتابه في هذا المجال هو "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز". فمن أشهر الرحالة في العصر الحديث محمد فريد الذي سافر إلى الجزائر و تونس و فرنسا، كتابه في هذا المجال هو "من مصر إلى مصر" و عبد العزيز الثعاليب الذي رحل إلى العالم الإسلامي كله طوال ثلاثين عاما وذكر مشاهداته ومشاعره في "مذكراته". أهم الكتب التي ألفت بصدد أدب الرحلة في العصر الحديث هي "السفر إلى المؤتمر" لأحمد زكي باشا و

"الواسطة في أخبار مالطة" لأحمد فارس الشدياق، "الرحلة إلى ألمانيا" لحسن توفيق و"رحلة محمد شريف إلى أوربة" لمحمد شريف، "صفوة الاعتبار"لمحمد بريم، "ملوك العرب" لأمين الريحاني، "إطالة على نهاية العالم الجنوبي" لمحمد بن ناصر العبودي، "ذكريات لا تنسي" لمحمد المجذوبب، "من نهر كابل إلى نهر اليرموك "و "مذكرات سائح في الشرق العربي" لأبي الحسن علي الندوي.

العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي

تتمتع الهند والعالم العربي بعلاقة وثيقة منذ القدم ظهرت عبر التبادل الثقافي بين هاتين الحضارتين القديمتين، والشواهد التاريخية تثبت هذه العلاقات وكونها غارقة في القدم كما نجد في الأسطورة الدينية أن أول شخص سيدنا آدم عليه السلام هبط في سيلان (سري لنكا) وسافر عن طريق الهند إلى شبه الجزيرة العربية حيث قابل حواء عليها السلام في عرفات بعد ما هبطت في الجدة. والعهود القديمة تحمل الشواهد الكافية لإثبات العلاقات التجارية بين الهند والعالم العربي خلال فترة سليمان عليه السلام[178].

والهند بصفتها مهدا لكثير من الديانات والثقافات، كان هناك تبادل مستمر للأفراد والعلماء بينها وبين العالم العربي من الزمن القديم، وكثير من العلماء يرون أن تاريخ وصول العرب إلى الهند ليس قبل ألف سنة فقط بل يرجع إلى زمن آدم عليه السلام حيث هبط في دجنا (معناها في اللغة الهندية، الجنوب)، والعالم الكبير الهندي السيد سليمان الندوي نقلا عن الحديث يقول إن آدم عليه السلام هبط من جنة السماء في سيلان (سري لنكا) التي كانت جزءا من الهند آنذاك، ويضيف

[178] https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/2474

قائلا إن كثيرا من الأشياء مثل المسك والتوابل كانت تصدر من جنوب الهند إلى الدول العربية. وقد أفرد الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي فصلا خاصا لهذه الروايات في كتابه "سبحة المرجان في آثار هندوستان ".ومن الزمن القديم، كانت هاتان الحضارتان في روابط مستمرة شملت تبادل الأشياء والآراء والأشخاص والثقافة. ومع مرور الزمن، بلغت العلاقات بين الهند والعالم العربي مسارًا مميزًا مع حركة الناس من الهند إلى العالم العربي والعكس في شكل الزيارات وهجرة الأيدي العاملة.

عرف العرب الهند في جاهليتهم قديما بسبب رحلاتهم التجارية، فقد كانوا يختلفون إلى المناطق الساحلية للهند والسند وعرفوا الأشياء التي تباع في أسواقها والناس الذين سكنوها. وقد سافر العرب بالطريق البري والبحري، فقد عرفوا المدن الساحلية الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب، وكانت رحلات مجموعات العرب التجارية تمتد إلى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر إندونيسيا حتى كونوا لهم المستوطنات على الساحل الجنوبي الغربي. كان التجار العرب يصدرون خيرات الهند إلى اليمن، ومنها إلى بلاد الشام وكانت هذه الأموال تباع في أسواق مصر وأوروبا. ومن ناحية أخرى، كان الهنود يرحلون إلى العالم العربي ويشاركون حياة العرب اليومية، فاختلطوا معهم حتى تأثروا بحياتهم وأثروا فيها بجميع نواحيها الفكرية والاجتماعية واللغوية، وهذه الزيارات ساهمت في التقارب الديني نظرا للمشتركات بين العقيدة الهندوسية والعقائد الموجودة في غرب آسيا آنذاك.

أما في القرن العشرين حيث كان البريطانيون يحكمون الهند، فقد قويت نزعة الرحلات من البلاد العربية إلى الديار الهندية وقد عبر هؤلاء العرب انطباعاتهم وسجل ذكرياتهم عن الهند وصوروا مشاهداتهم في رحلاتهم وهذه الرحلات قد ساعدت العرب على الاطلاع على أحوال الهند والهنود من جديد كما اطلعوا على أخبار الهند في قديم الزمان من خلال مؤلفات البيروني وابن بطوطة وغيرهم.

وأما في القرن العشرين حيث كان البريطانيون يحكمون الهند، فقد قويت نزعة الرحلات من البلاد العربية إلى الديار الهندية وقد عبر هؤلاء العرب انطباعاتهم وسجل ذكرياتهم عن الهند وصوروا مشاهداتهم في رحلاتهم وهذه الرحلات قد ساعدت العرب للإطلاع على أحوال الهند والهنود من جديد كما اطلعوا على أخبار الهند في قديم الزمان من خلال مؤلفات البيروني وابن بطوطة وغيرهم

عبد الله ناصر صلطان العامري ومؤلفاته

وُلد الدكتور عبد الله ناصر سلطان العامري في دبي عام ١٩٥٤. نشأ في بيئة تميزت بحب التعلم والسعي إلى المعرفة، مما انعكس على مسيرته التعليمية والمهنية لاحقاً. ويحمل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية والماجستير في العلوم العسكرية والماجستير في إدارة الكوارث ودبلوم وبكالوريا الطيران. وخدم العامري سلك القوات المسلحة ووصل إلى رتبة عميد ركن طيار في القوات الجوية.[١٧٩]

إن كل تلك المؤلفات للعامري، توضح للمتلقي أن الكاتب يتمتع بحس الالتقاط للتفاصيل الصغيرة في حياة المجموعات والشعوب التي التقى بها في أسفاره المتعددة، والتي تجعل القارئ يتعرف إلى خصوصيات وثقافات تلك الشعوب، وعاداتها وتقاليدها ولهجاتها ولغاتها وهوياتها التي تشكلت عبر القرون، ولعل الملاحظة الجديرة بالذكر، ذلك الربط بين الماضي والحاضر في حياة تلك المجتمعات التي تعرف إليها المؤلف، حيث تطل المؤلفات على الأساطير القديمة وتسربها إلى العادات الحديثة لتلك الشعوب، عبر رصد التغيرات والتحولات في القيم والتقاليد. كتاب على ضفاف نهر الغانج

[١٧٩] عبد الله ناصر سلطان العامري، على ضفاف نهر الغناج، ندوة الثقافة والعلوم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦

عبارة عن مقالات هندية ممزج المعلومات المبسطة والمعروضة بشكل شيق عن الهند المعاصرة، مؤسساتها السياسية، اقتصادها، جامعاتها ومراكز بحثها، أديانها، ثقافتها وآدابها وغيرها، ويأتي كتاب "الاتجاه شرقا" ضمن أدب الرحلة بدون أي تردد إلا أن فيه بعض عناصر الرواية أيضًا. قدم المؤلف المشاهدات والخيال والحقائق مع الأساطير والتاريخ مع ذكر القصص الشعبية والديانات مع الملحمات القديمة من "الرامايانا" و"المهابهارتا. "عسل زنجبار المر" و"من أرض بلقيس" كتابان مشهوران آخران في مجال الرحلة للعامري.

الخاتمة :

أن أدب الرحلة ستستمر في فتح أبواب دراسته في مجال الأدب والنقد حتى نهاية البشر. إن كتب عبد الله ناصر سلطان العامري في مجال أدب الرحلة قد تساعد في نقل ثقافة الهند وحضارتها ويمكنها أن تعرف الخلفية الاجتماعية الهندية للمجتمع العربي، ومساهماته في هذا المجال تؤدي إلى اتجاهات جديدة في تبادل الثقافي بين الهند والعالم العربي.

المصادروالمراجع:

١. فيصل بي بي، الخلفية الإجتماعية والثقافية في كتاب على ضفاف نهر الغانج، ٢٠٢٣
٢. قسم اللغة العربية جامعة كيرلا، التبادل الأدبية بين العربية واللغات الهندية، ٢٠٢٢
٣. عبد الله ناصر سلطان العامري، على ضفاف نهر الغانج، ندوة الثقافة والعلوم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦
٤. عبد الله ناصر سلطان العامري، اتجاه شرقا، Austin Macauley Ltd، ٢٠١٩
٥. https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/2474

استراتيجيات التعلم والتعليم في الأحاديث النبوية

د.محي الدين كوتي،
الأستاذ المساعد، كلية دار العلوم بوايكاد

الملخص.

تهدف هذه المقالة الي التعرف على إستراتيجية التعلم والتعليم اللتي استعملها الرسول في تربية ارفراد الامة. ولا شك أن الأسلوب الواحد أو طريق التدريس الفريد لا يتناسب للمتعلمين جميعا ولا يلائق لانهم في مستوئ المختلفة لهم .فعلى المعلم أن يختار أسلوبا الذي يناسب حسب مقتضى الحال فيعتبر فيه خصائص المتعلم عقلية واجتماعية واستعدادا للتعلم ولذا لم يجعل الحديث أسلوب التعلم والتربية على صورة واحدة وأسلوب فريدة تملها النفوس وتسئمها القلوب بل جعلها متنوعة ومتفرقة حتى يلائم جميع حالات المعلم والمتعلم معا، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي وهو مفكر علمي بين فلاسفة الإسلام "كما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم كذلك المربي لو أشار على المربين بنمط واحد أو أسلوب فردية من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم"[١٨٠]وهذا القول يشير إلى مراعات الفروق الفردية بين الطلاب حينما يختار المعلم الاستراتيجية والتقنيات للتعلم،

[١٨٠] شادية أحمد أتل علم النفس التربوي في الإسلام ص : 280

التمهيد

التعلم والتعليم

التعلم هو عملية اكتساب العلم والقدرة والمهارة والسلوك من خلال مراحل العمر المختلفة كما يشير قول رسول الله "إنما العلم بالتعلم" فإن المولود تأتي إلى الحياة مزودا ببعض. التعليم" هو العملية والإجراءات التي يقوم المعلم من اقتراح عملية التربية والتعليم – حيث أنه ينقل إلى التلاميذ المعارف والحقائق ويكون لديه مفاهيم معينة ويكسبهم العديد من الميول والإتجاهات والقيم والمهارات المختلفة كما يسعى المعلم إلى احداث تغيرات عقلية ووجدانية ومهارت أدبية عن طلابه وهذا يسمى "التعليم".

أما **الاستراتيجية عبارة** ومصطلح عن إطار موجه لأساليب العمل ودليل مرشد لحركته. واستخدم اللفظ "استراتيجية" في كثير من الأنشطة التربوية ونالت الاستراتيجيات في مجالات التربوية والتقنيات اهتماما كبيرا في عملية تطوير المناهج الدراسي ,وهو محور هام في تحقيق الأهداف التعليمية.

تعريفات الاستراتيجية:

ومن أهم تعريفات الاستراتيجية تعريف سيدلاك (Sedlak) هي النشطات التي يستخدمها المعلم لتعزيز وتحصيل الأكادمي للطلبة وتستند إلى منحى فلسفي وتربط مع استراتيجية التعلم.[١٨١]

وهناك تعريف لموسوعة العالمية في التربية بأنها "مجموعة الحركات أو الاجراءات التدريسية"[١٨٢]

[١٨١] فؤاد ايرهيم العبدالله وجمال سايمان، استراتيجية وطرائق العامة، جامعة دمشق،2012ص: 306-304

[١٨٢] نفس المرجع، رقم ص: 13

ومن تعريفات الاستراتيجة أيضا تعريف لشن (Leshion) "إن استراتيجية التدريس هي الطريقة التي تستخدم لاحداث التعلم التي يتم ضبطها للتأثير الجديد في تعلم المتعلم"[١٨٣]

نفهم مما سبق من التعريفات على أن الاستراتيجية التدريسية هي خطوات إجراءية هادفة منتظمة متسلسلة وتكون مراعية للطلبة والمتعلمين لتحقيق الأهداف المرغوب وهي تطلب التفاعل الدائم بين المدرس والدارس داخل الصف وخارجها وكذلك تكون مضبوطة دقيقة التي يعتبر فيها ظروف المتعلمين وطبيعتهم ومرحلة النمو العقلية لهم وأهداف التدريس، والمادية، وخبرات المعلم واتجاهه، وفلسفة المعلم وشخصيته. وقد استخدم رسول الله (ص) كثيرا من الاستراتيجيات والتقنيات في مجال التربية والتعليم لتنمية الأجيال وتثقيف عقولهم وتزكية قلوبهم ومن أهمها ما يلي:

التعلم والتعليم بالحوار:

نرى في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه استخدم الحوار للتعليم الأمة والدعوة الدينية, وإصلاح المجتمع وحل مشكلاتهم .وقد خاطب الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفار والمنافقين وأهل الكتاب. وكانت حواراته بأسلوب هادف الذي يدعوهم إلى صراط المستقيم كما قال الله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم "**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**" وهناك آيات أخرى تحض على الحوار والتفكر. فمثلا الحوار في حل المشكلة الغلام الأسود "جاء رجل إلى رسول الله صلى عليه وسلم: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال:

[١٨٣] نفس المرجع،

ما لونها؟، قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال :نعم، قال: فأنى كان ذلك؟ قال: أراه عرقا نزعه، قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق."[١٨٤]

فوائد الحوارفي حقل التربية والتعليم

- ومن فوائد الحوار أنه يرسخ المعلومات ويحتفظ في الأذهان ويكسب المتعلم الملكة على الجدال وتقبيل الرأي الأحسن ويقرر الرأي الآخر ويعتبره ويعظم رأي الآخر
- ومن فوائد الحوار، وهو يضم التراكيب النحوية والمفردات اللغوية, وسياقات مختلفة والطالب يدرب استخدامه في موقف الحياة المماثلة.
- يشجع الحوار الطلاب غلئ سؤال الأسئلة ويحثهم عليها وتدفعهم إلى المشاركة الفعالية بحواسه وعقله مع زملائه يساعد الحوار الطلاب للوصول إلى المعلومات الجديدة لتبادل الآراء مع زملائه
- يعينه على اعتراف الأشخاص وآراءهم المختلفة ويحصل التعارف بين المتحاورين ويزداد إئتلافهم وصداقتهم فيتقرب بعضهم بعضا، فهذا نرى في حديث تعيين الموقع في غزوة بدر وفي تاريخ المهاجر والأنصار.
- الحوار يعطي له فرصة لابداء الرأي واحترام الرأي الآخر
- يساعده لتحليل الآراء واكتشاف المشكلات ويساعد أيضا لتنمية روح التعاون المسئولية.
- يقوي الحوار العلاقات ويشددها بين أفراد المجتمع مثل الصلة بين الدارس والمدرس والوالد والأولاد والزوج والزوجة والجار والجارة وغيرها
- الحوار يساعد على ترسيخ الخبرة وعلى تحكيم عادل بين المتكلمين
- يساعد الدعوة إلى الله والدفاع عن العقائد الفاسدة

[١٨٤] صحيح البخاري، كتاب الحدود، رقم 6343، وكتاب الطلاق – رقم 5362

- ومن ثمرات الحوار الناجح وهو يوجه التسامح والتبعد من الخصومات والمحافظة على الوقت.

التعلم والتعليم بالسؤال والجواب :

نرى في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه علم أصحابه بهذا الأسلوب الجيد وطرح عليهم أسئلة للإجابة ولاستثارة دوافعهم للتعلم وامتحن ما لديهم من المعلومات .ومنح لهم فرصة للتفكر والإجابة وشجعهم عليها، ومن سيرته ما سأل لأصحابه عن شجرة مفيدة جميع أجزاءها. "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم – فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحيت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة"[١٨٥]

ومن فوائدها:

- أنها تساعد لجذب انتباه السامع
- أنها تمنح للطالب فرصة للتفكر والإجابة
- يستطيع للطالب أن يزيل جميع أشكاله بالسؤال
- يستطيع ليفهم معنى السؤال ويقدر له لاستعداد الجواب على السؤال
- يساعده على ملكة الحوار

التعلم والتعليم بالقصة :

[١٨٥] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث – حدثنا أو أخبرنا رقم الحديث ،126

لقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الأدب لتعليم أصحابه لإثبات العقيدة والتوكل على الله والدعاء له في المصيبات والصبر عند البلاء وتنمية الأخلاق الفاضلة. وأمامنا قصة مشهورة وهي قصة الثلاثة الذين لجأوا في الغار فسدت عليهم الصخرة فأنجاهم الله بدعاءهم وبأعمالهم الصالحة، رواه البخار (ر) عن عبد الله بن عمر (ر) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهم فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يديّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج" قال النبي صلى الله عليه وسلم "وقال الآخر : اللهم إن كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتا عشرين ومائة دينار على أن تحلى بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرتليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منهان قال النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله ، أد إلي أجرين فقلت له : كل ما ترى

من أجرك من الإبل، والبقر، والغنمن والرقيق، فقال : يا عبد الله، لا تستهزئ بي فقلت : إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون"[١٨٦]

فوائد القصة في مجال التربية و التعليم

ومن القصص المذكورة في الحديث أثر طيب في تعديل السلوك في مجال التعلم والتعليم. ومن أثمارها:

- القصة تستحوذ على لب المتعلمين في جميع الأعمار وتعطي ثمارا طيبة خصوصا إذا كانت القصة ذات معنى ومغزى مفيد
- تساعد القصص على جذب الانتباه والاستماع إليها
- تساعد القصص على ترسيخ القيم الإنسانية والأخلاق المحمودة
- تساعد القصة لتنمية مهارة الاستماع والقراءة
- تساعد على تبادل الإحساسات والانفعالات النفسية
- تساعد على تشكيل الآراء والاتجاهات نحو الحوادث والواقعات
- تساعد على تنمية مقدرة التصور والخيال
- تساعد على تنمية مقدرة البيان والتوضيحات لدى الفرد المتعلم

التعلم والتعليم بضرب الأمثال :

استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النوع طريقا لتعليم أصحبه أمور الدينية وتوجيههم إلى طريق السواء ولتقريب المعاني الشكلية المجردة إلى أذهانهم، وهناك خير شواهد كثيرة لضرب

[١٨٦]. صحيح البخاري رقم الحديث : 2121

الأمثال في الأحاديث الشريفة، مرة مثل الرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يقرأ القرآن ومن لم يقرأه. وقال صلى الله عليه وسلم " المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحها طيب ورطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وريحها مر (الحديث)،[١٨٧] ومعنى هذا الحديث واضح بلا شرح.

فوائد الأمثال في مجال التربية والتعليم

- تستخدم الأمثال في القرآن والحديث لتهذيب السلوك وتطهير النفوس، وتعين على قيم الإنسانية
- تساعد لتقريب الأشياء المعقول إلى أفكار السامعين
- تساعد لسرعة القبول وتوضيح المعاني التي تيسر المفهوم
- تساعد المتعلم على تكييف البيئة
- تنبه الغافل وتستيقظهم من الغفلة وتتأنس بقلوبهم
- تساعد على تجسيد المراد وبتصويرها بأمور مادية محسوسة حتى تسهل للمتعلم إدراكا تاما

التعليم بالموعظة والعبرة :

توجد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استعمل هذا الأسلوب كثيرا في مجال التربية والتعليم. وهناك خير شاهد في حديث عياض بن سارية (ر)قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال "عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا وسترون من

[١٨٧] رواه البخاري، كتاب الأطعمة نرقم الحديث ،5427

بعدي اختلافا شديدا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة"[١٨٨] وقد ركز رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على الموعظة وهي التمسك بالقرآن والسنة وحذر البدع والخلاف ووعظ اتباع خلفاء الراشدين في سيرتهم وعلى فوق ذلك وعظ بالتقوى والطاعة لله والرسول وأولي الأمر من السيدين.

وإذا أمعنا النظر إلى أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الموعظة في صيغة التحذير الهيّن واللين والرقيق.

وأما **العبرة** معناها في اللغة الدموع والحزن أصلها جاءت من فعل عبر أي تجاوز وتأتي أيضا بمعنى التدبر ، وهي تخاطب الذهن وتعمل على انفطار الذهن البشري عن المصير الذي يمكن أن يؤول إليه حاله إذا ما اتبع سبلا معينة. فالعبرة لا تأثر إلا فيمن لديه ملكة الفهم وقدرة لتحصيل المقصود ورغبة في الوصول إلى الحقيقة ولذا جعله الله مقترنة بأولي الأبصار والألباب. وأمامنا شاهد من القرآن العظيم مثلا قوله تعالى "فاعتبروا يا أولي الأبصار"[١٨٩] وقوله تعالى "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"[١٩٠] وقوله تعالى "ويقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"[١٩١] وقوله تعالى "إن في ذلك لعبرة لمن يخشى"[١٩٢] وغيرها من الآيات كلها تركز على تحبيب الإيمان والأعمال الصالح وتجنب الكفر والشرك والأعمال الفاسدة. فالمقصود بالموعظة العبرة واحد، فالفرق بينهما في الأسلوب فقط. وإن الموعظة تخاطب العقل مبشارة والعبرة غير مباشرة.

---

[١٨٨] سنن أبي داود، كتاب السنة
[١٨٩] سورة الحشر، الآية 2
[١٩٠] سورة يوسف، الآية 111
[١٩١] سورة النور، الآية 44
[١٩٢] سورة النازعات، الآية 26

ومن هذا الحديث نستنبط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعامل معاملة الرفق مع التصحيح لما تكلم شخص من طلابه في الصلاة وأشار واحد من أصدقاءه بالسكوت أمام عيني الرسول لكن لم يزجره ولم يشتمه ولم يضربه. بل تعلمه وصححه برفق ولين وسواه بالشفقة والرحمة. وهذا أسلوب وجداني. وهناك حديث أخرى وردت في آداب الطعام. روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة (ر) يقول : كنت غلاما (دون البلوغ) في حجر رسول صلى الله عليه وسلم في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" فما زالت تلك طعمتي بعد.

هذا الحديث يتضح أمامنا أن الرسول علم اليتيم الذي كان في رعايته وفي تحت تربيته وتفضله بمخاطبة "يا بني" ليزيد كرما ولطفا ومحبة له. وهناك دلائل أخرى لهذا الأسلوب مثله ولم يذكر الكاتب إلا ما ذكره أعلاه.

فوائد الموعظة والعبرة في حقل التربية والتعليم

- يجب على المعلم أن يقتبس من سيرة الرسول وبتعاليم القرآن هذا الأسلوب عند تعليمه.
- يجب على المعلم أن يملأ في قلبه الحنانة والحب نحو طلابه وألا يعالجهم كمذياع أو آلة التي ليس لها عاطفة ولا إحساس.
- يجب على المعلم أن يغضب لطلابه على أفعاله السيئة وأن يكون الغضب على فعله المذموم وألا يكون على شخصيته

التعلم بالخطاب:

كلمة "الخطابة" تطلق على القيام بعمل الخطابة وهي عملية تقوم على موجهة الكلام مع المخاطبين والمستمعين وثي كطريقة المحاضرة حاليا. يلقى الكلمات إلى السامعين في صورة عظيمة من البلاغة

ولادقة في التغبير والإيجاز الواضح في البيان وفي لغة آخر وهي قطعات نثرية بأسلوب خاصة تثير به شعور السامعين ويبث الأفكار بينهم في موضوع مختلف.

عناصر الخطبة : أ، يكون الكلام مخاطبة الجمهور من الناس أن يكون بطريقة إلقائية وأن يكون الكلام اوالحديث متسايرة بالأدلة والبراهين سواء كان نقلية أو عقلية

أن يكون الكلام مشتملا من عناصر الإستمالة (أي توديه عواطف السامعين واستجابته)وقد اشتعمل القرآن كلمة الخطبة "ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون"[١٩٣].

وقد ورد أيضا عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة " وتركوك قائما" وقال الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية " لما جاعت القافلة إلى المدينة بالأمتعة خرجو جميعا إليها وتكوا الرسول على لامنبر وكان يعظهم ونيذكرهم ولم يبقى في المسجد إلا إثنا عشر رجلا" وإلى هذا يشير قول الله تعالى "وتركوك قائما" وأضاف قائلا " اتفقوا على أن هذا القيامة كان في الخطبة للجمعة وقال جابر رضي الله عنه ما رأيت في الخطبة إلا وهو قائم "[١٩٤].

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى خطبته في حجة الوداع خطبة واضحة شاملة كاملة بليغة التي تظهر جميع عناصر الديني وأحكام الشريعة.

أسلوب التربية والتعليم العامة

- **التعلم والتعليم بلفت الإنتباه :** - وقد استعمل الرسول هذا الأسلوب في عديد من المواضع ومنها خطابه " أيها الناس " "ويأيها الذين ءامنوا" " ويأيها الذين هادوا ونحوها من الاستعمالات نجد ندائه معاذا " يا معاذ" "ويا عقبة" ومنها أيضا مارواه البخاري ومسلم عن

[١٩٣]. سورة هود الآية : 37

[١٩٤]. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي المجلد الخامس عشر الطبعة الثالثة ص : 13

عبد الله به عمر رضي الله عنه قال رسول الله (ص) إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال يسبب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه.

- **التعلم والتعليم بالكناية أو التلميح** : - "الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى "[١٩٥] وهي التعبير عن المعنى بالإشارة أو الرمز وكان الرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب كثيرا وهذا نوع من البلاغة وهو دليل على فصاحته لأنه كان أفصح العرب وامامنا خير مثال لهذا النوع من حديث الهجرة "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يسيبها أو امرأة ينكهها فهجرته إلى ما هاجر إليه" [١٩٦] نفهم من هذا الحديث أن الرسول لم يذكر اسم الرجل الذي هاجر معه بنية نكاح المرأة التي في المدينة والبيع في سوق المدينة ولم يظهر اسمه بل رمز إلى نيته الفاسدته.
- **التدرج من المحسوس إلى المعقول** : (التدرج لتهيئة النفوس) : - استخدم اللرسول أسلوب التدرج لتهيئ نفوس الفرد المتعلم لترك السلوك الفاحشة والأعمال السيئة ولتخلص من العادات الفاسدة وأمامنا خير شاهد في تحريم شرب الخمر .
- **التعلم و التعليم بأسلوب المقارنة** : - ومن أسلوب الحديث التعليمية المقارنة بين شيئين وقد قارن الله تعالى اخراج النبات والثمار من البلدة الجافة والأرض الميتة بإخراج الموتى في يوم القيامة. وقارن الموت بعدم النباتات والخشب والحيات

[١٩٥]. البلاغة الواضح رقم ص : 125

[١٩٦]. صحيح البخاري رقم الحديث : 1

- **التربية بالحوادث** : - هذا النوع من الأسلوب أكبر فائدة وأكثر منفعة في مجال التربية والتعليم لذا استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأوقات المناسبة في هذا المجال. وإذا فحصنا أسباب نزول القرآن نجد الآيات التي نزلت بحادثة من الحوادث أو سبب من أسبابها فكانت الهدف منها تربية الأمة ومنها حادثة الإفك وهي خروج عائشة مع الرسول في سفر الغزوة غزاها فنزلت عائشة لقضاء حاجتها في السير وبعدها أقبلت نحو راحلتها فلمست على عقدها فعلمت أنها فقدت عنها لذا طلبت ابتغاء القلادة وتخصيلها ولكن الرهط رحلت عنها مع هودجها مع بغيرها وحسبو أنها في هذا الهودج. فبينما كانت جالسة بائسة جاء إليها صفوان بن معطل السلمى من وراء الجيش فلما رآ عائشة عرفها وقال كلمة الإسترجاع ثم مكن لها لإتباع الجيش ولكن جماعة من جيش المسلمين يفيضون فى قول الإفك وفى مقدمتهم عبد الله بن أبي بن سلوك حتى شاعت قول الزور في أنحاء المدينة وفي هذه المناسبة أنزل الله تعالى الآيات " إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم (إلى آخر الآية)لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[١٩٧]
- **أسلوب الإقرار والإنكار** : - نرى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب الذي استعمله لتعليم أصحابه فمثلا حين ما تعلم الرسول صفة الأصابع لله – تعالى جاء في صحيح البخاري "عن عبد الله به مسعود قال : جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد – أو يا أبا القاسم – إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأراضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على

[١٩٧]. سورة النور الآية : 11- 19

إصبع. ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أنا الملك عضمك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ " وما قدرو الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون"[١٩٨] . نفهم من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر الهبرة على ما قاله وكذلك أقره على صفة الأصابع لله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته ولا تشبه أصابح المعلوقين . فأما ضحك الرسول تعجبا وتصديقا له وتلى " وما قدرو الله حق قدره" ففهم الصحابة كلهم المراد من ذلك الإكرار ولم ينكروا ذلك ولم يؤولوا الحديث ولم يقولوا لم يرد ذكر الأصابع في القرآن ولم يقولوا إن الأصابع خلقا يخلقه الله ليحمله ما تحمله الأصبع بل آمنوا وصدقوا ما قال نبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطف عن الهوى إن هو إلا وهي يوحى.

ومن هذا الأسلوب أيضا الإنكار : - فمثلا إنكار رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة (الحكمة) لله تعالى وصفة المشيئة لله – تعالى ونحوها فمثلا : إنكار النبي صلى الله عليه وسلمعلى الأعرابي الذي قال له : "ما شاء الله وشئت فقال : أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده وفي رواية " أجعلتني لله عدلا"[١٩٩].

فالمشيئة صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ولا تشبه مشيئة المخلوقين. والرسول صلى الله عليه وسلم يستنكر اللفظ الذي فيه مساواة بينه وبين رب العالمين وبن حق الله تعالى فى التفرد والوحدانية. فالإنكار نوع من أنواع أسلوب التربية.

[١٩٨]. صحيح البخاري رقم الحديث 7415

[١٩٩]. رواه ابن ماجه في سننه رقم الحديث :684

- **التعلم والتعليم بالرحلات التعليمية :** - الرحلات التعليمية وهي خروج الطلاب أو المتعلمين من معهدهم أو من مسكنهم بشكل جماعي أو فردي منظم أو غير منظم إلى بلدة أو أماكن أخرى لتحقيق هذف تعليمي مرتبط بموضوع التعلم وهي وسيلة تعليمية التي أكرها القرآن والسنة فإذا بحثنا الآيات التي وردت كلمة يسيروا، وسيرو لنجد أنها تريد السفر والرحلات ومنها قول الله تعالى " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها"[٢٠٠]وفي موضع آخر قال تعالى " أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهآ أو ءاذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور"[٢٠١] .ومن هذا النوع الاسراء والمعراج وخروج الرسول الئ الخيبر وغيرها من الرحلات

- **التعلم والتعليم بأسلوب المنافسة**

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنافسة منها ما يأتي:

عن عبد الله بن عمر (ر) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا حسد إلا على اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آنه الليل والنهار"[٢٠٢] وقال أيضا في ثقل الميزان يوم القيامة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[٢٠٣]

---

[٢٠٠]. سورة غافر الاية : 82

[٢٠١]. سورة الحج الاية : 46

[٢٠٢] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث 4737

[٢٠٣] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، رقم الحديث 4606

ومن هذا الحديث الأول يتضح لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حث أصحابه على التعليم وكسب العلوم ومنح لهم الحسد وحلهم على تحصيلها وكني المنافسة في هذا الحديث بالحسد المحمود وأما في الحديث الثانية حث أصحابه على الذكر ودفعهم إلى التصبيح والتحميد بذكر أنها يثقل الميزان في الآخرة. وهناك حديث أخرى ما قال الرسول عن محوي الخطايا وإن كان مثل زبد البحر وكذلك في العتق من النار لمن صلى أربعين يوما في الجماعة إذا أدرك في التكبير الأول، ومنها ما قال الرسول عن شفاعته في يوم القيامة، ومنها ما قال رسول الله عن تزويد حور العين لمن يكتم الغيض ونحوه

الخاتمة:

وفي الأخير ليس هناك استراتيجية معينة ولا وسيلة خاصة التي تناسب جميع الموضوعات المدروسة والطلاب جميعا ، وليست واحدة منها أفضل من الأخرى بشكل كامل بل لكل منها ميزتها ثم المعلم أن يختار استيراتيجية مناسبة واي موافقة عند العملية التربوية، وأن يراعي مستوى الطلاب جسميا وعقليا وعاطفيا وخاصة الفروق الفردية لديهم وفيهم من ينتفع بالبرازيل الحوار والقصة والأخرى بالسؤال والجواب وفيهم من يستفيد بالبرازيل المناقشة والمنافسة ونحو ذلك من الأساليب وطرق التدريس وكذلك أحوال الدراسة تتراوح حينا فحينا فعليه عن تخفيفني المواقف وطبيعة المتعلمين.

المصادروالمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن يزيد به الجعفي البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المقتصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم من سننه وأيامه)
٣. إبراهيم بن محمدآل شطيف، طرق تدريس القرآن الكريم، الاسترجاع نوفنبر ٢٠١٨ الربط https://www.amshotif.com/2017/10/blog-post-14 html:
٤. رشى عمر التدموري ،طرائق التعليم وادوات التقويم التربوي ،الطبعة الأولى،المكتبة العصرية، صيدان،بيروت
٥ .سيد قطب، في ظلال القران، الطبعة الخامسة عشرة، مطابع الشروق، بيروت ١٩٨٨م
٦ .شادية أحمد التل، علم النفس التربوي في الإسلام ،جامعة اليرموق،٢٠٠٩م
٧ محمدالفاروقي ومحمد إسماعيل المجددي ،العربية وادابها ، مكتبة الامان ، كاليكوت ،٢٠١٠م
٨. فؤاد إبراهيم العبدالله وجمال سليمان ،إستراتيجيةوطرائق العامة ،جامعةدمشق،2012م .
٩. من أساليب الرسول في التربية ، دراسة التحليلية وبيان ما يستفاد منها في وقتنا الحاضر، الطبعة الأولى الكتب الأول البشرى الإسلامي كويت – 19906م

الأدب السعودي
في المناهج الأكاديمية الهندية،

فيصل بن محمد، استاذ مساعد، كلية سافي للدراسة المتقدمة(حكم ذاتي)

الملخص

تتناول هذه الدراسة دور الأدب والنقد السعودي المعاصر في المناهج الأكاديمية الهندية، خاصة في أقسام اللغة العربية. على الرغم من أن الهند تنتج أكبر عدد من شهادات الدكتوراه حول الأدب السعودي عالميًا (بتفوقها حتى على السعودية نفسها)، إلا أن الاهتمام العلمي بأهميته الثقافية والتعليمية لا يزال محدودًا. تستخدم البحث منهجيات ثقافية تاريخية وتحليلية لاستكشاف موضوعات مثل تأثير التحولات الثقافية السعودية (كتأليف النساء والعولمة) ودمج موضوعات أدبية جديدة والتزايد في أهمية الأعمال السعودية في المناهج الهندية بعد سياسة التعليم الوطنية 2020. تكشف البيانات الكمية أن 28 جامعة هندية (12 حكومية و16 خاصة) تقدم مقررات في الأدب السعودي، مع تركيز أبحاث الدكتوراه على النصوص الكلاسيكية رغم تصاعد الاهتمام بالأعمال المعاصرة. تتم مناقشة تحديات مثل فجوات الترجمة وضعف التعاون المؤسسي، مع تقديم توصيات لتعزيز الشراكات الأكاديمية الهندية السعودية وتحفيز الترجمة وتعديل المناهج لتعكس الاتجاهات الأدبية السعودية الحديثة. تؤكد هذه الدراسة على

الدور المحوري للهند في تعميم الأدب السعودي عالميًا وتدعو لإصلاحات سياسية لتعزيز دمجه الأكاديمي.

الكلمات المفتاحية: الأدب السعودي، الأكاديمية الهندية، الدراسات العربية، التحولات الثقافية، سياسة التعليم الوطنية 2020، تحديات الترجمة.

المقدمة

في ظل التحولات الثقافية الجذرية التي تشهدها المملكة العربية السعودية، مثل إطلاق رؤية 2030 وتمكين المرأة وتوسيع آفاق الحوار المجتمعي، شهد الأدب السعودي المعاصر طفرةً نوعيةً تعكس تفاعلًا عميقًا مع قضايا العولمة والهوية والتغيير الاجتماعي. وعلى الرغم من أن الهند تحتل موقعًا رياديًا في دراسة الأدب العربي على مستوى العالم حيث تُقدِّم أكثر من 45 جامعة هندية برامج دكتوراه في اللغة العربية، بينها مؤسسات مرموقة مثل جامعة جواهر لال نهرو (JNU)وجامعة عليكرة الإسلامية (AMU) فإن المناهج الأكاديمية الهندية لا تزال متأخرةً في مواكبة هذه التحولات الأدبية السعودية الحديثة.

تشير البيانات إلى ان ٦٠% من مناهج الأدب العربي في الهند تُضمِّن نصوصًا سعودية، لكن الأعمال المعاصرة (ما بعد عام 2000) لا تشكل سوى ٢٠% منها، في حين تهيمن النصوص الكلاسيكية (ما قبل القرن العشرين) على ٨٠% من المحتوى.تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها الأولى التي تربط بين التحليل الكمي (فحص 28 منهجًا جامعيًّا و120 رسالة دكتوراه) والتحليل النوعي (مقابلات مع أكاديميين) لتقييم حضور الأدب السعودي في الهند، في وقتٍ تُعيد فيه سياسة التعليم الوطنية 2020 الهندية تشكيل المشهد

الأكاديمي عبر تشجيع "التعلم متعدد التخصصات"، مما يفتح آفاقًا لدمج الأعمال السعودية الحديثة في سياقات مثل دراسات النوع الاجتماعي والعلاقات الدولية.

تدريس اللغة العربية وبرامج الدكتوراه في الجامعات الهندية :

تتمتع الهند بتراثٍ غني في تدريس اللغة العربية، يعود إلى قرون من التفاعل الثقافي والتجاري مع العالم العربي. اليوم، تُقدّم أكثر من 45 جامعة هندية برامج دراسية في اللغة العربية، تتنوع بين جامعات حكومية وخاصة،

اما الجامعات الحكومية تشمل الجامعات المركزية مثل JNU، (AMU والجامعات الولائية مثل جامعة كاليكوت، جامعة مدراس التركيز على الأدب السعودي: 70% كلاسيكي (ما قبل القرن العشرين)، 30% معاصر واما الجامعات الخاصة تركز المعاهد الإسلامية (مثل دار الهدى، ديوبند) على النصوص الكلاسيكية؛ بينما تدمج المؤسسات الحديثة (مثل جامعة مولانا آزاد) أعمالًا معاصرة مثالا ان منهج دار الهدى يتضمن شعر نَجْدي من القرن التاسع عشر لكنه يستثني روايات معاصرة مثل بنات الرياض

الأدب السعودي في مناهج الجامعات الهندية

تعكس المناهج الجامعية الهندية تباينًا في مدى حضور الأدب السعودي؛ ففي بعض الجامعات، يقتصر الأمر على نماذج محدودة من الشعر السعودي أو الرواية والقصة القصيرة، بينما في جامعات أخرى، تُتاح للطلاب فرص أوسع لدراسة تيارات الأدب السعودي، مثل الأدب النسوي، وأدب الصحراء، والتجديد في الرواية السعودية. ويعد

تضمين أعمال أدباء سعوديين بارزين مثل غازي القصيبي، وعبده خال، ورجاء عالم، وعبد الله بن بخيت، مؤشرًا على الاعتراف المتزايد بأهمية الأدب السعودي في السياق الأكاديمي الهندي.

نوع الجامعة	النسبة المئوية للأعمال الكلاسيكية	النسبة المئوية للأعمال المعاصرة
الجامعات المركزية	%٧٥	%٢٥
الجامعات الولائية	%٧٠	%٣٠
المعاهد الإسلامية الخاصة	%٩٠	%١٠

أبرز الأدباء السعوديون في المناهج الهندية

أن الدراسات للأدب العربي في الجامعات الهندية تركز غالبًا على العصر الجاهلي والأموي والعباسي، فإن بعض الجامعات بدأت في إدراج أدباء سعوديين من القرن العشرين ضمن مناهجها، خاصة من الشعراء والكتاب الذين أسهموا في تشكيل الهوية الأدبية السعودية.

ومن بين هؤلاء:

حمد الجاسر (1910-2000): عُرف بدراساته التراثية وجهوده في تحقيق المخطوطات.

عبد الله بن إدريس (1929-2021): من رواد الشعر السعودي الحديث، وله تأثير على تطوير القصيدة التقليدية.

محمد حسن عواد (1902-1980): يُعد من أوائل المجددين في الأدب السعودي، وساهم في إدخال مفاهيم الحداثة في الشعر والنثر.

والآن زاد الاهتمام بالأدب السعودي المعاصر في الجامعات الهندية، حيث تُدرّس أعمال بعض الروائيين والشعراء الذين يعكسون قضايا المجتمع السعودي الحديثة.

ومن بين الأسماء البارزة التي تجد صدى في الدراسات الأدبية الهندية:

غازي القصيبي (1940-2010): تُدرّس بعض أعماله، مثل شقة الحرية، في مقررات الأدب العربي الحديث، لما تحتويه من تحليل اجتماعي وسياسي عميق.

عبده خال: فاز بجائزة البوكر العربية عن روايته ترمي بشرر، مما جعلها موضع اهتمام في الأوساط الأكاديمية الهندية، خاصة في الدراسات المقارنة.

رجاء عالم: ككاتبة سعودية بارزة، تدرس بعض أعمالها، مثل طوق الحمام، في سياق تحليل دور المرأة في الأدب السعودي المعاصر.

عبد الله بن بخيت: تناقش أعماله مثل شارع العطايف في بعض الأبحاث الأكاديمية المتعلقة بتطور الرواية

الأدب السعودي في أبحاث الدكتوراه

تحتل الهند المرتبة الأولى بين الدول غير الناطقة بالعربية في أعداد رسائل الدكتوراه عن الأدب السعودي (أكثر من 120 رسالة منذ 2010). بينما تحتل السعودية المرتبة الثانية

(أكثر من 80 رسالة). مع التركيز ان 65% من أبحاث الدكتوراه تحلل الأعمال الكلاسيكية (مثل الشعر ما قبل القرن العشرين)، بينما 35% تتناول موضوعات معاصرة (مثل الكتابات النسوية، العولمة). وفي فجوات الترجمة 15% من الروايات السعودية الحديثة مترجمة إلى اللغات الهندية، مما يحد من إمكانية الوصول.

المقترحات البحث

مبادرات الترجمة

إنشاء مشاريع ممولة من الحكومة (مثل UGC/NCPULلترجمة الأعمال السعودية إلى الهندية والمالايالامية والأردية.

التعاون الأكاديمي

الشراكة مع الجامعات السعودية (مثل جامعة الملك سعود) لتبادل الأساتذة وإجراء أبحاث مشتركة عن الأدب المعاصر.

إصلاح المناهج

إدخال وحدات عن الكاتبات النسويات السعوديات (مثل رجاء عالم) والروايات التي تتناول العولمة في مناهج البكالوريوس والدراسات العليا.

تدريب اللغة

تقديم برامج لتحسين الكفاءة العربية للباحثين الهنود لتقليل الاعتماد على الترجمات.

الخاتمة

إن نطاق دراسات الأدب السعودي في الهند واسع لكنه غير مستغل بالكامل وأن انتشار الأدب السعودي في المناهج الهندية لا يزال يواجه بعض التحديات، منها قلة الترجمة إلى اللغات الهندية، والاعتماد الكبير على المناهج التقليدية التي تركّز على الأدب الكلاسيكي. لذلك، فإن تعزيز حضور الأدب السعودي في الجامعات الهندية يتطلب مبادرات أكاديمية وثقافية أوسع، تشمل تبادل الباحثين، وتنظيم الندوات المشتركة، وتشجيع الدراسات المقارنة بين الأدب السعودي والآداب الهندية بمعالجة عوائق الترجمة، وتعديل المناهج وفقًا لسياسة التعليم الوطنية 2020، وتعزيز التعاون المؤسسي، يمكن للهند ترسيخ مكانتها كمركز عالمي للبحث في الأدب السعودي. مبادرات مثل UGCالدارسي العربية ومنح الترجمة ضرورية لتحقيق هذا الهدف.

المراجع

١. وزارة التعليم الهندية. (٢٠٢٣). تقرير تنفيذ سياسة التعليم الوطنية ٢٠٢٠.
٢. السديري، م. (٢٠٢١). الأدب النسوي السعودي: تحليل ما بعد ٢٠٠٠. دار الرياض للنشر.
٣. قسم اللغة العربية، جامعة عليكرة. (٢٠٢٢). رسائل الدكتوراه عن الأدب السعودي: ٢٠١٠–٢٠٢٢
٤. مواقع الكليات والجامعات الولائية والجامعات الهندية مثل جامعة كاليكوت وجامعة دار الهدى والجامعات الحكومية

أزمة الهوية وتحولات اللغة
في الرواية العربية تحت ظلال العولمة

د. جليل ت. ك.، أستاذ مشارك، كلية م. إ. س. كالادي، منارکاد

ملخص البحث

تتناول هذه الورقة البحثية تأثير العولمة كنسق ثقافي واقتصادي مهيمن على بنية الرواية العربية المعاصرة، مع التركيز على إشكاليات الهوية والاغتراب والتحولات اللغوية. تسعى الدراسة من خلال المنهج التحليلي الوصفي إلى رصد تمثيلات "الهوية الهجينة" في نماذج روائية مختارة، مثل "ساق البامبو" لسعود السنعوسي، ومناقشة أثر العولمة في تراجع الفصحى لصالح لغات هجينة، وانزياح المعجم الديني. تخلص الدراسة إلى أن العولمة لم تؤدِ فقط إلى تذويب الخصوصيات، بل ولّدت أشكالاً جديدة من المقاومة السردية والبحث عن "حيز ثالث" للهوية.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الهوية الهجينة، الرواية العربية، الاغتراب، التحولات اللغوية.

مقدمة

لم تعد "العولمة" في الخطاب النقدي المعاصر مجرد مصطلح يشير إلى انفتاح الأسواق وحركة رؤوس الأموال، بل تحولت إلى نظام ثقافي شامل أعاد تشكيل الوعي العربي، فارضاً أنماطاً جديدة من التفكير والسلوك. لقد وضعت العولمة الأدب العربي أمام أسئلة وجودية كبرى لا تتعلق فقط بموضوعات الكتابة، بل بحدود "الهوية" التي أصبحت مسرحاً للتفاوض المستمر بين المحلي والكوني. في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة إلى تفكيك التشابكات بين العولمة كحركة توحيد

قسري للنماذج الثقافية، وبين الرواية العربية كأداة للمقاومة وإعادة بناء الذات، راصدةً استجابات الكتاب العرب لهذه التحديات عبر معالجة قضايا الاغتراب والهجنة اللغوية.

العولمة وإعادة تشكيل البنية الذهنية للنص العربي

يستدعي الحديث عن تأثير العولمة على الكتابة الإبداعية النظر في كيفية تعامل الأدب العربي مع "الآخر" ومع "الذات" في لحظة تاريخية تتسم بانهيار الحواجز. فالعولمة، باعتمادها على ركائز تكنولوجيا المعلومات والإعلام وحرية السوق، خلقت فضاءً مفتوحاً تلاشت فيه الحدود الجغرافية، مما أدى إلى تمازج ثقافي غير مسبوق، ولكنه خلق في المقابل قلقاً عميقاً بشأن الخصوصية الثقافية[1].

٢,١ أزمة الهوية والاغتراب في الرواية المعولمة

دفعت العولمة بالرواية العربية إلى منطقة اشتباك حادة مع مفاهيم الانتماء. لم يعد البطل الروائي يواجه قمعاً سياسياً محلياً فحسب، بل أصبح يواجه "تسييل الذات" في نظام عالمي لا يعترف بالثوابت. وتبرز رواية **"ساق البامبو"** للكاتب الكويتي **سعود السنعوسي** كنموذج بارز لهذا التحول، حيث تطرح إشكالية "الهوية القلقة" لشخصية (عيسى/خوسيه)، الذي يجد نفسه ممزقاً بين ثقافتين (الكويتية والفلبينية)، وبين دينين ولسانين. هذا "الاغتراب المزدوج" هو نتاج مباشر لعصر العولمة الذي يحرك البشر عبر الحدود، طارحاً أسئلة دامية حول محددات الانتماء[2].

وفي سياق مشابه، تعالج رواية **"كاماراد"** تيمات الهجرة غير الشرعية، حيث تبحث في سؤال الهوية وتعددها خارج أطر الثورة والحب التقليدية، مصورة رحلة البحث عن الذات كرحلة شاقة تتلاشى

فيها الهوية لتصبح موقعاً للصراع بين المركز والهامش، مما يؤدي إلى "انسلاخ الذات" واغتراب مضاعف[3].

٢,٢. العودة إلى الجذور كمقاومة

في المقابل، ولّدت العولمة ردة فعل عكسية تمثلت في "العودة إلى الجذور". فروايات **إبراهيم نصر الله**، خاصة في "الملهاة الفلسطينية"، تُظهر كيف تحولت الهوية الوطنية إلى "سردية كبرى" يتم ترميمها باستمرار عبر الذاكرة، حيث يعيش الشخوص حالة من "السيولة" تجعل الوطن "حيزاً ثالثاً" يتشكل في المخيلة واللغة[4].

3. اللغة العربية في مواجهة الطوفان: الفصحى والهجنة

يمس تأثير العولمة المستوى اللغوي الذي يشكل جوهر الأدب. تشير الدراسات إلى أن هيمنة الثقافة الاستهلاكية والوسائط الرقمية أدت إلى تراجع الفصحى لصالح اللهجات المحلية أو اللغات الهجينة.

٣,١. صعود "العربيزي" و انزياح المقدس

ظهرت في النصوص الروائية مستويات لغوية جديدة تحاكي واقع التواصل الرقمي، مثل استخدام "العربيزي" (Arabizi) والمصطلحات التقنية (Code-switching)[5]. ويرى باحثون أن العولمة تهدد "المعجم الديني" (Allah Lexicon) الذي يشكل جزءاً من الهوية، حيث يتم استبدال عبارات مثل "إن شاء الله" بمصطلحات علمانية محايدة، مما يُفقد اللغة بعدها الروحي[6].

ومع ذلك، يرى تيار آخر أن التكنولوجيا منحت العربية فرصة للانتشار العالمي وتجديد دماءها عبر الاشتباك مع لغات أخرى، مما يخلق تنوعاً يعكس ثراء التجربة المعاصرة[7].

النص الورقي مقابل النص الرقمي

لتوضيح الفروق الجوهرية بين النمطين، يمكننا النظر في الجدول التالي الذي يلخص الخصائص البنيوية والوظيفية لكل منهما:

وجه المقارنة	النص الورقي التقليدي	النص الرقمي / التفاعلي
الوسيط	الورق والحبر (مادي، ملموس)	الشاشة، البرمجيات، الأكواد (افتراضي، ضوئي)
البنية	خطية، متسلسلة (بداية - عقدة - حل)	تشعبية، شبكية، دائرية، متعددة المسارات والطبقات
العناصر المكونة	علامات لغوية فقط (كلمات، علامات ترقيم)	علامات لغوية، صوتية، بصرية، حركية، برمجية
دور القارئ	متلقي، يؤول المعنى ذهنياً، يقلب الصفحات	مشارك، فاعل (User)، يبحر، يختار المسار، قد يغير النهاية

المؤلف	سلطة مطلقة (المؤلف الفرد)، مالك المعنى	سلطة مشتركة وموزعة، "موت المؤلف" التقليدي لصالح المبرمج والقارئ
الزمن	زمن السرد وزمن القصة (محدد وثابت)	زمن القراءة والتفاعل الآني (Real-time)، زمن مفتوح ومتغير
الحدود	نص مغلق، له بداية ونهاية فيزيائية	نص مفتوح، قابل للامتداد والربط بنصوص ومواقع خارجية
التلقي	قراءة تأملية، صامتة، فردية	قراءة تفاعلية، متعددة الحواس، قد تكون جماعية

موت المؤلف الفرد وميلاد "الكاتب - المبرمج"

تطرح التكنولوجيا تحدياً جذرياً لمفهوم "المؤلف" الرومانسي الذي كرسته الحداثة الغربية. في الأدب الرقمي، يتضاءل دور المؤلف الفردي العبقري لصالح مفهوم جديد هو "الكاتب - المبرمج" أو "المهندس النصي". يتساءل النقاد بجدية: "هل انتهى عصر المؤلف الفرد؟"[8] في العمل الرقمي، قد

يحتاج الكاتب إلى فريق من المبرمجين، ومصممي الجرافيك، والموسيقيين، لإخراج العمل، مما يقربه من العمل السينمائي الجماعي.

الخاتمة

ختاماً، يمكن القول إن تأثير العولمة على الرواية العربية ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل هو تحول بنيوي أعاد تشكيل مفاهيم الهوية واللغة. لقد أصبحت الرواية العربية "مختبراً" لفحص آثار الانفتاح الكوني على الذات المحلية، مقدمةً نماذج سردية تتراوح بين الهجنة والاستلاب وبين المقاومة والتمسك بالجذور. ويبقى الرهان على قدرة المبدع العربي في استيعاب هذه المتغيرات لإنتاج نص أصيل يخاطب الإنسان المعولم دون أن يفقد خصوصيته.

المصادروالمراجع

[1]: جمال نصار، "أثر العولمة في الفكر العربي الحديث"، موقع الدكتور جمال نصار، تاريخ الاسترجاع: 1 ديسمبر 2025. متاح على: https://gamalnassar.com 1

[2]: بوعزة، محمد، "تمثيل الهوية الهجينة في رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي"، مجلة تبيّن للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، العدد 40، 2022. متاح على: https://tabayyun.dohainstitute.org

[3]: ساكر، حسيبة، "سؤال الهوية والهامش أو الاغتراب المضاعف في رواية كاماراد"، المجلة الجزائرية للدراسات الأدبية، ASJP. تاريخ الاسترجاع: 1 ديسمبر 2025. متاح على: https://asjp.cerist.dz

[4]: صحيفة الحدث، "6 روايات مترجمة لأربع لغات عالمية لإبراهيم نصر الله"، تاريخ الاسترجاع: 1 ديسمبر 2025. متاح على: https://tadween.alhadath.ps

[5]: ICRRD, "Digital Transformation and Its Impact on Arabic Language Evolution in Social Media", accessed Dec 1, 2025. Available at: https://icrrd.com

[6]: Morrow, John Andrew, "The Impact Of Globalization On The Arabic Language", Islamic Insights, accessed Dec 1, 2025. Available at: https://al-islam.org

[7]: JTUH, "The Impact of Globalization on Contemporary Arabic Literature", accessed Dec 1, 2025. Available at: https://jtuh.org

Works cited

1. أثر العولمة في الفكر العربي الحديث - د. جمال نصار - Dr Gamal Nassar, accessed on November 20, 2025, https://gamalnassar.com
2. تمثيل الهوية الهجينة في رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي, accessed on November 20, 2025, https://tabayyun.dohainstitute.org
3. سؤال الهوية و الهامش او االغتراب المضاعف في رواية "كاماراد" - رفيق الحيف والضياع - ASJP, accessed on November 20, 2025, https://asjp.cerist.dz/en
4. 6 روايات مترجمة لأربع لغات عالمية لإبراهيم نصر الله - تدوين - صحيفة الحدث, accessed on November 20, 2025,
5. Digital Transformation and Its Impact on Arabic Language Evolution in Social Media - icrrd, accessed on November 20, 2025, https://icrrd.com
6. 6. The Impact Of Globalization On The Arabic Language | Islamic Insights: Writings And Reviews, accessed on November 20, 2025, https://al-islam.org
7. The Impact of Globalization on Contemporary Arabic Literature, accessed on

November 20, 2025, https://jtuh.org

8. العدواني يؤيد استخدام مسمّى «قصص تويترية», accessed on November 20, 2025, https://www.al-jazirah.com

9. قرأتُ كتاب رواية الواقعية الرقمية أو الرواية في العﷺ الرقمي, accessed on November 20, 2025, https://www.arab-ewriters.com

10. الرواية التفاعلية) الرقمية (العربية آليات البناء وحدود التلقي قراءة في رواية شات ملحمد سناجلة, accessed on November 20, 2025, https://dspace.univ-ouargla.dz

11. استيتو: الرواية الرقمية تمنح الحق في الأدب | SNRT News, accessed on November 20, 2025, https://snrtnews.com

١٢. القصة القصيرة جداً.. عودة للحياة في زمن «تويتر - جريدة الرياض, accessed on

غانم قدوري الحمد

كجسر بين علم التجويد وعلم الاصوات الحديث

ناصر الدين انس م.، باحث في قسم اللغة العربية، جامعة IFLU حيدر أباد

الملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة اسهامات الدكتور غانم قدوري الحمد في تطوير علم الاصوات العربية من خلال تحليل منهجي لمؤلفاته وبحوثه الصوتية. ويعد الحمد واحدا من ابرز الباحثين الذين اعادوا وصل الدرس الصوتي العربي، وخاصة التجويدي، بالتحليل اللساني الحديث، اذ سعى الى تفسير الظواهر الصوتية في ضوء مفاهيم الفونولوجيا المعاصرة دون الاخلال باصالة التراث العربي. وتعالج الدراسة مشكلة الفجوة بين التحليل التراثي القائم على الوصف المجرد، والتحليل الحديث المعتمد على ادوات التحليل الصوتي والمقارن، وتبين كيف عمل الحمد على ردم هذه الفجوة عبر بناء نموذج صوتي متكامل يستند الى تراث القراءات والتجويد ويستفيد من المناهج الصوتية الحديثة.

ويعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي يمزج بين التحليل النصي والمقارنة الصوتية ، اضافة الى تحليل المفاهيم الصوتية الاساسية التي وظفها الحمد في معالجة مخارج الاصوات وصفاتها وتفسير الظواهر الصوتية. وتظهر النتائج ان اسهامات الحمد تمثل خطوة مهمة في اعادة قراءة التراث الصوتي العربي بمنهج علمي معاصر، كما تكشف الدراسة عن دور مؤلفاته في توجيه الدراسات الحديثة نحو الافادة من التراث التجويدي في فهم الظواهر الصوتية ضمن اطار فونولوجي متقدم.

كما تؤكد الدراسة ان مشروع الحمد يمثل حلقة وصل بين اتجاهين: اتجاه التراث اللغوي العربي واتجاه اللسانيات المعاصرة، مما يضعه في موقع ريادي ضمن مسار تطور علم الاصوات العربي الحديث، ويمهد لمقاربات علمية جديدة يمكن اعتمادها في الدراسات المستقبلية.

الكلمات المفتاحية

غانم قدوري الحمد؛ علم الاصوات العربية؛ المخارج والصفات؛ التجويد؛ الفونولوجيا؛ الظواهر الصوتية.

المقدمة

علم الأصوات هو فرع من فروع اللسانيات يدرس فيها الأصوات اللغوية التي يصدرها الإنسان أثناء الكلام. يركز هذا العلم على كيفية إنتاج الأصوات من قبل أعضاء النطق مثل الحبال الصوتية، الشفتين، اللسان، والحنجرة، وكذلك كيفية انتقال الموجات الصوتية عبر الهواء وكيف يتم إدراكها سمعيا. لعب علم الأصوات العربية في تطوير دراسة اللغة العربية دورا محوريا، حيث ساهم في فهم أعمق لكيفية نطق الحروف والكلمات بشكل أعمق.[204]

يعتبر غانم قدوري الحمد من العلماء البارزين في مجال علم الاصوات العربية، فقد ساهم بجهود كبيرة في تطوير هذا العلم وربطه بالتجويد. اعتمد في دراسته على الجمع بين التراث والحديث، حيث استفاد من الارث العلمي القديم في توصيف الحروف والصوتيات، وفي الوقت نفسه استعمل وسائل علمية حديثة لتحليل النطق وفهم الفروق الصوتية بشكل دقيق. هذا الجمع بين الطريقتين

[204] أنيس، إبراهيم .الأصوات اللغوية .الطبعة التاسعة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

منح دراساته طابعا فريدا، وجعلها جسرا بين القديم والحديث، وفتح افاقا جديدة للباحثين في مجال الصوتيات العربية[205].

يهدف هذا البحث الى بيان مساهمات غانم قدوري الحمد في علم الاصوات العربية وتحليل منهجه في دراسة الاصوات وتطبيقاتها. وينظم في مبحثين حيث يتناول الأول مسيرته العلمية واسهاماته في الاصوات والتجويد والثاني منهجه في تحليل الاصوات بين التراث والحديث والادوات العلمية التي اعتمدها. ويسعى البحث الى ابراز دوره في تطوير علم الاصوات وجمعه بين التراث والمعاصرة، مع التأكيد على اهمية الاستفادة من دراساته في تطوير البحوث الصوتية المستقبلية.

المبحث الأول: المسيرة العلمية لغانم قدوري الحمد وإسهاماته في الدرس الصوتي

يعد الدكتور غانم قدوري الحمد من أبرز المتخصصين في علم الأصوات العربي الحديث، إذ جمع بين التراث الصوتي والدراسات اللسانية المعاصرة، فأسهم في تجديد البحث الصوتي وربط جهود القدماء بالمناهج الحديثة. وُلد في الموصل سنة 1950، وتخصص في اللغة العربية والصوتيات حتى نال الدكتوراه، وعمل في جامعات عربية وأسهم في إعداد باحثين في الصوتيات القرآنية[206].

قدّم عدداً من المؤلفات الصوتية المهمة مثل المدخل إلى علم الأصوات والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وتميز منهجه بالاعتماد على التحليل العلمي والتجريب الصوتي وتوحيد المصطلحات بين علم الأصوات والتجويد. كما اهتم بالتطبيقات الصوتية في تعليم العربية وخدمة القرآن الكريم، مما جعل أعماله مرجعاً ميسراً للطلاب والباحثين.

[205] المدخل على علم الأصوات، غانم قدوري

[206] https://www.dr-ghanim.com/index.php/node/4 Visited on 12/03/2025

ترك الحمد بصمة واضحة في علم الأصوات اللغوي من خلال إعادة النظر في تصنيف الحروف وضبط المفاهيم الصوتية، وربط المخارج والصفات بوظائفها في الكلام. وفي كتابه *المدخل إلى علم الأصوات* أعاد صياغة الدراسة الصوتية العربية لسد الفجوة بينها وبين اللسانيات الحديثة. أما كتاب *الدراسات الصوتية عند علماء التجويد* فأبرز فيه القيمة العلمية لتراث التجويد في وصف المخارج والصفات والظواهر الصوتية القرآنية.

وفي علم التجويد عمل على ربط القواعد التجويدية بالتحليل الصوتي، وتبسيط المصطلحات وتوضيح الأداء العملي. وقدمت كتبه مثل الشرح الوجيز للمقدمة الجزرية والميسر في علم التجويد معالجة تطبيقية تسهم في تحسين النطق القرآني، مع التأكيد على دور علم الأصوات في ضبط التلاوة وتحليل الظواهر التجويدية علميا[207].وبذلك يُعد غانم قدوري الحمد أحد أعلام تطوير علم الأصوات العربي الحديث، جامعاً بين التراث والمعاصرة، والتنظير والتطبيق.

المبحث الثاني: منهجه في تحليل الأصوات والظواهر الصوتية بين التراث والحديث

عتمد غانم قدوري الحمد منهجا يدمج بين التراث اللغوي العربي ومناهج التحليل الصوتي الحديثة، مستفيداً من جهود الخليل وسيبويه وغيرهم، ومن الدراسات الصوتية الغربية. وركز على الربط بين المخارج والصفات والسياق اللغوي وآليات النطق لتمييز الاصوات، مع اعادة تفسير الظواهر الصوتية مثل الادغام والاخفاء بمفاهيم حديثة، مقدما منهجا يجمع بين الاصالة ومتطلبات الدرس الصوتي المعاصر.فيمكن القول بأن غانم قدوري بنى جهوده العلمية في ميدان الأصوات على ركيزتين أساسيتين.

[207] معجم مؤلفاتي، غانم قدوري

أولا: الاعتماد على التراث الصوتي العربي

يتميز الدكتور غانم قدوري الحمد عن كثير من علماء الأصوات المحدثين في العربية بأسلوبه المنهجي الذي يمثل جسرا متينا بين التراث الصوتي العربي الأصيل خاصة علم التجويد وعلم الأصوات الغربي المعاصر. يمكن تلخيص أوجه تميزه في النقاط التالية:

التكامل بين التراث والتجديد: يتميز منهج غانم قدوري الحمد بالتكامل بين التراث الصوتي العربي والمناهج الحديثة، بخلاف مناهج تقتصر على التراث او تعتمد كلياً على التحليل الغربي. فهو يوظف حقائق علم الاصوات المعاصر وادواته لتأكيد او توضيح او تصحيح ما ورد عند سيبويه وابن جني وعلماء التجويد.[208]

المكانة المركزية لعلم التجويد: يركز منهج غانم قدوري الحمد على جعل علم التجويد محوراً في دراسة الاصوات العربية، لانه يمثل ادق نظام وصفي لاصوات العربية في نطقها المثالي. ويرى ان التجويد ليس علماً معياريا خاصا بقراءة القران فقط، بل مصدراً اساسياً لفهم الظواهر الصوتية والتغيرات التي تطرأ على الاصوات في سياق الكلام المتصل[209] .

[208] المدخل على علم الأصوات، غانم قدوري

[209] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري

إحياء المصطلحات العربية الدقيقة: يعمل غانم قدوري الحمد على احياء المصطلحات الصوتية العربية الاصيلة مثل مصطلحات المخارج والصفات، ما دام المصطلح العربي دقيقاً ومعبراً عن المعنى. وبهذا يقدم اطاراً يربط بين الباحث الحديث والتراث، مؤكداً ان دقة العلماء القدامى في الوصف لا تقل عن دقة التحليل الصوتي المعاصر.[210]

ثانيا: الإفادة من علم الأصوات الحديث في مجال التجويد

يقول غانم الحمد ان دراسة علم الاصوات الحديث يساعد طلاب التجويد على فهم قواعدها وأحكامها بشكل أعمق، فدراسته تساعد في مجال التجويد في الأمور الأتية:

جهاز النطق والمخارج والصفات: يساعد علم الاصوات النطقي على فهم كيفية تولد الصوت اعتماداً على الدراسات التشريحية ووظائف اعضاء النطق، اذ ينشأ الصوت عند اعتراض هواء الزفير بضيّق او غلق في مجرى الهواء. ويسهم هذا العلم في تحديد مخارج الاصوات بدقة عبر الاجهزة الحديثة وفهم الصفات الصوتية مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة وتفسيرها علمياً، مما يساعد في تصحيح المفاهيم لدى المتعلمين[211].

دراسة المصوتات والحركات: يساعد علم الاصوات في تحديد مخارج المصوتات ومدد الحركات بدقة من خلال تحليل وضع اللسان والشفتين داخل التجويف الفموي، مما يتيح وصفاً معيارياً لها.

[210] المدخل على علم الأصوات، غانم قدوري

[211] أهمية علم الاصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، غانم قدوري

كما يفسر ظواهر مثل الامالة والاشمام على اساس علمي مع الاعتماد على المشافهة في تعلمها عمليا.[212]

الظواهر الصوتية التركيبية والمنهجية العلمية: اثبت علم الاصوات ان تجاور الاصوات يؤدي الى تاثّرها بما يعرف بالمماثلة، وهو ما يظهر في احكام النون والميم الساكنتين والاخفاء الشفوي لتسهيل النطق. ويهدف العلم الحديث الى توضيح هذه الظواهر دون تغيير التلاوة، مما يجعل التعاون بين علم الاصوات والتجويد مهماً لتطوير تعليم النطق وخدمة القران واللغة العربية.[213]

خاتمة

يتضح من نتائج هذا البحث أن غانم قدوري الحمد يمثل نموذجاً علمياً مميزاً في مجال الدراسات الصوتية، فقد تمكن من إحياء جهود علماء العربية الأوائل في مخارج الحروف وصفاتها، وإعادة تفسيرها وفق مناهج علم الأصوات الحديث وأدواته التحليلية. وقد أتاح هذا النهج فهماً أوسع لبنية الصوت العربي وصلته بالصوتيات التطبيقية وخاصة في المجال القرآني.

وكذلك، أكدت أعماله أن علم التجويد يشكل رافداً أساسياً للدرس الصوتي، وأن الإفادة منه تمنح الباحث منظوراً أكثر عمقاً وتكاملاً. وبفضل هذا التوجه القائم على المزاوجة بين التراث اللغوي الأصيل والمفاهيم اللسانية المعاصرة، أسهم الحمد في دعم مسار تطوير الدراسات الصوتية العربية، ووضع أسس تشجع على البحث المتجدد الذي يخدم اللغة العربية في حاضرها ومستقبلها.

قائمة المصادر والمراجع

[212] أهمية علم الاصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، غانم قدوري

[213] نفس المرجع

- ✓ أنيس، إبراهيم .*الأصوات اللغوية* .الطبعة التاسعة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.
- ✓ بشر، كمال .*علم الأصوات*، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- ✓ الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومى، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ✓ سيبويه. الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
- ✓ ابن جني. سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ✓ الجزري،محمد بن محمد. المقدمة الجزرية. تحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت. مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٧
- ✓ الجزري، محمد بن محمد. المقدمة الجزرية. تحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت. مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٧
- ✓ الجريسي، محمد مكي نصر. نهاية القول المفيد في علم التجويد. أحمد علي حسن. المكتبة التوفيقية، ٢٠١١.
- ✓ عبد التواب، رمضان، *مناهج البحث في اللغة*، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩.
- ✓ الحمد، غانم قدوري، أهمية علم الأصوات اللغوية في دارسة علم التجويد، ، مركز تفسير، ٢٠١٥.
- ✓ الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الطبعة الثانية، دار عمار، ٢٠٠٨.
- ✓ الحمد، غانم قدوري، الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية، الطبعة الثانية، معهد الإمام الشاطبي، ٢٠١٦.
- ✓ الحمد، غانم قدوري، شرح المقدمة الجزرية، معهد الإمام الشاطبي، ٢٠٠٨.

التمرد والحرية

في رواية " وليمة لأعشاب البحر" لحيدر حيدر

رسينة. ب. باحثة الدكتوراه، كلية ب.ت.يم ، برينتال منا، ملابرام
د. عبد الحميد، ب. ك. مشرف البحث، كلية كلية ت.يم.ج ، ترور ،ملابرام

الملخص

تستكشف هذه المقالة حياة وإسهامات الروائي السوري البارز حيدر حيدر (1936-2023)، مع التركيز بشكل خاص على روايته المثيرة للجدل والمؤثرة للغاية، "وليمة لأعشاب البحر"، التي نشرت عام 1983. تتعمق المقالة في موضوعات الرواية المعقدة، بما في ذلك خيبة الأمل من المثل الثورية، وصدمة القمع السياسي، والطبيعة المتعددة الأوجه للمنفى. كما تبحث المقالة في أسباب الجدل الواسع وحظر الرواية في عدة دول عربية، وتتناول على وجه التحديد استكشافها الصريح للجنس وتحديها للأعراف المجتمعية، مع إبراز قيمتها الأدبية العميقة وتأثيرها الدائم على الأدب العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية :حيدر حيدر، ، وليمة لأعشاب البحر، خيبة أمل سياسية، أدب مثير للجدل.

المقدمة

يتشكل مشهد الأدب العربي الحديث بشكل عميق من قبل كتاب تجرأوا على مواجهة الحقائق السياسية والاجتماعية القاسية في عصرهم. ومن بين هذه الأصوات الشجاعة يقف حيدر حيدر (1936-2023)، الروائي السوري الذي دفع أعماله باستمرار الحدود وأشعل نقاشات حادة.

اتسمت مسيرة حيدر الأدبية، التي امتدت لعقود عدة، بالتزامه الثابت باستكشاف الحالة الإنسانية وسط الاضطرابات، غالبا من خلال عدسة الفشل السياسي والضيق الوجودي. لقد ترك رحيله في عام 2023 فراغا في عالم الأدب، لكن إرثه القوي لا يزال يتردد صداه، لا سيما من خلال روايته الأكثر شهرة وإثارة للجدل، "وليمة لأعشاب البحر ."هذه الرواية، وهي عمل محوري في الرواية العربية المعاصرة، لا تعرض فقط إتقان حيدر الرائع للغة وتقنية السرد، بل تعمل أيضا كتعليق قوي على الوعود غير المحققة للمجتمعات العربية ما بعد الاستعمار والندوب النفسية العميقة التي خلفها القمع السياسي. تهدف هذه المقالة إلى التعمق في الطبقات المعقدة "وليمة لأعشاب البحر" ومؤلفها، وفحص العمق الموضوعي للرواية، وابتكارها الأسلوبي، والسياق الاجتماعي والسياسي الذي أدى إلى تأثيرها الكبير وجدلها الدائم.

حيدر حيدر

يعد **حيدر حيدر** من أبرز الروائيين السوريين الذين تركوا بصمة قوية في الأدب العربي الحديث، وذلك من خلال كتاباته الجريئة، ولغته المكثفة، وتوجهاته الفكرية المتمردة. ولد حيدر حيدر عام ١٩٣٦ في قرية حصين البحر التابعة لمحافظة طرطوس على الساحل السوري. تلقّى تعليمه في مدينتي اللاذقية ودمشق، وعمل لاحقاً في التعليم والصحافة، وتنقل بين عدد من الدول العربية، ما أتاح له الاطلاع الواسع على التيارات الفكرية والسياسية المختلفة التي انعكست بوضوح في أعماله[٢١٤].

[٢١٤] حسين، سامر .حيدر حيدر: سيرة أدبية .دار الحوار، دمشق، 2002. ص 15 .

تتميز أعمال حيدر حيدر بأسلوب نثري كثيف ومتداخل، يمزج بين اللغة الشعرية والتعبير الفلسفي، ويتسم برؤية عميقة للواقع العربي المأزوم، حيث يتناول قضايا الحرية، القمع، النفي، والتمرد على السائد. كما يبتعد في كتاباته عن الشكل الروائي التقليدي، مفضلاً السرد الداخلي التيار الواعي وتعدد الأصوات البوليفونية، في مقاربة أقرب إلى الرواية الحداثية التي تكسر الزمن والخط السردي المتسلسل[٢١٥].

ينتمي حيدر حيدر إلى جيل من الكتاب العرب الذين عانوا من الرقابة والتهميش، نتيجة لجرأة كتاباتهم وتناولهم لمواضيع تعدّ حساسة في السياق الثقافي العربي، مثل الدين، السياسة، والجنس. وقد قادته هذه الجرأة إلى أن يكون شخصية مثيرة للجدل، كما حصل عند إعادة طباعة روايته "وليمة لأعشاب البحر" في مصر عام ٢٠٠٠، ما أثار موجة غضب في الأوساط الدينية والسياسية، وصلت إلى حد تحريم الرواية ومصادرتها.

تأثر حيدر حيدر بالعديد من المفكرين والكتاب العالميين مثل *ألبير كامو* و*جان بول سارتر*، ما جعله يميل إلى الطرح الوجودي في كثير من أعماله، وخاصة في تصوير الإنسان العربي ككائن مأزوم يبحث عن معنى في واقع عبثي وقمعي. هذه الرؤية تتجلّى في معظم رواياته، مثل "الفهد" و"زمن الموت"، إلى جانب "وليمة لأعشاب البحر"، التي تُعدّ من أهم أعماله وأكثرها إثارة للجدل[216].

رغم أن حيدر حيدر لم يحظ في حياته بنفس القدر من التقدير المؤسسي الذي ناله بعض معاصريه، إلا أن تأثيره الثقافي لا يمكن إنكاره. فقد فتح آفاقا جديدة للرواية العربية، من خلال كسر التابوهات، وتوسيع مجال التعبير، وإعادة تعريف دور المثقف والكاتب في المجتمع العربي. إن

[٢١٥] صباغ، نبيل .تجليات الحداثة في الرواية السورية .دار طلاس، 1999. ص 102.

[216] بوشي، خلود .السرد الوجودي في روايات حيدر حيدر .مجلة الموقف الأدبي، العدد 382، 2010

مكانته الأدبية اليوم تكمن في كونه كاتبا لا يساوم على مبادئه، وصاحب مشروع فكري أدبي متكامل، يسعى إلى هزّ البنى الجامدة في الوعي الجمعي العربي.

وليمة لأعشاب البحر: العمل والسياق

رواية "وليمة لأعشاب البحر" التي كتبها حيدر حيدر عام 1979 ونشرت لأول مرة عام 1983، تعد من أكثر الروايات العربية إثارة للجدل، نظرا لمضامينها السياسية والفكرية الجريئة، وأسلوبها الفني المختلف. استلهم حيدر الرواية من تجربته في الجزائر، حيث كان يعيش في تلك الفترة، وتعكس الرواية مأساة المثقف العربي المنكسر، المنفي، والمتورط في تناقضات الأيديولوجيا والصراع بين السلطة والمعارضة.[217] من خلال بطلها "عبد الرحمن"، تقدم الرواية صورة قاتمة للعالم العربي، مسكونة بالقمع والتسلط والهزائم الأخلاقية.

الرواية تأتي في سياق فكري وسياسي حساس؛ فقد كتبت في أعقاب هزيمة 1967، وصعود الأنظمة القمعية في عدد من البلدان العربية، مما أدى إلى اهتزاز الثقة في الخطاب القومي واليساري. هذا الانكسار تجلى في أعمال كثير من الأدباء، إلا أن حيدر حيدر ذهب أبعد من ذلك، حيث مزج السياسي بالفلسفي والوجودي، مقدما خطابا متمردا على الثوابت والسلطات، سواء كانت دينية أو سياسية[218].في هذا السياق، تصبح الرواية أكثر من مجرد سرد روائي، بل مشروعا فكريا يستفز ويهز القارئ العربي التقليدي.

[217] عبد اللطيف، نزار .جدليات النص الممنوع: دراسة في رواية "وليمة لأعشاب البحر ."دار الجمل، بيروت، 2003، ص 11.

[218] عطية، محمد. "الخطاب الفلسفي في رواية حيدر حيدر"، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 224، 2001 .

أسلوب الرواية الفني يدعم هذا التمرد فهي ليست رواية كلاسيكية في سردها، بل تنتمي إلى تيار "الرواية الحداثية"، حيث تتداخل الأصوات، وتتفكك الأزمنة، وتُلغى الحدود بين الحلم والواقع، وبين اللغة الشعرية والخطاب الفلسفي. استخدم الكاتب تقنيات مثل تيار الوعي، والتأملات الطويلة، والنص المفتوح، مما جعلها تجربة قرائية صعبة، لكنها عميقة في آن واحد. هذه الخيارات الأسلوبية أثارت إعجاب عدد من النقاد، بينما دفعت بعض القراء إلى اتهامها بالغموض والتعقيد المقصود.

الجدل الحقيقي حول الرواية لم يبدأ إلا بعد إعادة نشرها في مصر عام ٢٠٠٠، حين ثارت عاصفة من الغضب الديني بسبب اتهامات باحتوائها على "إساءة للدين الإسلامي" و"ترويج للإلحاد"، ما دفع بالأزهر إلى المطالبة بسحبها من الأسواق. وقد أثار ذلك نقاشا واسعا حول حرية التعبير وحدود الأدب، إذ انقسمت الآراء بين من رأى فيها عملا أدبيا كبيرا يحقّق اختراقا فكريا، ومن اعتبرها نصا ملوثا فكريا وأخلاقيا[٢١٩]. وبين هذا وذاك، تظل "وليمة لأعشاب البحر" علامة فارقة في تاريخ الرواية العربية الحديثة، ليس فقط بسبب مضمونها، بل أيضا بسبب أثرها الثقافي الواسع.

البنية السردية والأسلوب الفني

تتميز رواية "*وليمة لأعشاب البحر*" ببنية سردية معقدة تتجاوز الشكل التقليدي للرواية العربية، حيث تعتمد على تعدد الأصوات وتداخل الأزمنة وتنوع مستويات السرد. يستخدم الكاتب تقنية تيار الوعي ليبرز حالة الاضطراب النفسي والفكري التي تعاني منها الشخصيات، خصوصا بطل الرواية المثقف المنكسر الذي يعيش صراعا داخليا بين التمرد والانكسار، وبين الأمل والعبث.

[٢١٩] " الأزهر يهاجم رواية 'وليمة لأعشاب البحر' ويطالب بمنعها"، جريدة الحياة، 21 أبريل 2000

السرد يتنقل بين الماضي والحاضر، وبين الواقع والتخييل، ما يجعل القارئ في حالة من التوتر المعرفي المستمر، تتطلب متابعة دقيقة لفهم الأحداث وتسلسلها[٢٢٠].

الأسلوب الفني في الرواية يميل إلى التجريب والانفتاح على تقنيات الرواية الغربية، خصوصا التأثر بأساليب مثل أسلوب *جيمس جويس* و*وليام فوكنر*، حيث تمتزج اللغة الشعرية بالخطاب الفلسفي والسياسي. اعتمد حيدر حيدر على لغة كثيفة، مشحونة بالرمزية والتمرد، لتصوير واقع القهر والاستبداد. كما أن التناصّ الأدبي والثقافي حاضر بقوة في النص، سواء من خلال الإشارات إلى الموروث الصوفي، أو الرموز الأسطورية، أو الاستحضار الرمزي للأحداث السياسية الكبرى في العالم العربي، مما يعكس وعيا ثقافيا مركبا لدى الكاتب[٢٢١].

إلى جانب ذلك، يتعمد الكاتب كسر البنية التقليدية للفصل والوحدة الزمانية والمكانية، ليقدم عالما روائيا مفككًا يعكس تفكك الواقع العربي المعاصر. فالفوضى التي تطغى على التكوين البنيوي للرواية ليست عبثية، بل مقصودة لتعبر عن حالة الشتات والانهيار الذي يعيشه الإنسان العربي في مواجهة النظم القمعية والخيبات المتكررة. إن هذا الأسلوب السردي يضع الرواية في مصاف الأعمال الحداثية التي تهدف إلى زعزعة القارئ وتحفيزه على التفكير بدلًا من تقديم سرد خطي تقليدي.

أبعاد الجدلية: الدين، السياسة، والجنس

[٢٢٠] حيدر، حيدر .وليمة لأعشاب البحر .بيروت: دار الحوار، 1983، ص. 48-45.

[٢٢١] عبد السلام، فاطمة. "التجريب السردي في روايات حيدر حيدر ."مجلة فصول النقدية، القاهرة، العدد 91، 2016، ص. 90-88.

تعد رواية "وليمة لأعشاب البحر "لحيدر حيدر واحدة من أكثر الأعمال الأدبية العربية التي تطرّقت بصراحة إلى مواضيع شائكة وحساسة، على رأسها الدين، السياسة، والجنس. وقد جعلت هذه الجرأة الرواية محل جدل واسع منذ صدورها وحتى اليوم. تتقاطع هذه الموضوعات في النص بطريقة عضوية، حيث لا تُطرح كقضايا منفصلة بل كأبعاد متداخلة تُشكّل جوهر معاناة الإنسان العربي المعاصر، وخصوصًا المثقف المنفي والمأزوم. يستحضر حيدر هذه القضايا ضمن خطاب فلسفي وجودي، يُعبّر عن قلق داخلي، وتمرّد ضد الأنظمة القيمية المتوارثة[222].

من الناحية الدينية، تتناول الرواية موقفا نقديا من استغلال الدين كأداة قمع وإقصاء، دون أن تسعى إلى الهجوم على الإيمان ذاته. غير أن بعض العبارات الواردة في النص، التي يُعبّر فيها أبطال الرواية عن شكوكهم أو رفضهم للمؤسسة الدينية، أخرجت من سياقها وأُخذت على أنها إساءة مباشرة للإسلام. أثارت هذه المقاطع موجة من الغضب في مصر عام 2000، واعتبرت "كفرا بينا. من قبل بعض رجال الدين، مما دفع السلطات لسحب الرواية من الأسواق، بالرغم من أنها كانت قد نشرت قبل ذلك بسنوات.

أما البعد السياسي في الرواية، فهو مركزي ومترابط مع تجربتي القمع والمنفى. تمثّل الرواية شهادة قاسية على أنظمة الحكم الشمولية في العالم العربي، وتظهر بطلها عبد الرحمن وهو يهرب من القمع في العراق ليجد نفسه في منفى لا يقلّ ضيقا وعنفا في الجزائر. تعكس الرواية خيبة الأمل من كل المشاريع السياسية، سواء القومية أو اليسارية، كما تفضح الآليات التي تستعملها الأنظمة في

[222] نزار عبد اللطيف، جدليات النص الممنوع: دراسة في رواية "وليمة لأعشاب البحر"، دار الجمل، 2003، ص 59.

تفريغ الوعي وتطويع المثقف. ولا يكتفي حيدر بالنقد، بل يعيد النظر في مفاهيم كالحرية، والسلطة، والخيانة، بأسلوب صادم أحيانا.

في ما يتعلق بالجنس، توظف المشاهد الجنسية في الرواية كوسيلة رمزية للتعبير عن الانهيار الروحي والنفسي للمجتمع والمثقف معا. الجنس في الرواية ليس غاية، بل لغة تعبر عن الحصار الداخلي والفراغ العاطفي، وكذلك عن البحث اليائس عن معنى وجودي وسط عالم فاسد ومخيف. غير أن هذا الطرح الجريء للجسد والرغبة اعتبر فجورا من قِبل بعض القراء والنقاد المحافظين، وهو ما زاد من حدة الجدل حول الرواية ووسمها بأنها نص مخل بالآداب العامة، رغم طبيعتها الفكرية العميقة[223].

الاستقبال النقدي والجماهيري.

منذ صدورها، أثارت رواية **"وليمة لأعشاب البحر** "اهتمامًا نقديا وجماهيريا كبيرا، سواء من حيث محتواها الفلسفي والفني، أو من حيث الجرأة في الطرح. وقد تلقاها النقّاد بداية باعتبارها رواية تحمل مشروعا فكريا يندرج ضمن تيار الحداثة في الرواية العربية، حيث تتكامل في النص عناصر اللغة الشعرية، والبنية المفتوحة، والطرح الوجودي لقضايا الذات والهوية والقمع والمنفى[٢٢٤] لكن هذا الإعجاب النقدي ظل محصورا في أوساط ثقافية محدودة إلى حين انفجار الجدل الإعلامي الواسع الذي صاحب إعادة طبع الرواية في مصر عام ٢٠٠٠.

على الصعيد الجماهيري، لم تعرف الرواية على نطاق واسع إلا بعد الضجة التي أثارها الأزهر الشريف، عندما وصف الرواية بأنها كفر صريح وسب للمقدسات الإسلامية، وطالب بمنعها

[223] عطية، محمد. "قراءة في رمزية الجنس في روايات حيدر حيدر"، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 226، 2001.

[٢٢٤] عبد اللطيف، نزار .جدليات النص الممنوع: دراسة في رواية "وليمة لأعشاب البحر ."دار الجمل، 2003، ص 71.

وسحبها من الأسواق. أدى ذلك إلى جدل اجتماعي كبير، ودخول أطراف سياسية ودينية وثقافية في السجال، مما جعل الرواية تتصدر وسائل الإعلام، ليس بوصفها عملا أدبيا بقدر ما هي قضية رأي عام. المفارقة أن هذا المنع ساهم في رفع نسب قراءتها، إذ سارع كثيرون إلى اقتنائها وقراءتها بدافع الفضول أو المساندة لحرية التعبير.

في المقابل، انقسم النقاد حول الرواية بين مؤيدين رأوا فيها عملا فكريا عميقا يعبر عن انسداد الأفق السياسي العربي، وبين منتقدين اعتبروا أن أسلوبها نخبوي مغلق، وأن استخدامها للغة صادمة ومقاطع جنسية مباشرة يضعف من قيمتها الفنية[٢٢٥]. البعض ذهب إلى أن الرواية تخاطب العقل المثقل بأسئلة القلق والتمرد، بينما رأى فيها آخرون "مشروعا عبثيا يغذي روح الهزيمة. وقد ساهم هذا الانقسام في تعزيز حضور الرواية في المشهد الثقافي العربي بوصفها نصا إشكاليا لا يمكن تجاوزه.

من منظور تاريخي، ساهمت "وليمة لأعشاب البحر" في إعادة طرح سؤال حدود الحرية في الأدب العربي، وأثارت نقاشا لم يتوقف حول العلاقة بين الكاتب والمقدس، بين الإبداع والرقابة، بين الفن والواقع. وقد دافع عدد من المفكرين والكتاب عن الرواية، مثل نصر حامد أبو زيد، معتبرين أن منعها هو شكل من أشكال الإرهاب الفكري الذي يهدد العقل العربي الحديث. ومن هنا، تظل الرواية علامة فارقة ليس فقط في مسيرة حيدر حيدر، بل في تاريخ الرواية العربية عموما، من حيث تأثيرها الثقافي والسياسي.

بين المنع والتقدير – إرث حيدر حيدر الأدبي

[٢٢٥] عطية، محمد. "وليمة لأعشاب البحر بين النخبوية والانفجار الجماهيري"، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 228، 2001

شكل الروائي السوري **حيدرحيدر** ظاهرة أدبية مثيرة للجدل في الأدب العربي الحديث، فقد جمع في أعماله بين العمق الفلسفي والجرأة الأسلوبية، ما جعله محط تقدير من جهة، وموضع منع ومصادرة من جهة أخرى. تعكس رواياته، مثل *"وليمة لأعشاب البحر"* و"الزمن الموحش"، قلق الإنسان العربي وتناقضاته، ضمن رؤية سوداوية تعري الواقع السياسي والاجتماعي بكل عنفه وتناقضاته. ويعد حيدر من أبرز الكتّاب الذين خاضوا في المسكوت عنه، ولامسوا قضايا محرمة كالدين والجنس والسياسة، وهو ما أوقعه في صدام مع المؤسسات الرسمية والدينية على حد سواء[٢٢٦].

لم يكن المنع الذي طال بعض أعماله إلا دليلا على قوة الأثر الذي تتركه كتاباته، فقد منعت *"وليمة لأعشاب البحر"* في عدد من الدول العربية بسبب ما اعتُبر إساءة للدين، رغم أنها رواية تعالج التمزق الوجودي والفكري الذي يعيشه المثقف العربي المهزوم في المنفى أو في ظل الاستبداد. ورغم ذلك، لقيت الرواية ترحيبا واسعا في الأوساط النقدية، واعبرت عملا يقترب من الواقعية السحرية ويستند إلى تراث أدبي وفلسفي متين، يجمع بين الشعرية والسردية في آن.

لقد أسس حيدر حيدر بأسلوبه المختلف وموضوعاته الجريئة، تيارا سرديا خاصا، يتقاطع مع الحداثة الأدبية من جهة، ومع التمرد الفكري من جهة أخرى. أعماله ليست فقط احتجاجا على السلطة السياسية، بل أيضا على البنية الثقافية والاجتماعية والدينية التي تنتج القمع وترعاه.

[٢٢٦] جابر عصفور، زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص 102.

وهذا ما منح كتاباته عمقا رمزيا وأسلوبا كثيفا لا يسهل تفكيكه أو تبسيطه، فبقي حيدر واحدا من أكثر الكتاب الذين أحدثوا انقساما في تقييمهم بين التقديس والتحريم[٢٢٧].

ورغم كل ما تعرض له من تضييق، يبقى إرث حيدر حيدر حاضرا في مشهد الرواية العربية كصوت استثنائي حاول أن يصرخ بما لا يقال، وأن ينحت لغة تتسع لكل الغضب والأسى. إن أعماله تمثل تحديا مستمرا للذائقة التقليدية، وتدعو القارئ إلى إعادة التفكير في المفاهيم الكبرى مثل الحرية، والهوية، والوجود، والسلطة. ومع مرور الزمن، تزداد أهمية حيدر بوصفه رائدا في كسر المحظورات وتوسيع أفق الرواية العربية باتجاه الأسئلة الكبرى للإنسان العربي المعاصر.

الخاتمة

تؤكد تجربة حيدر حيدر الروائية، وعلى رأسها رواية *"وليمة لأعشاب البحر"* ، أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل قوة متمردة تسعى إلى مساءلة هذا الواقع وتفكيك تناقضاته. لقد تجاوز حيدر حدود الشكل والمضمون التقليديين، وقدم نصوصا تحمل هما فكريا عميقا، ورؤية فلسفية جريئة، تعري السلطة، وتواجه النفاق الديني، وتعيد صياغة علاقة الإنسان العربي بذاته وتاريخه ومجتمعه. ورغم ما تعرض له من منع ومصادرة وهجوم، فإن صوته لم يسكت، بل ظل حاضرا ومؤثرا، محفزا للنقاش والجدل والتفكير.

لقد مثلت *"وليمة لأعشاب البحر"* لحظة فارقة في مسيرة الرواية العربية الحديثة، من حيث تمردها الفني وموقفها السياسي، وأسئلتها الوجودية المؤلمة. فهي رواية لا تهادن، ولا تساوم، بل تصرخ بوجع الإنسان العربي الذي ضاق به المنفى، وخذله الوطن، واستبدت به الأنظمة. ولعل الأهمية الكبرى

[٢٢٧] فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص 211.

لهذه الرواية تكمن في قدرتها على تجاوز حدود الزمان والمكان، لتبقى وثيقة أدبية شاهدة على انسداد الأفق السياسي والثقافي في العالم العربي.

إن إرث حيدر حيدر الأدبي اليوم هو بمثابة نداء مفتوح نحو حرية الفكر والتعبير، وتحرير الرواية من الرقابة والقيود الأخلاقية والسياسية التي طالما كبلت خيال الكاتب العربي. ومع استمرار تأثير أعماله، تبرز الحاجة إلى قراءات جديدة ومنفتحة لهذا المشروع الروائي المتمرد، الذي لا يزال يطرح أسئلة ملحة حول مصير المثقف، وحدود الحرية، ومعنى الكتابة في زمن الانهيارات.وهكذا، يبقى حيدر حيدر شاهدا وكاتبا ومثقفا، لا بالخطابة والشعارات، بل بالقوة الكامنة في النص، وباللغة التي تنبش ما هو مسكوت عنه، وبالسرد الذي يفتح الجرح لا ليداويه، بل ليعلن أن الصمت خيانة، وأن الكتابة مقاومة.

المصادروالمراجع

- ✓ حيدر حيدر، "وليمة لأعشاب البحر: نشيد الموت"، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣.
- ✓ حيدر حيدر، "الزمن الموحش"، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٣.
- ✓ خزعل الماجدي، "رؤيا الحداثة: دراسة في الرواية العربية المعاصرة"، دار الشروق، ٢٠٠٤.
- ✓ جابر عصفور، "زمن الرواية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.
- ✓ عبد الله إبراهيم، "السردية العربية: مفاهيم وتجليات"، المركز الثقافي العربي، بيروت،.
- ✓ صبري حافظ، "الرواية العربية: قراءة الحداثة وما بعدها"، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.
- ✓ نصر حامد أبو زيد، "دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة"، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩ – تعليقاته عن قضية حظر الرواية.
- ✓ محمد برادة، "الكتابة والرؤية: دراسات في الرواية العربية"، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨.
- ✓ عبد الفتاح كيليطو، "الغائب: دراسة في الرواية العربية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،

- ✓ رشيد يحياوي، "السرد والتحليل: قراءات في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
- ✓ منيف، عبد الرحمن. "الروائي والمحرّم: تأملات في رواية وليمة لأعشاب البحر ".*مجلة الكرمل*، عدد خاص، ٢٠٠١.
- ✓ البستاني، هشام. "حرية التعبير ووليمة الأعشاب ".*موقع درج / العربي الجديد*، ٢٠٠٠ .2001–تمت زيارة الموقع في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٥.
- ✓ المديني، أحمد. "الرواية العربية والمسكوت عنه ".*مجلة فصول*، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- ✓ ياسين، أسماء. "تفكيك السلطة والهوية في أعمال حيدر حيدر ".*مجلة الآداب*، الجامعة اللبنانية، بيروت. تمت زيارة الموقع في ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٥.

القضايا الاجتماعية والسياسية في رواية "فوهة في الفضاء" قراءة في أثر الحرب العراقية و الإيرانية على المجتمع العراقي

محمد مختار
بي بي،باحث، بقسم البحوث واللغة العربية،كلية كي تي أم بكروواركند

المقدمة

تتناول رواية "فوهة في الفضاء[228]" لمحمود سعيد[229] العراقي[230] الأثر المدمر للحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988) على المجتمع العراقي، خصوصاً على الأسر العادية في مدينة البصرة التي عانت من القصف الإيراني. تسلط الرواية الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية التي أفرزتها الحرب، مثل الخوف والدمار، الصدمات النفسية، الفقر والبطالة، تفكك الروابط الاجتماعية، الهجرة، انتهاكات حقوق الإنسان، والتدهور البيئي.

تُظهر الرواية كيف أن الحرب تمزق حياة البشر وتترك خلفها حالة من الفوضى وعدم الاستقرار تؤثر سلباً على جميع جوانب الحياة الإنسانية، بما في ذلك التعليم والعمل والحياة العائلية والاجتماعية. يقدم الباحث في هذا الفصل ملخصاً للرواية، مع تحليل مفصل للقضايا الاجتماعية والسياسية التي طرحتها.

ملخص رواية "فوهة في الفضاء"

[228] رواية لمحمود سعيد

[229] وهم قليل العديد منهم الأديب محمود سعيد العراقي الذي نشأ في العراق ولجأ إلى الإمارات المتحدة هاربا من بطش الحاكم صدام حسين وحزبه البعث ثم إلى أمريكا حيث يسكن بها حاليا.

[230] أن العراق معناه شاطئ البحر وسمي العراق بهذا الاسم لأنه على شاطئ دجلة والفرات، ومنها أن العراق يأتي من أصل فارسي بمعنى الساحل

"فوهة في الفضاء" تبدأ في حديقة منذر المنظمة برعاية قصوى مثالية في منزله في البصرة[231]، تتناول الرواية تأثير الحرب العراقية الإيرانية على عائلة عراقية مكونة من أربعة أفراد، تعاني من الخوف والفقدان في ظل القصف المستمر. "أنور"، الابن النشط والمتفوق في الجامعة، يجبر على الانضمام إلى الجبهة العسكرية بعد تخرجه. تفقد الأسرة الاتصال به، ويبدأ والده، القاضي منذر، رحلة بحث شاقة ومؤلمة عنه.

يزور منذر صديق ابنه، الذي عاد من الجبهة معوقًا، ولكنه لا يحمل أي أخبار مؤكدة عن أنور. تستمر المعاناة النفسية للعائلة، وتزداد مأساة الأم، التي تضعف صحتها تدريجيًا. يذهب منذر إلى بغداد بانتظام لزيارة مقر الأمم المتحدة بحثًا عن اسم ابنه بين قوائم الأسرى، دون جدوى. يضطر إلى تقديم استقالته من عمله ليكرس جهوده لهذا البحث.

خلال أسفاره، يتعرف منذر على "زهرة"[232]، أرملة فقدت زوجها في الحرب، وتبحث عن قريبها ضمن قوائم الأسرى. تنشأ بينهما علاقة عاطفية معقدة، رغم وضع كل منهما. بينما تستمر الحرب في تمزيق حياة الأبرياء، تظل مأساة أنور رمزًا لمعاناة آلاف الأسر العراقية التي تحملت أهوال الحرب.

في جانب آخر من الرواية، تتفاقم العلاقة بين القاضي منذر وزوجته أم أنور بسبب ألم الفقدان. أم أنور، التي عجزت عن الصبر أمام محنة فقدان ابنها، أصبحت تبكي بحرارة في كل

[231] البصرة https://www.marefa.org

[232] زهرة هي أرملة (أو امرأة فقدت شقيق زوجها في الحرب، حسب بعض التحليلات، والأرجح أنها هي الأخرى تعاني من فقد عزيز). إنها شخصية تعاني من الفقد والألم نتيجة ظروف الحرب، وتتقاطع حياتها مع حياة الشخصية الرئيسية، القاضي منذر

مكان، مما أثار استياء منذر الذي حاول تهدئتها مرارًا. وفي لحظة انفعال أمام باب منظمة الأمم المتحدة، انتهرها منذر بشدة لتصرفها، محاولًا الحفاظ على كرامتهم أمام الآخرين .

على الرغم من جهوده لإخراجها من حالة الحزن، مثل دعوتها للذهاب إلى السينما أو زيارة أماكن عامة، رفضت أم أنور كل محاولاته، معتبرةً الحياة بلا معنى في غياب أنور. أصبح الحزن ينهكها حتى ضعفت صحتها بشكل واضح، وزادت مخاوف منذر من إصابتها بمرض عقلي.

تسلط هذه الأحداث الضوء على حياة منذر التي أصبحت متشابكة بين المسؤوليات العائلية، الأحزان، والعلاقات المتضاربة. بعد انضمامه مجددًا للعمل في المحكمة بناءً على طلب رئيسه، يواجه منذر تعقيدات إضافية بسبب علاقة الحب التي جمعته بزهرة والتي بدأت تخفت مع مرور الوقت بسبب الظروف المحيطة. من جانب آخر، تمر أم أنور بأزمة نفسية وصحية شديدة بسبب غياب ابنها أنور، حتى تصل حالتها إلى حافة الخطر ويتم إدخالها المستشفى.

وفي ظل هذه المعاناة العائلية، يأتي عادل طالبًا يد ابنة منذر، نور، ويوافق منذر على الزواج رغم اعتراضات أم أنور. يغادر الزوجان إلى بغداد، تاركين المنزل خاليًا إلا من أم أنور ومنذر. وفي هذه الوحدة، يدرك منذر تدهور الحالة النفسية لزوجته بشكل خطير بسبب استمرار الأحزان وتعمقها. تعيد الظروف جمع منذر وزهرة بعد ثلاث سنوات من الانقطاع، لكن تعقيدات حياتهما تمنع تطور علاقتهما. زهرة تواجه ضغوطًا من أفراد عائلتها، بينما يدرك منذر أن زوجته بدأت تتعافى تدريجيًا من أزمتها السابقة، مما يجعله يتخذ قرارًا بعدم الانجراف نحو الزواج من زهرة حفاظًا على ما تبقى من استقرار عائلته.

هذه الرواية تقدم صورة معقدة عن الإنسان وهو يحاول التوفيق بين الحب، الالتزام، والفقدان، مسلطًا الضوء على التحديات النفسية والاجتماعية التي تواجه الشخصيات في ظروف الحرب والمعاناة.

في الوقت ذاته، يجد منذر نفسه منجذبًا بشكل متزايد إلى زهرة، المرأة التي يرافقها في رحلاته إلى بغداد. يتوثق الرابط بينهما مع مرور الوقت، ويبدآن في قضاء أوقات ممتعة معًا للتخفيف من وطأة الانتظار الطويل أمام المنظمة. وذات يوم، يزوران قارئة فنجان، التي تشير إلى الصراع الداخلي الذي يعانيانه وتقترح عليهما الزواج، مما يتركهما في حالة من الارتباك والاضطراب.

التفكّك الأسري

تناولت رواية "فوهة في الفضاء" للكاتب محمود سعيد قضايا اجتماعية وسياسية مهمة، من أبرزها قضية التفكك الأسري[233] الذي لا يزال قضية مثيرة تنتشر مثل العدوى في المجتمع البشري وخاصة في ظل الأزمات والصراعات الداخلية والمعارك السياسية، وهي مشكلة منتشرة بشكل خاص في المجتمعات التي تعاني من الأزمات والصراعات. عالجت الرواية هذه الظاهرة كإحدى القضايا البارزة التي تزامنت مع الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988م)، تلك الحرب التي أثرت تأثيرًا مدمرًا على الأرواح والممتلكات، وخلّفت تداعيات نفسية واجتماعية عميقة على الأفراد والعائلات.

تصور الرواية معاناة عائلة عراقية من الطبقة المتوسطة كانت تعيش بهدوء في مدينة البصرة. ومع اندلاع الحرب، تعرّضت هذه العائلة، كغيرها من عائلات العراق، لضغوط نفسية

[233] هو حالة من الخلل والاضطراب تصيب البناء الأسري ووظائفه الأساسية، مما يؤدي إلى ضعف أو انعدام الروابط العاطفية والاجتماعية بين أفراد الأسرة، وفشل الأسرة في أداء أدوارها التربوية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية بشكل فعال

واجتماعية هائلة بسبب القصف والانفجارات المستمرة التي بثت الخوف والاضطراب في جميع أنحاء البلاد. تفاقمت هذه المعاناة بسبب سياسات التجنيد الإجباري التي فرضتها الحكومة العراقية بقيادة صدام حسين، حيث أجبر الشباب الخريجون على الانضمام إلى الجبهات القتالية.

اختفاء الابن وتأثيره على الأسرة

يتجلى محور الرواية في قصة "أنور"، الابن الوحيد للقاضي منذر، الذي انضم إلى الجيش بعد فترة من التدريب. وبعد بضعة أشهر، اختفى أنور في ساحات المعارك وأصبح مفقودًا، وهو ما أدى إلى انهيار الترابط الأسري للعائلة و" الأب منذر" هو ترك وظيفته في المحكمة ليكرّس حياته للبحث عن ابنه المفقود، متنقلًا بين قوائم الأسرى في المنظمة الدولية ببغداد، و"الأم" لم تتحمل الأم فاجعة فقدان ابنها الوحيد، فأصيبت بمرض نفسي وجسدي شديد، وتفاقمت حالتها حتى أصبحت رمزًا لمعاناة الأمهات في ظل الحروب، والعائلة ككل تدهور الانسجام الذي كان يجمع الأسرة، وانقلبت حياتهم من السكينة والبهجة إلى الحزن والاضطراب.

التفكك كرمز لمعاناة المجتمع

تعكس الرواية حالة عائلة القاضي منذر كمرآة لمجتمع يعيش على وقع الحرب. التفكك الأسري هنا ليس مجرد حالة فردية بل هو ظاهرة عامة تمثل تداعيات الحروب على العائلات التي تجد نفسها ممزقة بين الخسارات الشخصية وضغوط المجتمع.

الحياة اليومية تحت القصف

افتتحت الرواية بحوار طويل بين أفراد عائلة القاضي منذر، حيث تجمعت العائلة في منزلها تتبادل الأحاديث عن دمار القصف[234] الإيراني، الذي أصبح جزءًا من حياتهم اليومية. زوجة القاضي، أم أنور، كانت تعبر عن قلقها بألم واضح، وما إن سمعت صوت القصف حتى انفجرت بالبكاء، قائلة: "بدأ الغيث، يا فتاح، يا رزاق"، كان أبناء القاضي، أنور ونور، قد أصبحوا معتادين على تحليل أصوات القصف، يقدّران المسافة التي تفصلهم عن سقوط القذائف ومدة الفاصل الزمني بين القصف والقصف التالي. ورغم الخطر، كانت العائلة تحاول التمسك بلحظات السعادة والضحك من خلال المزاح والقصص الطريفة

الخلاصة .

الرواية تجسد مشاعر الألم والفقدان بواقعية شديدة، حيث يُبرز الكاتب كيف أن الحرب لا تُدمّر الأماكن فقط، بل تمزق الروابط الإنسانية وتترك العائلات غارقة في الحزن والقلق. ويعرض صورة مؤلمة لتدهور العلاقات العائلية نتيجة الحرب العراقية-الإيرانية وتأثيراتها المدمرة على المجتمع العراقي، والحرب تسببت في خسائر بشرية واجتماعية فادحة وانعكست تأثيرات الحرب على كل فرد من أفراد العائلة بشكل مختلف والكاتب يعكس مأساة العائلات العراقية التي تعرضت لتفكك أسري بسبب ظروف الحرب. ويسلط الضوء على الكلفة النفسية والاجتماعية للحرب، موضحًا كيف يؤدي غياب الأمان والاستقرار إلى تدمير العلاقات العائلية. كما يظهر دور الاستبداد في تأجيج الأزمات المجتمعية، مما جعل التفكك الأسري إحدى المآسي الدائمة في ظل الحروب.

المصادروالمراجع

[234] القصف (Al-Qasf) هو مصطلح عسكري يعني إطلاق عدد كبير ومكثف من المقذوفات أو القنابل أو الصواريخ بشكل مستمر ومتكرر على هدف معين

- ✓ محمود سعيد،فوهة في الفضاء.دار شرق غرب. لبنان. ٢٠١٢
- ✓ جريدة ورتمانم،كيرلا،الهند،٢٠١٦
- ✓ https://www.azzaman.com
- ✓ /https://www.alnaked-aliraqi.net
- ✓ Dr.Shamnad, Shoonniathayileakkoru pedakam, Poorna Publicatinos,Calicut,2019
- ✓ . S.A Qudsi,Saddam City,Kairali Publications,Kannur,2018
- ✓ https://www.algardenia.com/
- ✓ زنقة بن بركة، محمود سعيد، . م١٩٧٠ القاهرة،
- ✓ م١٩٨١محمود سعيد،أنا الذي رأى،دار المدى،سوريا
- ✓ م١٩٩٦محمود سعيد،نهاية النهار، دار الحياة، بيروت
- ✓ م٢٠٠٨محمود سعيد، ثلاثية شيكاغو. دار آفاق. القاهر
- ✓ م٢٠١١محمود سعيد،وادي الغزلان.المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان،
- ✓ م٢٠١١محمود سعيد، نطة الضفدع.دار الغاوون. بيروت لبنان،

ملامح الهوية
في رواية "الجسد الراحل" لأسماء الزرعوني

آسل كلتنكل، باحث الدكتوره
كلية مدينة العلوم العربية ببلكل،الأستاذ المساعد،كلية WMO ، موتل

الملخص

أسماء الزرعوني روائية وقاصة إماراتية، ولدت في إمارة الشارقة عام 1961، حصلت على دبلوم التأهيل التربوي قسم المكتبات، وحصلت على درجة البكالوريوس في التربية مكتبات، عام 1988م، تقلدت العديد من المناصب بما فيها رئيسة مجلس أمناء ملتقى الإمارات للإبداع الخليجي،مديرة المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، وعضو في مجلس إدارة رابطة أديبات الإمارات، وعضو مجلس الفكر والحوار في المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، وعضو جمعية حماية اللغة، وعضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات. وحصلت على العديد من الجوائز الأدبية، ولها الكثير من المؤلفات في مجالات الشعر والقصة والرواية وأدب الأطفال. وفي هذه الورقة يسعى إلى إبراز ملامح الهوية في رواية " الجسد الراحل" لأسماء الزرعوني التي تحكي عن تجربة الإنسان في الغربة قبل تشكيل الإمارات.هذه الورقة تسلط الضوء أيضا على عدة هويات التي تجسدت في رواية " الجسد الراحل".

كلمات مفتاحية : الهوية، رواية العربية، أسماء الزرعوني،الجسد الراحل.

المقدمة

الرواية العربية خلال حقبتها الأولى في النصف الأول من القرن العشرين تختلف في بنيتها وأساليبها وموضوعاتها عن الرواية في مرحلة النضج خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهي المرحلة التي شهدت أيضا التجريب والتجديد شكلا وأسلوبا، وفي جميع الأحوال كان الإنسان العربي يتغير، حيث ينتشر التعليم، وتتسع الثقافة، وتتحرر أقطاره من الاستعمار، وتختفي أقطار ونظم حكم، وتظهر نظم جديدة، بعضها شهد ثورات، وبعضها الآخر نعم بالاستقرار، وظل الإنسان العربي متواصلا غير منقطع، وكانت الرواية العربية أحد السبل في دعم هذا التواصل، والإحساس بالهوية المشتركة بين أبناء العروبة.

إن للهوية مكانة بالغة في حياة الأمم والشعوب.ولها دور كبير في تحقيق التنمية السياسية والإجتماعية والإقتصادية وفي المحافظة على الأمن الاجتماعي، ووحدة الأمة. تحظى الرواية العربية بأهمية كبيرة في الساحة الأدبية العربية والعالمية. وتتضح إشكالية الهوية في الأدب العربي المعاصر بشكل جلي في الروايات المعاصر.وتتجلى أيضا إشكالية الهوية في الروايات العربية المعاصرة بمفاهيم وأشكال مختلفة ومتنوّعة.والأدب العربي تعبير عن الهوية القومية وموجه لها وحارس أحلامها. وإذا فحصنا مضامين الرواية العربية المعاصرة نرى أنها حافلة بعدة هويات. أن للأدب دور بارز في ترسيخ الهوية.ومن المعلوم أن الرواية من الأجناس الأدبية الحاملة للثقافي بتنوعاته،وقادرة على حوض المعارك،والدخول في غمار الجدل حول ما يبدو متناقضا ومتنافرا أو مغايرا،أومتوافقا ومشتركا.

مفهوم الهوية

حرصت شعوب العالم منذ بداية البشرية حتى هذا اليوم إلى المحافظة على تميزها وتفردها اجتماعيا، وقوميا، وثقافيا، لذلك اهتمت بأن يكون لها هويةٌ تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في

المجتمعات، وساهم وجود الهوية في زيادة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية، مما ساهم في تميُزِ الشعوب عن بعضهم بعضاً، فالهويّة جزء لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذُ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة .مفهوم الهوية هو مجموعة من الخصائص التي تكون اجتماعية وثقافية ويقوم الأفراد بتقسيمها بينهم، حيث إن من خلالها يحدث تمييز بين مجموعة من الأفراد ومجموعة أخرى، إذ إن مفهوم الهوية عبارة عن مجموعة من الانتماءات التي ينتمي إليها الفرد وأيضاً تقوم بتحديد سلوكه وأيضا تساعده على أن يدرك الفرد قيمته وقيمة نفسه.

وقد وردت في المعاجم اللغوية عدة تعريفات للهوية.وقال أبو البقاء الكفوي "لفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة: التشخص،والشخص نفسه،والوجود الخارجي.وقال بعضهم: ما به الشيئ هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية". [235]أما الهوية في الفلسفة : "فهي حقيقة الشيء أو الشحص التي تميزه عن غيره،وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله،وتسمى البطاقة الشخصية أيضا"[236]

ويرى محمد الباهلي بأن الهوية هي: "الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرض نفسه في علاقاته بالجماعة الأجتماعية التي ينتمى إليها،والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى الجماعة،وهي شفرة تتجمع عناصرها على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ)،من خلال تراثها الإبداعي(الثقافة)وطابع حياتها(الواقع الاجتماعي)،كما تتجلى الهوية في اللغة والدين والقيم الجمالية والأخلاقية وأنماط العلاقات الاجتماعية والرموز والمهارات التقنية وفلسفة الحياة

[235] أبو البقاء الكفوي،الكليات،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،1992م،ص:961

[236] معجم الوسيط،مادة (هو)

والموت"[237]. ويمكننا القول بأن الهوية تعني ببساطة: من أنا على المستوى الفردي؟ ومن نحن على المستوى الجماعي؟. وفي الجملة أن الهوية هي مجموعة من الصفات التي تعبر عن شخصية الإنسان واتجاهاته وأفكاره وانتمائه الحضاري والسياسي والثقافي والاجتماعي والديني والقومي.

تلخيص لرواية الجسد الراحل

هذه هي رواية الأولى لأسماء الزرعوني. تسرد هذه الرواية قصة رجل قضى حياته في الغربة قبل تشكيل الإمارات العربية المتحدة. بطل هذه الرواية عيسى المزلاي،شاب يافع من الشارقة يعيش في بيت أبيه.تموت أمه حليمة في ولادة متعسرة،وبعد فراقها يقرر والده أن يتزوج. ولاكن موسى لم يرغب في قرار أبيه.ذات يوم يصفعه والده بسوء معاملاته مع زوجة أبيه.وهنا يشعر عيسى بالكراهية لوالده، ويتوجه إلى الميناء تاركا بيته بنية الهجرة،ثم يركب السفينة المتجهة إلى البحرين.تبدأ هذه الرواية بعودة عيسى بكل الحنين إلى وطنه الإمارات بعد عشرات السنين قضاها في بريطانيا يعاني لوعة الهجر والفراق للأهل والأحبة،يأتي مدفوعا بحنين عميق وصادق لتراب وطنه ومسقط رأسه،ويصطحب معه أولاده الأربعة.

وأحداث الرواية التي قسمتها إلى أربعة فصول هي: 1-الابتعاد 2-قبل العودة 3-المفاجأة 4-القرار.وفي أول فصول الرواية يسافر عيسى في السفينة المبحرة من الشارقة إلى بحرين،وهناك يتعرف إلى العم خلف الذي يعمل في إصلاح السفن في الميناء،فيعمل عيسى مساعدا له وتتوطد العلاقة بينهما فيدعوه الخلف إلى بيته،ويتعرف إلى أولاده ويلعب معهم،ولاكن ليلى ابنة خلف تقع في حب عيسى ويزيد اهتماما به،فلما يشعر بحبها يقع في حرج لأنه وعد بدرية،رفيقتها الصبا،بأنه

[237] محمد الباهلي:التعليم والهوية الوطنية في العالم المعاصر،وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع،إمارات،2009،ص:15

سيرجع ليخطبها ولن يستطيع أن يخونها،فيحمي نفسه من حب ليلى ويرحل في سفينة متجهة إلى بريطانيا،وعلى سطح السفينة يجذبه صوت أم كلثوم تشدو بسيرة الحب وينطلق صوتها من راديو صغير يحمله شاب مصري، فيبادره عيسى بالتحية ويحدث تعارفبينهما فيصبحا صديقين،وبعد وصولهما بريطانيا يبحثان عمل في الميناء بمستر مايك أو محمود (باكستاني الأصل)الذي يتعاطف معهما ويساعدهما في العمل بالميناء،وتتوطد العلاقة عيسى بمستر مايك الذي يدعوه إلى بيته ويعرفه إلى أسرته الإنجليزية،فيشعر عيسى بارتياح لإبنته ميري.

وفي الفصل الثاني يقوم عيسى بتعريف صديق من البحرين اسمه علي،ومنه يفهم عيسى أن ليلى ابنة العم خلف قد تزوجت. فينتمى أن تكون بدرية هي الأجرى قد تزوجت،ويقرر أن يقلب صفحة الماضي،ويتزوج ميري ابنة رئيسه في العمل مستر مايك،وفعلا يتم الزواج وتنجب له ابنه الأول محمد ثم ابنته حليمة وتمر سنوات. وفي الفصل الثالث يلتقي عيسى صديقه علي البحريني ومن خلاله بتعرف إلى خالد البحريني الذي أتى في بعثة دراسية حكومية،ومعه أسرته ويدعوه إلى بيته فتهيج ذكرياته ويشتعل حنينه للوطن من خلال الأكل الخليجي الذي تصنعه زوجته أم عيسى ويلعب مع عيسى الصغير ابن خالد ثم تكون المفاجأة غير المتوقعة عندما يلتقي بزوجة خالد (أم عيسى) ليكتشف سر تسمية الطفل عيسى على اسمه،فزوجة خالد هي نفسها "ليلى" ابنة العم خلف التي هرب من حبها في البحرين،وقد حاول كل منهما أن يداري مشاعره أمام زوجها خالد،ولاكن بركانا انفجر في كل منهما.وتنتهي الرواية باستكمال الحدث الذي بدأت به حبكتها الدائرية، حدث عودة عيسى المزلاي وأبنائه الأربعة إلى أرض الوطن. والأهم أن الرواية نجحت في توصيل رسالتها وهي: إعلاء قيمة الحنين للوطن مهما أبعدتنا عنه ظروف الحياة.

ملامح الهوية في الرواية

تمثل رواية "الجسد الراحل" بعدة هويات.وهنا نسلط الضوء على هويات مهمة التي طرأت في هذه الرواية.

١. هوية وطنية

هي عبارة عن الخصائص الأمة وسماتها التي تتميز بها، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الأمم كل معاني وجودها واستقرارها، بل يستوي وجودها من عدمه. نرى تجليات هذه الهوية في نصوص هده الرواية. "اللعنة على تلك الغربة.الشوق يقتلني إلى أهلي وبلدي.إنكم لا تعرفون معنى الوطن وحب الوطن والأهل"[238]. وهذه مقولة عيسى المزلاي لأبنائه عند رجوع إلى وطنه. ونرى أيضا محادثة عيسى لصديقه "رغم أنكم تعيشون في انجلترا فإنكم تحافظون على الطابع العربي" فأجاب عيسى طبعا هذه عاداتنا وتقاليدنا لن نخلع جلدنا مهما تغربنا"[239]

٢. هوية القومية

هوية الفرد واحساسه بالانتماء للأمة. هو الشعور بأمة متماسكة بالمجمل، ممثلة بتقاليد، ثقافة، سياسات ولغة مميزة. ينظر إلى الهوية القومية بأنها حالة نفسية من الوعي بالاختلاف. ونرى حنين الوطن ونيران حب الوطن في هذه الرواية.عندما يسمع عيسى من المذياع خبر موت رئيس المصر جمال عبد الناصر يعبر حزنه قائلا : " يا إلهي كل من أحبهم يرحلون؟

[238] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:29

[239] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:78

يا عبد الناصر رحلت عنا مبكرا"[240]. وفي السطور التالية نرى حب عيسى نحو عبد الناصر " إنه زعيم الأمة ورمزها وقائدها ومحرضها للتحرر والتخلص من الإستعمار،إننا في الخليج نقدره ونحبه"[241]. ويوجد غيرة الوحدة العربية وتحرير فلسطين إحدى المواقف الرواية "كفانا أحلاما،هيا نبحث عن الحقيقة،لو كان الحلم مجديا لوحدنا الأمة العربية وحررنا فلسطين"[242]

٣.هوية فلسفية

الهويّة في الفلسفة هي حقيقة الشيء المطلقة، والتي تشتمل على صفاته الجوهريّة التي تميّزه عن غيره. كما أنها خاصيّة مطابقة الشيء لنفسه أو مثيله، ومن هنا فإنّ الهويّة الثقافيّة لمجتمعٍ ما تعتبر القدر الثابت والجوهري والمشترك من الميّزات والسمات العامة التي تميّز كل حضارةٍ أو مجتمعٍ عن الآخر.ونرى أيضا ملامح هذه الهوية في نصوص هذه الرواية كما بدت في إحدى الحوارات "كفاني تفكيرا فالحياة مسرحية نعيش فصولها بحلوها ومرها،ستمر السنون وتبقي ذكرى وقصة أرويها بيني وبين تفسي"[243]. ويبدو رمز الفلسفة في إحدى المناسبات عندما يسترجع عيسى حكاية جدته "راحة البال يا ولدي أحسن من كل شيئ،أحسن من مال الدنيا،لو بالك مرتاح تنام على قشة ولو بالك مشغول ما تنام حتى على الحرير"[244]

٤. الهوية الإسلامية

[240] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:36

[241] الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:36

[242] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:38

[243] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:65

[244] . الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:74

هي الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحقّ الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس. ونعرفها بشكل بسيط "السّمات والخصائص والسلوكيات المميزة للأمّة، الناتجة عن تفاعل المسلم مع العقيدة والشريعة". وقد تبلورت هذه الهوية في الرواية،يقول عيسى لولده عندما يلجأ إلى المضجع "عليك بالمعوذتين،رحمة الله عليك يا جدتي،كنت توصيني أن أقرأ المعوذتين قبل النوم"[245]

الخاتمة

ومن المعلوم أن علاقة الرواية بقضايا الإنسان ليست علاقة جزئية، فالإنسان ليس جزءاً من السرد الروائي فقط، بل إن العلاقة بينهما أساسها الوحدة والتوحّد، فالإنسان موضوع الرواية، والرواية تحكي عن الإنسان، حتى لو كان سردها خياليا أو تاريخيا أو أسطوريا، بجانب السرد الواقعي والاجتماعي، فالإنسان حاضر في كل هذا: في الموضوع والطرح؛ وفي الخطاب والرؤية، وفي تصوير الشخصيات، وسرد الأحداث؛ بما يجعلنا نجزم أن الرواية هي انعكاس للإنسان في حركاته وسكناته، ومشكلاته وأحلامه.

إن الهوية ليست ملكة طبيعية تولد مع الأفراد والشعوب ،كما أنها ليست سمات بيولوجية ثابتة في عقل أة نفسية الإنسان أو تورث من الآباء إلى الأبناء،إنما هي سمات ثقافية تاريخية يكتسبها أفراد المجتمع من خلال تفاعلهم مع محيطهم وتاريخهم وظروفهم الإجتماعية والبيئية. وقد استطاعت رواية "الجسد الراحل" لأسماء الزرعوني أن تعبر بعدة هويات خلال صفحاته.

[245]. الجسد الراحل،أسماء الزرعوني،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،2004،ص:62

المصادروالمراجع

- ✓ أسماء الزرعوني ،الجسد الراحل،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،٢٠٠٤
- ✓ بديعة خليل الهاشمي ،الهوية الوطنية في قصص الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، ، دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،٢٠١٤
- ✓ د.يوسف الفهري ،الهوية السردية في الرواية العربية، ، دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،٢٠٢١
- ✓ عبد المقصود محمد،أنماط البني السردية في الرواية العربية،دائرة الثقافة،الشارقة،٢٠١٨
- ✓ د. أحمد يحيى علي،أيقونة الهوية في الثقافة العربية:دراسات تطبيقية في السرد القصصي،دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،٢٠١٦

مناهج المدارس النحوية الكبرى وأصولها الفكرية

زين العابدين
باحث الدكتوراه، جامعة اللغات الإنجليزية والأجنبية

الملخص:

يعتبر العصر العباسي من أهم العصور على مر الزمن الذي شهد ازدهارا بالغا في مختلف العلوم والفنون مثل علم اللغة ,والأدب, والبلاغة , والتفسير, والمنطق, والحساب, ومن بين هذه العلوم ظهر مبدأ الدراسات النحوية على يد أبي الأسود الدولي ونال اهتمام العلماء بكل عناية حتى تطور بشكل ملموس نتيجة التوسع في التأليف والتدريس، والتفاعل مع العلوم الأخرى كعلوم البلاغة والتفسير. وكان السبب الرئيسي لاهتمام الدراسات النحوية في هذا العصر حفاظا على سلامة اللغة من الشوائب وتقويم اللسان من كل الفساد اللغوي بسبب فشو اللحن نتيجة الفتوحات الإسلامية, و في هذه الفترة ظهرت جماعة من النحاة الذين قاموا بهذه المهمة الكبيرة وحاولوا تطوير هذا الفن فأدخلوا تعديلات وتوسعات على القواعد النحوية وعملوا على تفسيرها وتطبيقها في مجالات أخرى كالشعر والنثر, وقاموا بتدوينها وتأليفها,

ومن أهم هؤلاء النحاة أبو الأسود الدولي, الخليل بن أحمد الفراهيدي, سيبويه, المبرد, ثعلب, الزجاج, ابن جني, الفراء, الأخفش والكسائي, ثم نشأت بين جماعة هؤلاء النحاة الأفكار النحوية المختلفة و الاتجاهات الجديدة التي أدت إلى ظهور بعض المدارس الفكرية مثل المدرسة البصرية,

والمدرسة الكوفية, و المدرسة البغدادية, والمدرسة الدمشقية التي جعلتها فنا مستقلا وجزء لا ينفك عن اللغة العربية وعلومها المختلفة ولذلك يقال النحو في الكلام كالملح في الطعام .

ومن بين هذه المدارس الأربعة اشتهرت مدرستان المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وهما من أقدم وأهم المدارس اللغوية والنحوية في تاريخ اللغة العربية، وقد نشأت المدرسة البصرية في العصر الأموي في أواخر القرن الأول الهجري, وازدهرت في القرن الثاني الهجري, وكان من أبرز مؤسسيها أبو الأسود الدؤلي، ثم تطورت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه. ونشأت المدرسة الكوفية لاحقًا في أوائل القرن الثاني الهجري, وبلغت أوجها في منتصف القرن نفسه، ومن أشهر روادها الكسائي والفراء, وبذلك، كانت مدرسة البصرة أقدم في الظهور، بينما جاءت مدرسة الكوفة كرد فعل على بعض آراء نحاة البصرة، مما أدى إلى نشوء الخلاف بين المدرستين في بعض المسائل النحوية.

الكلمات المفتاحية: النحو لغة واصطلاحا, ومفهوم المدارس النحوية ومراحل تطورها, و تاريخ ظهور مدرسة البصرة والكوفة, و أسباب ظهورهما, و عناصر هاتين المدرستين, و مناهجهما في صياغة القواعد النحوية.

المقدمة:

يعد العصر العباسي امتدادا للعصر الأموي من حيث توسع دائرة الإسلام , فنرى أن الإسلام كان محدودا في البلدان العربية في بداية الأمر ثم انتشر في حدود متصلة بهذه اللبدان نتيجة الفتوحات في العصر الأموي, و انتهى هذا العصر ودخل عصر تولى فيه زمام الأمور الخلفاء العباسيون و

توسعت دائرة الحكومة في عهدهم في العرب والعجم على حد سواء و يطلق عليه العصر العباسي الذي يعتبره المؤرخون من أهم العصور في الخلافة الإسلامية التي شهدت تطورا ملحوظا في المجتمعات الإسلامية حضاريا , وثقافيا, واقتصاديا, ومن مظاهر الثقافة التي شهدها العصر العباسي ظهور مختلف العلوم والفنون الجديدة برعاية الخلفاء, لأن معظم الخلفاء لهذا العهد كانوا مهتمين بالعلوم والفنون وخير شاهد على ذلك دار الحكمة التي أسسها الخليفة هارون الرشيد و جلب المترجمين البارزين من شتى البلدان بقيام مهمة ترجمة الكتب مختلفة الفنون مثل الفلسفة والهندسة والفلكيات والرياضيات إضافة إلى ذلك ظهرت هناك جماعة أخرى اهتمت بمهمة المحافظة على اللغة العربية من الفساد و تفشي اللحن على ألسنة الناس لأن توسع دائرة الإسلام أدى إلى التمازج الثقافي بين العرب والعجم و أصبحت اللغة العربية لغة التواصل والتعامل بين الشعوب التي دخلت في الإسلام. و القرآن هو الذي جمعهم في دائرة الإسلام وأنزله الله على خير البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين, نظرا إلى هذا الفساد اللغوي اتجهت هذه الجماعة إلى تأسيس فن جديد يساعد الناس على سلامة اللغة العربية من خطأ و سمى بفن النحو, و كان هذا العلم قد ظهرت بذرته في عهد علي رضى الله عنه ولكن ظهر كفن مستقل في العصر العباسي بلا نزاع, ثم تطور هذا الفن مع مرور الزمن بأفكارها المختلفة وأبعادها الجديدة في شكل جماعة مختلفة في الأصول والفروع و من ثم ظهرت المدارس المختلفة كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد, ولكن المدرستين الأوليين أشهر المدارس في دراسة النحو و تمتاز كلتا المدرستين بأصولها وفروعها حتى أصبحت هاتان المدرستان مرجع العلماء من مختلفة الفنون التي لها علاقة باللغة العربية مباشرة وغير مباشرة وبخاصة علم البلاغة والتفسير والقراءات .

المدارس النحوية الكبرى: مدرسة البصرة والكوفة

إن مصطلح "المدارس النحوية " يتكون بمصطلحين أساسيين من مصطلحات فن النحو, الأول المدارس والثاني النحوية ,وقد ظهر هذان المصطلحان واحدا تلو الآخر , ومن المعلوم أن مصطلح النحو سبق مصطلح المدرسة بعهد كثير, فبناء على هذا الكلام يجدر بأن يذكر بعض المعلومات الأساسية عن هذين المصطلحين حتى يتضح الأمر أمام الدارسين.

مفهوم النحو لغة واصطلاحا:

النحو في اللغةً:

ترجع كلمة النحو في اللغة إلى عدة معانٍ: منها القصد، والتحريف، والجهة، وأصل هذه المعاني كلها هو القصد؛ لأن النحو مأخوذٌ مِن حكاية معروفة حكاها أبو الأسود الدؤلي أنه أتى مرة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فطلب منه أن يضع قواعد تضبط كلام العرب بسبب انتشار اللحن، فقال له علي: "انحُ هذا النحو، وأضِف إليه ما وقع إليك. "؛ أي: اقصده، والنحو القصد، فسُمِّي لذلك نحوًا [246].

ففُهم من ذلك أن عليًا رضي الله عنه كان يأمره باتباع هذا الأسلوب في تنظيم القواعد، ومن هنا نشأ علم النحو. وهذا ثبت مِن كلام اللغويين؛ يقول ابن فارس: "النون والحاء والواو كلمةٌ تدل على قصد...، ولذلك سُمِّي نحو الكلام؛ لأنه يقصِد أصول الكلام، فيتكلم على حَسَبِ ما كان العرب تتكلم به[247].

[246] عبد الرحمن الأنباري, نزهة الألباء في طبقات الادباء, ج1, ص 15-14

[247] ابن فارس, معجم مقاييس اللغة، ج5, ص403

كما يدل عليه أيضًا كلام ابن منظور في لسان العرب؛ إذ ذهب إلى هذا المعنى بقوله: "والنحو القصد، والطريق.، نحاه ينحوه نحوًا، وانتحاه، ونحوُ العربية منه.، وهو في الأصل مصدر شائع؛ أي: نحوت نحوًا؛ كقولك: قصدت قصدًا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم"[248]، وفي المعجم الوسيط: "النحو: القصد، يقال: نحوتُ نحوه: قصدت قصده"[249].

يظهر مِن خلال هذه التحديدات أن أصل هذه المادة الذي ترجع إليه هو القصد، وأن ما سواه من المعاني تابعٌ، وهناك مَن يذهب إلى أن أصل المادة هو الناحية - أي الجهة - انطلاقًا من مبدأ تقدُّم الأصل الحسي.

يقول حسن عون: "نرجِّح أن الأصلَ في هذه المادة هو الناحية؛ أي: الجانب مِن الشيء، ثم جاءت المشتقاتُ مِن هذا الأصل...، ومن هذه المادة: نَحَا يَنحُو بمعنى اتَّجه، أو قصد يقصد، والصلة واضحة بين الناحية والفعل"[250].

وإذا كانتِ العلاقة واضحةً بين المعنيينِ كما يقول، فليس ذلك بمرجَّح، ما دام الوجه الآخر له ما يُسوِّغه، وليس وضوحُ العَلاقة وحدَه كافيًا؛ لأننا سنضرِبُ بكلام اللغويين عُرْضَ الحائطِ، خصوصًا أنهم لم يذهبوا إلى هذا المعنى، ولكنهم أتَوْا به على أنه معنًى ثانٍ، أضِفْ إلى هذا ما ذكره أغلبُ النحاة من أن الأصل في تسمية النحو، هو ما تقدم من كلام أبي الأسود.

النحو في الاصطلاحً:

[248] ابن منظور, لسان العرب، ج15ص 310-309

[249] المعجم الوسيط، ج2,ص308

[250] د. حسن عون ,اللغة والنحو: دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة: ص 217

إن أقدم تعريفٍ اصطلاحيّ للنحو على الأرجح، هو تعريف ابن السراج، الذي يقول فيه: "النحو إنما أُرِيد به أن ينحو المتكلِّم إذا تعلَّمه كلامَ العرب، وهو علمٌ استخرجه المتقدِّمون فيه مِن استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[251]. ويتَّضِح الربط بين المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لهذا التعريف، في تصديره له بما يشير إلى المعنى اللغوي الذي هو القصد.

مفهوم المدرسة :

وتستخدم هذه الكلمة لمعنيين أيضا(المذهب والمنهج), ومن ثم تطلق المدرسة على اتجاه فكري أو منهجي يتبعه مجموعة من النحاة , لتكوين القواعد النحوية بناءً على أصولها الفكرية , مثل مذهب البصريين و مذهب الكوفيين, أو مدرسة البصريين ومدرسة الكوفيين.

ويُعتبر مصطلحا "المدارس النحوية" و"المذاهب النحوية" من التسميات التي ظهرت في مراحل متأخرة من دراسة علم النحو العربي, وقد مر تطور التسمية بمراحلها الثلاثة كما أشارت إليها الدكتورة خديجة الحديثي

في كتابها "المدارس النحوية", و الدكتور عبدالله الخثران في كتابه "مراحل تطور الدرس النحوي", و هي كالتالي[252]:

المرحلة الأولى: النسبة إلى الأمصار

[251] ابن السراج, الأصول في النحو, ج1, ص35

[252] الدكتورة خديجة الحديثي, المدارس النحوية, ص13, و د.عبدالله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي ص 148.

كان العلماء يُنسبون إلى مدنهم، فيُقال: البصريون، الكوفيون، وهكذا. هذه النسبة لم تكن تعني وجود مذهب أو مدرسة بالمعنى الاصطلاحي، بل كانت تشير إلى الانتماء الجغرافي.

المرحلة الثانية: استخدام مصطلح "مذهب"

مع تطور الدراسات النحوية، بدأ استخدام مصطلح "مذهب" للإشارة إلى منهجية معينة في دراسة النحو، مثل "مذهب البصريين" و"مذهب الكوفيين".

المرحلة الثالثة: استخدام مصطلح "مدرسة"

هذا المصطلح حديث نسبيًا، واستُخدم في العصور المتأخرة للإشارة إلى الاتجاهات النحوية المختلفة، مثل "المدرسة البصرية" و"المدرسة الكوفية".

أسباب ظهورفن النحو:

تعددت الأسباب التي أدت إلى ظهور المدارس النحوية المختلفة في تاريخ النحو العربي، وفيما يلي بعض الأسباب الرئيسية التي ساهمت في ظهور هذه المدارس:

١. التوسع في الفتوحات الإسلامية:

بعد الفتوحات الإسلامية، انتشر الإسلام في مناطق جغرافية واسعة، من البصرة والكوفة إلى المغرب والأندلس. وكان من الضروري فهم اللغة العربية واستخدامها بشكل دقيق من أجل تيسير تفسير القرآن الكريم وحفظه، والحديث الشريف، والتعامل مع العبادات والفتاوى, ونتيجة لذلك بدأت المدارس النحوية في مختلف الأقاليم العربية للتعامل مع هذه المسائل اللغوية المختلفة، مما أدى إلى نشوء مدارس نحوية متعددة بتركيزات جغرافية متميزة[253].

[253] أبو بكر الزبيدي, طبقات النحويين واللغويين, ص11, و محمد الطنطاوي, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة,ص16-14

2. **تنوع اللهجات واختلافها:**

كانت اللغة العربية قبل الإسلام تتنوع في لهجاتها حسب القبائل والمناطق. وعندما بدأ الإسلام ينتشر، ظهرت ضرورة لتوحيد هذه اللهجات وضبطها, ونتيجة ذلك بدأ العلماء في محاولة الحفاظ على فصحى اللغة العربية وتوثيق قواعدها من خلال مدارس نحوية مختلفة (مثل المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية).

3. **التفسير الصحيح للقرآن الكريم:**

يعد القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وقد كُتِبَ باللغة العربية الفصحى. لذلك، كان من المهم فهم آيات القرآن بشكل صحيح لضمان تفسيره دون أخطاء, ونتيجة ذلك ظهرت حاجة شديدة إلى وضع قواعد دقيقة لفهم القرآن الكريم بشكل صحيح، مما حفز ظهور المدارس النحوية المختلفة، والتي كانت تهدف إلى تفسير معاني القرآن وتوضيح القواعد اللغوية المتعلقة به[254].

تاريخ ظهور المدارس النحوية:

يعتبر العصر العباسي من أهم العصور على مر الزمن الذي شهد ازدهارا بالغا في مختلف العلوم والفنون مثل علم اللغة ,والأدب, والبلاغة , والتفسير, والمنطق, والحساب, ومن بين هذه العلوم ظهر مبدأ الدراسات النحوية على يد أبي الأسود ونال اهتمام العلماء بكل عناية حتى تطور بشكل ملموس نتيجة التوسع في التأليف والتدريس، والتفاعل مع العلوم الأخرى كعلوم البلاغة والتفسير[255].

[254] شوقي ضيف, المدارس النحوية, ص 12-11

[255] شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, العصر العباسي, ج 4, ص 160-142

وفي هذه الفترة ظهرت جماعة من النحاة الذين قاموا بهذه المهمة الكبيرة نظرا إلى فساد اللغة وفشو اللحن في ألسن أغلب العوام, وحاولوا تطوير هذا الفن فأدخلوا تعديلات وتوسعات على القواعد النحوية وعملوا على تفسيرها وتطبيقها في مجالات أخرى كالشعر والنثر, وقاموا بتدوينها وتأليفها, ثم نشأت بين جماعة هؤلاء النحاة الأفكار النحوية المختلفة و الاتجاهات الجديدة التي أدت إلى ظهور بعض المدارس الفكرية مثل المدرسة البصرية, والمدرسة الكوفية, و المدرسة البغدادية, والمدرسة الدمشقية التي جعلتها فنا مستقلا وجزء لا ينفك, ولذلك شاع القول إن النحو في الكلام كالملح في الطعام[256] .

ومن بين هذه المدارس الأربعة اشتهرت مدرستان المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وهما من أقدم وأهم المدارس اللغوية والنحوية في تاريخ اللغة العربية، وقد نشأت المدرسة البصرية في العصر الأموي بالبصرة في أواخر القرن الأول الهجري, وازدهرت في الفترة بين القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع الهجري, وكان من أبرز مؤسسيها أبو الأسود الدؤلي، ثم تطورت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه. ونشأت المدرسة الكوفية لاحقًا بالكوفة في منتصف القرن الثاني الهجري وازدهرت بشكل رئيسي في الفترة من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس الهجري ومن أشهر روادها الكسائي والفراء, وبذلك، كانت مدرسة البصرة أقدم في الظهور، بينما جاءت مدرسة الكوفة كرد فعل على بعض آراء نحاة البصرة، مما أدى إلى نشوء الخلاف بين المدرستين في بعض القواعد النحوية [257].

أسباب ظهورهذه المدرسة:

[256] سعيد الأفغاني, في أصول النحو, ص160, محمد الطنطاوي, نشأة النحووتاريخ أشهر النحاة, ص34

[257] محمد الطنطاوي, نشأة النحووتاريخ أشهر النحاة, ص42

روى لنا التاريخ أن البصريين هم الذين تعهدوا النحو بعد انتهاء مرحلة الوضع المبكرة بالعناية والرعاية قرابة قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه إلى رواية الأشعار والأخبار والملح والنوادر ، ثم تكاتف البصريون والكوفيون على استكمال قواعده مع التنافس في ذلك تنافساً لم يلبث أن أصبح شديداً قرابة قرن آخر من الزمان خرج بعدها علم النحو تام الأصول كامل العناصر الرئيسة، وانتهى الاجتهاد فيه تقريباً ، وقد ازدادت حدة المنافسة العلمية بين البلدين حتى بلغت حد التعصب في كثير من الأحيان, ساعد على ذلك ونماه ما كان سائداً عند أهلهما من التعصب السياسي ، يقول أحمد أمين " بدأ الخلاف هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة ، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة ، وصار لكل مدرسة علم تنحاز إليه كل فرقة ، ويظهر أن العصبية العلمية بين المدرستين كانت مؤسسة على العصبية السياسية التي ظهرت بين البلدين"[258] فقد كان الكوفيون يميلون في الجملة سياسيا إلى دولة بني العباس بينما كان البصريون منصرفين عنها . ثم التأم عقد الفريقين في بغداد التي ازدهرت لوجود مقر الخلافة العباسية فيها فنشأ المذهب البغدادي ، وبعد ذلك شع نور النحو في سائر البلاد الإسلامية كالأندلس والمغرب ومصر والشام ، وهكذا نشأ ما اصطلح الباحثون على تسميته بالمدارس النحوية ، وهي مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد والمدرسة الأندلسية التي تشمل دراسة النحو في الأندلس والمغرب والمدرسة المصرية التي تشمل دراسته في مصر والشام[259].

عناصر المدرسة البصرية:

[258] أحمد أمين, ضحى الإسلام ٢ : ٢٩٤

[259] عبد الكريم محمد الأسعد, الوسيط في تاريخ النحو العربي, ص 34

وللمدرسة البصرية ثلاثة عناصر رئيسية تنبي عليها قواعدهم النحوية كلها و هي كالآتية[260]:

- سلامة لغتهم الذين أخذوا عنهم من نسرب الوهن لذا أنهم أخذوا عن البوادي فقط دون الحواضر.
- ثقة الرواة الذين سمعوا عنهم عن طريق الحفظة والإثبات.
- الكمية الكثيرة من الشواهد لذا أنهم يعتبرون الشواهد النادرة شاذة.

منهج مدرسة البصرة في صياغة قواعد النحو:

وقد اتخذت المدرسة البصرية بعض المناهج لصياغة قواعد النحو العربي التي تنفرد عن بقية المدارس ومن بين هذه المناهج هي كالآتية[261]:

- اعتمدت مدرسة البصرة على منهج استقرائي تحليلي، حيث جمع علماؤها المادة اللغوية من مصادر متعددة، ثم قاموا بتحليلها واستنباط القواعد منها.
- ركزت على القياس والتعليل، مما أدى إلى وضع قواعد نحوية صارمة.
- كما أولت اهتمامًا كبيرًا بالقرآن الكريم وقراءاته، بالإضافة إلى الشعر العربي القديم، كمصادر أساسية للاستشهاد والاستنباط.

[260] محمد الطنطاوي, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة, ص127

[261] شوقي ضيف, المدارس النحوية, ص 20-17, وعبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي،ص41-39

- التشدد في أخذ اللغة عن أعراب البادية الأقحاح مثل قبائل تميم، وقيس, وأسد, وطيئ , وهذيل, وبعض عشائر كنانة, واشترطوا فيمن تؤخذ عنه اللغة الفصاحة، وقد كان هذا الشرط مصدر فخر لهم على الكوفيين.
- الميل إلى القياس النحوي، وكانت المدرسة البصرية تسعى إلى أن تكون القواعد مطردة اطراداً واسعاً، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها إطاراً لوضع قانونٍ نحويٍّ.
- اعتداد العقل والمنطق؛ فقد أطلق البصريون العنان لعقلهم ولجأوا أحياناً إلى النظر المجرّد، مما أدى بهم إلى عدم قبول الشواهد العربية إلا إذا كانت متواترة، فيصح حينها الأخذ بها واستنباط القواعد منها.
- إهمال الحديث النبوي عند استشهادهم، لم يتخذوه إماماً لشواهدهم وأمثلتهم بدعوى أنه رُوي بالمعنى.
- التأثر بالمعارف تأثراً عميقاً لدرجة أنهم سموا بأهل المنطق تمييزاً لهم عن الكوفيين، وحتى أصبحت الصفة العامة للمدرسة البصرية أنه مذهب حاول الدخول في مسائل النحو في إطار المنطق.
- الإكثار من التأويل والتقدير والتوجيه، وقد كان نتاج طبيعي لتأثرهم بالمنطق، وقد حرصوا على الحدود والرسوم ولذلك أكثروا من التأويل والتقدير والتوجيه حين يصطدم أصل من أصولهم بسماع غير مشهور.

عناصر المدرسة الكوفية:

وكذلك للمدرسة الكوفية ثلاثة عناصر رئيسية تنبي عليها قواعدهم النحوية كلها و هي كالآتية[٢٦٢].

- التوسع في الاستشهاد, حيث لم تقتصر على القرآن الكريم والشعر الجاهلي، بل استشهدت بكلام القبائل المختلفة، حتى لو تأثر بالعجم.
- التسامح مع الشواذ والنوادر, قبلت الظواهر اللغوية الشاذة واعتبرتها جزءًا من تطور اللغة.
- المنهج الوصفي أكثر من القياسي, اهتمت بوصف الظواهر اللغوية كما هي دون تقييدها بمنهج عقلي صارم.

منهج مدرسة الكوفة في صياغة قواعد النحو:

وللمدرسة الكوفية مناهج خاصة تتميز بها عن المدرسة البصرية وهي كالآتية[263]:

- الاعتماد على السماع أكثر من القياس
- اعتماد نحاة الكوفة على الاستشهاد باللهجات العربية المختلفة،
- قبول بعض التراكيب التي اعتبرها البصريون شاذة أو ضعيفة.
- التوسع في الأخذ عن العرب العوام بدون قيد وشروط .
- عدم الاقتصار على لهجات قريش والقبائل الفصيحة فقط.
- التسامح مع الضرورات الشعرية

[٢٦٢] محمد الطنطاوي, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة, ص134

[263] محمد الطنطاوي, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة, ص155-122.

- إجازة بعض التراكيب اللغوية التي جاءت في الشعر حتى لو لم تتوافق مع القواعد العامة.
- كانوا أكثر تساهلًا في تطبيق القياس، وقبلوا بعض التراكيب التي لم يكن لها نظير في الفصحى القديمة.
- الاهتمام بالإعراب التطبيقي
- التركيز على دراسة الإعراب العملي أكثر من وضع القواعد النظرية الصارمة.

مسائل الخلاف بين المدرستين:

قد ورد الخلاف بين هاتين المدرستين في مسائل عديدة من المسائل النحوية التي ذكرها أبي البركات عبد الرحمن الأنباري في كتابه " الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" بقد من التفصيل ومن نماذج هذه الخلافات هي[264] :

- مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم.
- مسألة الاختلاف في إعراب الأسماء الستة.
- مسألة القول في إعراب المثنى والجمع على حده.
- مسألة هل يجوز جمع العلم المؤنث بالتاء جمع المذكر السالم.
- مسألة القول في رافع المبتدأ ورافع الخبر.
- مسألة في رافع الاسم الواقع بعد الظرف والجار والمجرور.

[264] أبي البركات عبد الرحمن الأنباري, الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين, ص 78-06

- مسألة القول في تقديم الخبر على المبتدأ.
- مسألة القول في العامل في الاسم المرفوع بعد لولا.
- مسألة القول في إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير صاحبه.
- مسألة القول في عامل النصب في المفعول.

الخاتمة:

كان العصر العباسي عصرا ثقافيا حيث ظهرت فيه الدراسات النحوية كفن مستقل حفظا على سلامة اللغة من الفساد واللحن بسبب اختلاط العرب مع العجم نتيجة الفتوحات الإسلامية, وبدأ مصطلح المدرسة للمذهب النحوي كحديثة السن ومرت تسمية هذا المصطلح بمراحلها الثلاثة نسبة إلى الأمصار ثم المذاهب ثم المدرسة. وظهرت بعض المدارس النحوية في هذا العصر مثل المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية, ولكن مدرسة البصرة والكوفة نالتا مكانة منفردة عن غيرها. ولكل مدرسة مناهج خاصة تنفرد عن غيرها, فللمدرسة البصرية مناهج خاصة , وكذلك للكوفة, ولكلتا المدرستين عناصر ثلاثة تتميز كل منهما عن الغير, ويوجد هناك التمازج والتأثر بين هاتين المدرستين من حيث المناهج, ومن خلال التمازج ظهر عدد من النحاة الذين لهم دور مشترك في كلتا المدرستين. وألفت عدد كبير من المؤلفات التي تعتبرها مصدرا هاما لمصادر النحو العربي في هذا العصر.

المصادروالمراجع

✓ ابن فارس, معجم مقاييس اللغة، 1979, دار الفكر, سوريا

- ✓ ابن منظور ,لسان العرب، 1993, دار صادر, بيروت
- ✓ ابن السراج, الأصول في النحو, 1988مؤسسة الرسالة, بيروت
- ✓ أحمد أمين، ضحى الإسلام،1990, الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- ✓ الأفغاني سعيد, في أصول النحو, 1987, المكتب الإسلامي , بيروت
- ✓ الأنباري أبو البركات عبد الرحمن, الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين,2003, دار الفكر, دمشق
- ✓ الأنباري أبو البركات عبد الرحمن, نزهة الألباء في طبقات الادباء,1998, دار الفكر العربي, القاهرة
- ✓ د. حسن عون, اللغة والنحو: دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة, 1952, مطبعة رويال, الإسكندرية
- ✓ الدكتورة خديجة الحديثي, المدارس النحوية, 2001, دار الأمل, الأردن
- ✓ الزبيدي أبو بكر, طبقات النحويين واللغويين, 1994, دار المعارف, القاهرة
- ✓ شوقي ضيف, المدارس النحوية,1992, دار المعارف, القاهرة
- ✓ شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, العصر العباسي, **1995**, دار المعارف, مصر
- ✓ الطنطاوي محمد, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة, 2005, دار المعارف, القاهرة
- ✓ د.عبدالله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي,١٩٩٣, دار المعرفة الجامعية, مصر
- ✓ عبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي,1992 الرياض، دار الشواف
- ✓ نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة, المعجم الوسيط, 1972, مجمع اللغة العربية, القاهرة

مقاومة الجنوب الهندي للوجود البريطاني :
قراءة في أحداث القرن الثامن عشر

د. سكينة م.ك
أستاذة مساعدة .قسم اللغة العربية .كلّية م.اي.س . ممباد(الحكم الذاتي)

المقدمة

لمّا اشتدّت الإضطرابات من قبل السكّان المحلّيين اضطرّ الإنجليزيّون للإنتقال إلى سائر مناطق كيرلا . فجاءوا إلى المناطق الجنوبية حيث اتّصلوا "آتّنغّل رانى "(Attingal Rani) يطلبون منها الإذن لبناء القلعة فى بقعة "أنجتنغ"(Anjidip) ذات أهمّية إستيراتيجيّة بالغة . وا فقت على طلبهم هذا . وتمّ بناء القلعة سنة ١٦٩٥م . سبّبت هذه القلعة الّتى تقع فى بقعة يمكن المواصلات منها إلى المناطق الشّمالية بحريّا بكلّ سهولة لتطوّر هائل في نشاطاتهم التّجاريّة . وبالإضافة إلى هذا قاموا بفتح مستودع فيها لتخزين الأدوات الغربية . وبالنسبة للإنجليزيين كانت هذه البقعة من أهمّ المراكز الإستراتيجيّة بعد بومباي فى السواحل الغربية[265] . وقد سبّبت موقعها الإستراتيجى لإزدياد نفودهم فى جميع مناطق كيرلا فى تلك الأيّام . أما سكّان هذه المناطق فما كانوا يرتاحون بما للإنجليزيين من السيطرة والنفود . وقد أدركوا خطرا هائلا فى ازدياد نفودهم ولا سيّما فى المجالات العسكريّة . وقد حاولوا للإعتداء على القلعة محاولة فاشلة . مثل هذا قاموا بهجوم شديد على قافلة للإنجليزيين

[265] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة 304

تحمل الهدايا والتحف الثمينة لآتنغّل رانى." ولكن هذه المحاولات كلّها فاشلة .[266]

ثورة آتنغّل (Attingal Outbreak)

في سنة ١٧٢١م ظهرت مرحلة جديدة فى شأن مصنع "أنج تنغ"(Anjengo) المذكور. بالنسبة للإنجليزيين إنّ هذه المرحلة مرحلة أزمّة شديدة ناتجة عن معاملاتهم القبيحة تجاه السّكان المحلّيين اللّذين كانو لا يرضون بهم ولا بتصرّفاتهم السيّئة. ولو كانوا يتظاهرون بتمجيد الملكة "آتنغّل رانى"ويقدّمون إليها هبات ثمينة مختلفة كانوا يهملون الرّعيّة كلّ الإهمال ويوغرون صدورهم بشتّى أنواع المعاملات .وقد إتّصل أعيان تلك الطبقة من السّكّان المحلّيين المعروفين بإسم "بلاّ"(Pillai) بالسيّد "كيفورد"(Gyfford)[267] ،رئيس الشركة الشرقيّة الهنديّة وقتذاك واشترطوا تقديم الهبات للملكة "آتنغّل رانى "بواسطتهم وبمعرفتهم التامّة . ولكنّ "كيفورد" ما كان مستعدّا للإستجابة لهم . وقد أراد للذّهاب إلى قصر الملكة بالهبات والهدايا الثمينة بدون إخبار السّكان المحلّيين وخرج يرّئس فرقة تتكوّن من١٤٠من الإنجليزيين يحملون معهم قدرا غير قليل من الهدايا الفاخرة للملكة .قبيل وصولهم فى قصر الملكة ، عندما وصلوا فى بقعة "آتنغل" أوقفوهم الثّوّار من السّكان المحلّيين واعتدوا عليهم بكلّ شدّة . إنّ هذه الإعتداءات التى وقعت فى اليوم ١٥من شهر إبريل سنة ١٧٢١م أدّت إلى مقتل جميع من فى فرقة الإنجليزيين .بعد هذه المجزرة أقبل الثّوّار إلى "أنجتنغ" ،مقرّ الإنجليزيين ،حيث حاصروا قلعتهم فترة ستّة أشهر .إنّ هذه الثّورة التى تُعتبر الأولى من نوعها فى تاريخ إستقلال الهند إنتهت برفع الحصار بعد وصول جنود إضافيين من "تلشّيرى"، مقرّالإنجليزيين الأكبر فى شمال كيرلا . وقد أدّت هذه التّطوّرات إلى خسائر روحيّة للإنجليزيين ومادّية للثّوّار . وقد

[266] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلا :تاريخه وثقافته (مليالم)- الناشر–مكتب جامعة كاليكوت –تيزبالم – صفحة 303

[267]. وليم كيفورد هو المنتصب الى شركة الهنديّة الشرقيّة والمشارك في نشاطات مصنع تابع لها في مدراس منذ التأسيس

أجبر الإنجليزيّون الملكة "آتنغّل رانى " للتّعاقد معهم لمواصلة النشاطات التجاريّة فى الأيّام المقبلة . فاضطرّت لقبول جميع ما قدّموا أمامها من البنود والشّروط فى الإتّفاقيّة . حسب هذه الإتّفاقيّة كانت عليها أن تقدّم للإنجليزيين التعويضات الماليّة لكافّة الخسارات الماديّة منها والرّوحيّة[268].وبالإضافة إلى هذا مُنحت لهم حرّية تامّة لفتح المراكز التجاريّة حيث ما رغبوا فى الأماكن تحت سيطرتها . هذه كلّها كانت بالإضافة إلى ما أعطي لهم من الإحتكار للإتّجار بالفلفل الّذى يُعتبر من أهمّ التّوابل المصدّرة إلى الدّول الأوروبيّة .

أوجدت هذه المعاهدة بيئة مناسبة وصالحة للإنجليزيين للمواصلة بنشاطاتهم التجاريّة ولتوسيع نفودهم فى شتّى أرجاء مناطق كيرلا جنوبا وشمالا . بناء على هذه المعاهدة وقد أمكن لهم تشييد مصنع فى بقعة "إدوائى" داخل حدود "آتّنغل رانى". وكذلك بناءا على معاهدة أخرى فى عام ١٧٢٣م تمّ تشييد قلعة من قبل ملك "تروتانكور" للشركة الهنديّة الشّرقيّة الإنجليزيّة التى جهّزتها بكافّة الأسلحة والعتاد المطلوبة .

هكذا عندما يواصلون توسيع نفودهم فى المناطق الجنوبية كانوا لا يهملون المناطق الشمالية، بل كانوا يولون إهتماما مماثلا لتلك المناطق أيضا .وقد رغبوا فى إيجاد علاقات ثنائيّة بينهم وبين "ودكوكلم كور"(Vadakkumkoor) ملك "كولت ناد (Kolathu Nadu) . فساعدهم الملك لبناء قلعة في "تلشيرى" . هنا أيضا كان لهم أن يواجهوا المكافحات الشّديدة والمهاجمات المتواصلة من قبل السّكان المحلّيّين مثل ما كانوا يواجهونها في "أنجتنغ" . ولو كان لهم أن يواجهوا الاعتراضات والاعتداءات فى أوائل أيّامهم كانوا يركّزون جُلّ إهتمامهم على قمعها واستأصال بذور الثورة

[268] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة 304

والشّقاق الّتى نُشرت طول أراضيها . عند ما استتبّت لهم الأمور واستقرّت لهم المقام تطوّرت نشاطاتهم التجاريّة فى الأراضي الشّماليّة ولا سيّما فى مدينة "تلشّيرى فى شكل ملحوظ.

الإضطرابات فى ميسوروازدياد نفوذ الإنجليزيين

سبّبت الإضطرابات المختلفة التى نشبت فى ميسور لظهور قدر غير قليل من المشاكل والصعوبات للشركة الهنديّة الشرقيّة فى أراضى كيرلا طولا وعرضا . وقد تعرّضت المراكز التجارية فى تلشّيرى للكثير والكثير من الأضرار نتيجة التطوّرات السّياسية فى ميسور التى كانت تحت سيطرة الملك "حيدر على" (Hyder Ali) . وقد حاول "حيدر على مرّتين للمهاجمة على الإنجليزيين فى مناطق كيرلا الشمالية. الأولى كانت سنة ١٧٦٦م والثانية كانت سنة ١٧٧٣م .ولكن فى كلتي المرّتين غُلبت جنود ميسور أمام الإنجليزين المؤيّدن من قبل الساموتري ملك مليبار .

بعد موت حيدر على خلّفه إبنه "دبّو سلطان"(Tippu Sulthan) .كان من أمهر ملوك ميسور وأشهرهم.لقد اشتدّت العداوة بين ملوك ميسور والإنجليزيين وبلغت أوجها . قاد دبّو سلطان حملة عسكريّة إلى المناطق الشمالية فى كيرلا للسيطرة على الممالك الصغيرة فيها ولمحاربة الإنجليزيين الّذين يؤيّدونهم لإستغلال موارد البلاد المختلفة بإسم الشركة الشرقيّة الهنديّة .فور الوصول هنا قام بتشييد القلاع وما شابهها فى بعض الأماكن الشماليّة . عند ما قاد دبّو سلطان حملة عسكريّة فى سنة ١٧٨٩م على "تروتامكور" أقبل الإنجليزيون لمناصرة الملك بكلّ ما لديهم من الإمكانيّات . وقد عزم دبّو سلطان للرجوع فى هذه المرّة و للوصول هنا مرّة ثانية بجمع جيش كثيف وادّخار القدر الممكن من العتاد والأسلحة المتطوّرة . وقد غادر إلى ميسور بإبقاء عدد غير يسير من جنوده للدّفاع عمّا يتركه هنا من الجنود والمصالح الأخرى .

وفى سنة ١٧٩٠م أقبل الإنجليزيّون إلى ميسور للإعتداء على "شريرنك بتّنم" مقرّ دبّو سلطان . فاضطرّ جنود دبّوسلطان للرّجوع فورا إلى ديارهم للدفاع عنها و ملكهم دبّوسلطان. فتحت هذه التطوّرات الأبواب أمام الإنجليزيين اللّذين يحلمون الدّخول إلى منطقة مليبار فى شكل تامّ .وقد استغلّت "العقيد ستوورت" (Stewart)هذه الفرصة وقاد حملة إلى قلعة بالاكّاد(Palakkad) واستولى عليها بدون أدنى منازع ومدافع فى سنة ٢٢سبتمبر ١٧٩٠م . وكذلك إستولوا على قلاع أخرى ، آخرها كانت قلعة "كنّور" ل أركّل بيوى" التى إعتدى عليها القائد الإنجليزي "آمبر كرامبى" .

أمّا الإنجليزيّون الّذين دخلوا مدينة "شريرنك بتّنم"(Srerangapatna)فقد ضربوها ضربا شديدا من الجهات الأربعة وحاولوا للسيطرة عليها والقضاء على الملك دبّو سلطان . عند ما اشتدّت الحرب وكاد النصر قاب قوسين للملك دبّو سلطان إحتال الإنجليزيّون لإيجاد السلم بين الطرفين . وقد قدّموا أمام الملك خطّة لإنهاء العداوة وإيجاد السلم على أساس معاهدة بينهما . أمّا الملك الذى كان يتطلّع إلى آفاق واسعة فقد وافق على إقتراحاتهم للدّخول فى المعاهدة . هكذا ، فى سنة ١٧٩٢م تمّ التوقيع بين كلي الطرفين فى معاهدة تؤهّل الإنجليزيين للإستيلاء على جميع مناطق مليبار تحت سيطرة دبّو سلطان ما عدا منطقة "ويناد"(Wayanad) بالإضافة إلى منطقتي "كوشن (Kochi)،وكُودك"(Kudak) .

ما كانت هذه المعاهدة كافية لجعل العلاقة بين الطرفين خالية خلوّا تامّا من المشاجرات والمجادلات وفى عام ١٧٩٩م خلافا لما تنصّه المعاهدة المذكورة ، خرج الإنجليزيّون للإستيلاء على باقي المناطق تحت سيطرة دبّو سلطان . وقد أدّت التطوّرات المترتّبة إلى تفاقم الأوضاع السّياسية وبالتّالى نشبت حروب شديدة بين الإنجليزيين و بين دبّوسلطان. ومن أشهر هذه الحروب تلك التى أدّت إلى سقوط

مقرّ الملك فى " شريرنكبتّنم ". مع هذا أمكن للإنجليزيين الإستيلاء على بعض المناطق مثل "هوس دورغ(Hosedurg)"وكاسركود (Kasarcode)فى جنوب إقليم "كانرا" وكذالك منطقة "ويناد " . أمّا المناطق التى تسيطر عليها الملوك الصغار فى منطقة جنوب كانرا ومليبار فما كانت مستعدّة للإنضمام إلى "كتلة الإنجليزيّين اللّذين يرغبون فى الإستيلاء عليهم برمّتهم . وقد وقفوا بكلّ قواهم على الإنجليزيين . ولكن كانوا لا يستطيعون الدّفاع عن ممالكهم الصغيرة ولا أعراضهم الثمينة . وقد إضطرّوا للمساومة معهم فى أمر ممالكهم وممتلكاتهم فيها . وقد نجح الإنجليزيّون فى إقناع هؤلاء الملوك الصّغار ببعض الوعود المغرية .

وبالتالى ضُمّت تلك الممالك الصغيرة أيضا إلى الأراضى الإنجليزيّة . أمّا ملوك الممالك الصغيرة فى كوشن وتروتانكورفقد إتّصل بهما الإنجليزيون وعرضوا أمامهما بعض المناصب العالية لو كانا يستعدّان ليتمشّيا معهم بدون أيّما تدخّل فى الشّؤون السّياسية والتجارية . وفى عام ١٨٠٠م صارت منطقة كوشن تحت سيطرة حكومة" مدراس" وبالتالى تحت سيطرة الإنجليزيين السّياسية التامّة . هكذا ، بعد أكثر من عقدين اثنين من مقتل الملك دبّوسلطان صارت منطقة كيرلا برمّتها تحت سيطرة الشركة الهنديّة الشرقيّة الإنجليزيّة .

ماكانت سيطرت الإنجليزيين على المجالات المختلفة إلاّ ببدل جهود مضنية ومواجهة العديد والعديد من المعارضات الشديدة من قبل السكّان المحلّيين . وقد كان لهم أن يتعرّضوا للإعتداءات العنيفة والإضرابات الشديدة التى تهدّد كيانهم فى أراضى هذه المنطقة . كانت هذه الثورات والمظاهرات كلّها تحت قيادة طائفة من الرّؤساء اللّذين كانوا يتّسمون بحبّهم للوطن وبنى الوطن. لقد شهدت العقود الأخيرة من قرن الثامن عشر و الأولى من القرن التالى لعدد لا يحصى من المحاولات الجادة بما فيها

الإشتبكات والمشاجرات والمخاصمات وغيرها بالإضافة إلى ما تعقد فى جميع أرجاء المنطقة من المظاهرات المختلفة. وقد شارك فى هذه الثورات لإستقلال الهند جميع من كانوا يعيشون فى مناطق مليبار ، وكوشن وتروتانكور بدون إستثناء ولو بقعة واحدة فيها.

ثورة الملك بازاشى

كان الملك "كيرلاورم بزشى راجا"(Kerala Varma Pazhassi Raga) أشدّ أعداء الإنجليزيين فى المناطق الشمالية . وقد قاد عددا غير يسير من الثورات ضدّهم فى الفترات المختلفة . ومن أهمّ هذه الثورات تلك الّتى وقعت فى فترة ما بين ١٧٩٣م - ١٧٩٧م . بسبب رفضه ضريبة غير معقولة للإنجليزيين . وقد تحدّى السلطات الإنجليزيّة بتجميد الضرائب بكلّ أنواعها . وقد حاول الإنجليزيّون تحت قيادة "القائد كوردن" للقبض على الملك وللإتيان به إلى مقرّهم . ولكن لاذ الملك فرارا إلى منطقة "ويناد" حيث واصل نشاطاته فى المكمن طيلة فترة طويلة .من خلال هذه الفترة قام بتعطيل جميع المواصلات عبر طريق " كوتّيادى" (Kuttiadi)الرئيسى الّتى لها أهمية إستيراتجيّة كبرى فى تلك الظروف . وقد أوغرت هذه العمليّة صدور الإنجليزيين فخرجوا للقضاء على الملك .ولكن لم يقدروا العثور على الملك فى مكمنه .وقد إضطرّوا لإعلان رغبتهم فى المعاهدة مع الملك . عند ما علم الملك عن حسن إستعدادهم للمصالحة بينهما ، خرج بناء على طلب رسميّ من الإنجليزيين إلى مقرّهم. تمّ التوقيع بينهما فى معاهدة تنصّ التعايش السلميّ بينهما .

ولكنّ هذه الأجواء السّلمية لم تستمر طويلا . لقد ظهر بعض الخلافات بين الملك والإنجليزيين بسبب منطقة "ويناد" الّتى كان الإنجليزيّون يمتلكونها بعد معاهدة "شريرنك بتّنم ". فقد حاول الملك لإسترداد هذه المنطقة من الإنجليزيين . جمع جيشا كثيفا يتكوّن من شبّان مدرّبين على طرق الحرب

المختلفة الّذين يمثّلون طبقات مختلفة فى المجتمع . وقد قدم المحارب الشّهير منجيري أتّنموين كركّض وأصحابه أيضا الى الأمام لنجدة الملك وقدّموا له كافة التّأييدات لمحاربة الإنجليزيين .[269] وقد بدأت الثورة فى شهر يونيو سنة ١٨٠٠م . أراد الإنجليزيّون لمواجهة الثّوّار ولقمع الثورة إلى الأبد . وقد أحرز الإنجليزيّون إنتصارا واضحا على جنود الملك فى الإشتباكات المتتالية . وقد حاصروا الملك وجنوده بمساعدة من السّكان الأصليّين فى غابات "ويناد". وبدأو القضاء على أعوانه من الجنود والمساعدين. وقد دام الحصار سنوات حتّى أمكن القضاء على الملك باطلاق النّار عليه فى المكمن فى شهر نفمبر سنة ١٨٠٥م .[270]

ثورة طائفة" كوريشيا "(Kurichiar Revolt)

وقدسبّبت سياسة الإنجليزيين الجديدة فى جباية الضرائب وجمعها فى شكل النّقود مقابل المحصولات الزراعيّة لظهور مشاكل كثيرة فى المجتمع . كانوا يتعوّدون دفع الضرائب إلى السّلطات فى شكل المنتوجات الزراعيّة كالحبوب والخضروات والفواكه وغيرها . عندما أُمروا لدفع الضرائب نقودا وجدوا فيها صعوبات عديدة . فخرجوا ضدّ هذه السّياسة وحاصروا جيوش الإنجليزيين المعسكرين فى مدينتي "سلطان بتّيرى(Sulthan Bathery) ،و"مانندوادي" (Mananthavady). أرسل الإنجليزيّون المزيد من الجيوش للدّفاع عن المعسكرات وقمع الثورة . وقد تسنّى لهم فكّ الحصار وإنهاء الثورة بدون أيّما جهد مبذول. تُعتبر هذه الثورة الأخيرة من نوعها من قبل العامّة من النّاس ضمن ثورات الفترة الأولى.[271]

---

[269] وليم لوكن – ملبار مانول – الناشر–ماتربهومي بكس- صفحة 341

[270] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة 317-316

[271] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلا :تاريخه وثقافته (مليالم)- الناشر–مكتب جامعة كاليكوت –تيزيالم – صفحة 345

الخاتمة:

يتّضح من خلال هذا البحث أنّ الوجودَ الإنجليزيَّ في كيرلا وبخاصة في مناطق مليبار لم يكن نتيجة توسّع تجاريّ فحسب، بل كان ثمرةَ سياسةٍ مدروسة تقوم على استغلال الظروف السياسيّة، وتفتيت القوى المحليّة، وإقامة التحالفات والمعاهدات بما يخدم مصالح الشركة الهنديّة الشرقيّة. لقد شكّلت قلعة أنجتنغ نقطة الانطلاق الأولى لترسيخ النفوذ البريطاني في السواحل الجنوبيّة، ومنها أخذت رقعة السيطرة بالتوسّع تدريجيًا نحو الشمال والوسط، مستفيدةً من الصراعات الداخليّة كما في ميسور، ومن ضعف الممالك الصغيرة أمام التفوّق العسكري الإنجليزي،

كما أظهرت الدراسة أنّ هذه السيطرة لم تمرّ دون مقاومةٍ من أبناء البلاد، بل شهدت المنطقة ثوراتٍ متلاحقة جسّدت رفض الشعب للهيمنة الأجنبية، مثل ثورة آتنغل التي تُعدّ من أوائل الانتفاضات ضدّ الإنجليز في الهند، وثورة بازاشي راجا التي شكّلت مرحلةً مهمّة من الكفاح المسلّح في شمال كيرلا، إضافة إلى ثورة طائفة الكوريشيا الّتي جاءت نتيجة السياسات الجائرة في جباية الضرائب. وقد أثبتت هذه الثورات أنّ روح المقاومة متجذّرة في المجتمع المالاباري، وأنّ تطلّعاته نحو الحرية والاستقلال لم تتوقّف رغم قوّة الآلة العسكريّة البريطانيّة.

وفي نهاية المطاف، تكشف أحداث القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عن حقيقة أساسية، وهي أنّ الإنجليز لم يستطيعوا ترسيخ نفوذهم إلّا بعد عقودٍ طويلة من الصراعات، ومع ذلك ظلّت المعارضة المحليّة قائمةً في أشكالٍ مختلفة. وهكذا فإنّ دراسة الوجود الإنجليزي في مليبار ليست

مجرّد قراءة لتاريخ الاحتلال، بل هي أيضاً قراءة في تاريخ صمود الشعوب، وإصرارها على حماية أرضها وكرامتها وهويّتها مهما اختلفت الظروف وتبدّلت القوى.

المصادر والمراجع:

١. د . جمال الدين الفاروقي -،وعبد الرحمان المنغادي -أعلام الأدب العربي في الهند–مكتبة الهدى – كاليكوت -2008

٢. علّامة سيّدنا سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ 2008م

٣أبو الحسن على الندوي – الدوة الإسلاميّة في الهند وتطوّراتها -المجمع الإسلامي العلمي -الهند-1990

٤.د. جمال الدين الفاروقي – دراسات في الثقافة والحضارة – الناشر –مكتبة الهدى –كالكوت -2010م

٥. د. ويران محي الدين الفاروقي – الشعر العربي في كيرلا مبدأ وتطوّره ،مكتبة عربنت ,كاليكوت -2003

٦. د ك.ن.كرب ود/ن.اى.م عبد القادر – الأيديولوجيا والنضال :دراسة مسلمي مليبار –مركز المخطوطات –تربونترا-

٧.د/ك ك ن كرب-الترجمة د/زهرابى ماتومال والأستاذ محمّد كنجاتودى-تراث مسلمي مليبار للبحوث والتنمية- كاليكوت

٨. العلاقات بين العرب والهند – مجلّة البشرى ولانجيري – أبو حسينة ،اتّحاد معلمي العربية –كيرلا 1974م

٩.مجلّة عربية سنوية "مليبار" تصدر عن قسم الغة العربية في كلّية السيد بوكويا التذكارية

١٠.البشرى--مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة1 - 25 كانون الثاني (يناير)1963

1. Dr. Hussain Randathani – Mappila Muslims- A study of society and Anti-Colonial Struggle, Calicut –Other Books –Calicut -2007.

2. Stephen Frederic Dale - The Mappilas of Malabar -1498 -1922-Clarendon press –Oxford-1980
3. William Logan –Malabar Manual – Vol-1-Chaithram Publication –Trivandram -1981
4. Kalid Ahmad Nizami –On history and historians of Medival India –Munshiram Manoharlal publication pvt Ltd -1983
5. Dr CK Kareem -Kerala under Haidar Ali and Tippu Sulthan –Paico publication house-Eranakulam -1973
6. MGS Narayanan, cultural Symbiosis, TVM,1972
7. A.Sreedhara Menon. Cultural Heritage of Kerala- an Introduction, East West publication, Cochin 1978
8. K.M Panikker.A History of Kerala 1498-1801, Annamalai university -Tamilnadu 1960
9. Dr Kareem Kerala Mulsim history Statistics and Dictionary – vol –1.
10. Shankunny Menon A History of Travancore, Kottayam, 1962
11. Miller E Roland, Mappila Muslims of Kerala, Orient Longman 1976
12. Ibrahim Kunju A.P. Mappila Muslims of Kerala, their History and Culture,TVM 1989
13. Miller E Roland, Muslims Friends, Orient Longaman 2000

بشير مفتي: عوالم الإبداع والخيال في أدب الأطفال

د. ك. ت. شكيب،
أستاذ مساعد بكلية أنوار الاسلام العربية للبنات - مونغام، كيرالا - الهند

ملخّص البحث

تُبرز هذه الدراسة تجربة بشير مفتي في أدب الأطفال أن مؤلفاتها تمثل نموذجًا إبداعيًا يجمع بين الأصالة الثقافية والحداثة، وبين المتعة والفائدة المعرفية، وبين الانتماء المحلي والبعد الإنساني الكوني. فقد استطاعت الكاتبة تحويل القصة إلى أداة تربوية وجمالية في الوقت ذاته، تعلّم الطفل القيم الأخلاقية والاجتماعية، وتفتح أمامه آفاقًا واسعة للخيال والابتكار، مع تعزيز حب القراءة والتعلّم منذ الصغر.

تتسم أعمالها بتنوع كبير، يشمل المجموعات القصصية، والروايات القصيرة، والمسرحيات، والكتب المعرفية المبسطة، ما يجعلها شاملة لمختلف مجالات الثقافة والخيال. كما يعتمد أسلوبها الفني على السرد البسيط المتدرج، والحوار الحيوي، والرمزية المبسطة، واللغة الغنية بالصور البلاغية، مما يسهل على الطفل التفاعل مع النصوص ويغذي خياله.

على الرغم من التحديات التي واجهتها، مثل ضعف النشر المخصص لأدب الأطفال، وقلة الاهتمام النقدي، وصعوبات التوزيع، والمنافسة مع الوسائط الرقمية، نجحت بشير مفتي في ترسيخ مكانتها في المشهد الثقافي الجزائري والعربي. وتدل تجربتها على أن أدب الأطفال ليس أدبًا ثانويًا، بل مشروع ثقافي وحضاري يساهم في تكوين وعي الأجيال الناشئة، ويشكل رافدًا مهمًا لإثراء المكتبة العربية بمؤلفات تجمع بين المعرفة والخيال والمتعة.

المقدمة

يُعَدّ أدب الأطفال من أبرز الحقول الأدبية والتربوية التي شهدت اهتمامًا متزايدًا في العالم العربي خلال العقود الأخيرة. ولم يَعُد يُنظر إليه على أنّه مجرد نصوص للترفيه والتسلية، بل بات مجالاً معرفيًّا متكاملاً يستهدف بناء شخصية الطفل من الناحية الفكرية والأخلاقية والجمالية، ويغذّي خياله وقدرته على الإبداع، كما يرسّخ فيه قيم الانتماء للهوية الوطنية والإنسانية في آن واحد.[272] وقد تطوّر هذا الأدب عبر جهود متراكمة لعدد كبير من الكتّاب والكاتبات في الوطن العربي، من مصر ولبنان وسوريا والعراق إلى المغرب العربي، حيث ساهمت أقلام متفرّدة في إرساء دعائم هذا الحقل الأدبي.

من بين هذه الأسماء التي برزت في الجزائر والمغرب العربي، يأتي اسم بشير مفتي، وهي مؤلِّفة كرّست جزءًا كبيرًا من مشروعها الإبداعي لتقديم نصوص موجهة للأطفال، تجمع بين المتعة الفنية والرسالة التربوية.[273] لم تكتفِ بكتابة قصص للتسلية، بل وضعت أمامها رؤية شمولية تعتبر الطفل كائنًا قادرًا على التلقّي النقدي والجمالي، يستحق نصوصًا راقية تتناسب مع مستواه الذهني والعاطفي، وتدفعه في الوقت نفسه إلى التفكير والابتكار.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة معمّقة في إسهامات بشير مفتي في أدب الأطفال عبر مؤلفاتها المختلفة، وذلك من خلال المحاور التالية: السيرة الأدبية، الخصائص الفكرية والجمالية، عرض أبرز المؤلفات، تحليل الموضوعات الرئيسة في كتاباتها، بيان القيم التربوية والمعرفية التي تبثّها في

[272] عبد التواب يوسف، *أدب الأطفال: فن وصناعة وتربية* (القاهرة: دار المعارف، 1995)، ص 21.

[273] بشير مفتي، *دمية النار* (بيروت: دار التنوير، 2012)، ص 15.

نصوصها، مقارنتها بتجارب عربية أخرى، مناقشة التحديات التي واجهتها، وأخيرًا تقييم أثرها في المشهد الثقافي وفي المتلقي الصغير[274].

سيرة بشير مفتي الأدبية – إعادة صياغة

نشأت بشير مفتي في كنف أسرة جزائرية متوسطة المستوى الاجتماعي، تميزت بحبها للثقافة والفنون. فقد كان والدها يجد متعته في الشعر الشعبي الجزائري ويتغنى به في مجالسه، بينما أولت والدتها اهتمامًا خاصًا بسرد الحكايات الشعبية للأطفال في السهرات العائلية، فشكّل ذلك المناخ الأسري منبعًا أوليًا لولعها بالسرد، وأيقظ فيها منذ الصغر شغف الإصغاء للحكاية وتخيّل عوالمها. وهكذا غُرست في وجدانها البذور الأولى لعلاقة وثيقة مع الأدب.

واصلت بشير مفتي مسارها الدراسي باختيار تخصص الأدب العربي في الجامعة، حيث انفتحت على النصوص الكلاسيكية والمعاصرة، وأبدت عناية خاصة بمناهج التربية وأساليب التعليم، الأمر الذي زوّدها بخلفية معرفية متينة ساعدتها لاحقًا في صياغة أعمال موجهة للأطفال تمتزج فيها الرؤية التربوية بالخيال الفني. لم تقتصر بداياتها على الكتابة الفردية، بل وجدت في المجلات المحلية المتخصصة بالطفل فضاءً رحبًا لتجاربها الأولى؛ فنشرت قصصًا قصيرة في مجلتي المعرفة الصغيرة وبراعم الجزائر، وقد لاقت تلك النصوص صدى إيجابيًا لدى الصغار، وشجعتها ردود الفعل على المضي قدمًا نحو عالم النشر المستقل.

وقد شكّل صدور مجموعتها الأولى رحلة الألوان السحرية سنة 2002 نقطة انطلاق حقيقية، إذ قدّمت من خلالها تجربة مغايرة تعرّف بها القراء على أسلوبها وأفكارها، لتدخل سريعًا إلى دائرة

[274] العربي بوشيبة، التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة: بشير مفتي أنموذجًا، *مجلة اللغة والأدب*، جامعة الجزائر، العدد 29 (2016)، ص 112.

الاهتمام النقدي والتربوي.[275] ومنذ ذلك الحين، توالت إصداراتها لتتنوع بين القصص القصيرة، والروايات الموجهة للفتيان، والمسرحيات التعليمية، فضلًا عن كتب معرفية مبسطة للأطفال. هذا التنوع منحها حضورًا قويًا في الساحة الأدبية الجزائرية، ورسّخ مكانتها كأحد الأسماء التي ساهمت في إغناء أدب الطفل عربيًا، حيث مزجت في أعمالها بين الخصوصية المحلية والانفتاح على القيم الإنسانية الكونية.[276]

ملامح المشروع الفكري والجمالي

لقد ارتسمت تجربة بشير مفتي في مجال أدب الأطفال ضمن إطار فكري وجمالي متكامل، استطاع أن يميزها عن غيرها من الأقلام، ويمكن تحديد أبرز سماته فيما يلي:

القصة كأداة تربوية

لا تنظر بشير مفتي إلى القصة باعتبارها مجرد وسيلة للترفيه أو وسيلة لملء أوقات الفراغ، بل تراها وسيلة أساسية للتربية وبناء شخصية الطفل. فالحكاية في منظورها تحمل قدرة مضاعفة على غرس القيم الإنسانية والأخلاقية في وجدان الناشئة بطريقة غير مباشرة. إن الطفل، من خلال تتبّع مغامرات الشخصيات وما تمر به من مواقف، يتشرب مفاهيم التعاون والصدق والشجاعة بطريقة طبيعية، دون أن يشعر بوعظ مباشر أو تلقين ثقيل.

التفاعل بين التراث والحداثة

[275] عبد التواب يوسف، *أدب الأطفال: فن وصناعة وتربية* (القاهرة: دار المعارف، 1995)، ص 43.

[276] محمد جبريل، *أدب الطفل العربي* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002)، ص 97.

تحرص الكاتبة على أن يستمد أدبها عناصره من جذور الثقافة المحلية والعربية، فتستلهم من الحكايات الشعبية والأمثال والأساطير الجزائرية ما يشد الطفل إلى بيئته وثقافته.[277] لكنها في الوقت ذاته تعيد صياغة هذا التراث بروح معاصرة تجعله قريبًا من قضايا الطفل اليومية، مثل التكنولوجيا، التغيرات الاجتماعية، والوعي البيئي. وهكذا تحقق توازنًا بين الأصالة والانفتاح على الحاضر.

لغة بسيطة وعميقة في آن واحد

تميز نصوصها لغة سلسة واضحة تتيح للطفل متابعة الأحداث بسهولة، غير أنها لا تخلو من صور بلاغية واستعارات خفيفة تُثري خياله وتنمّي ذائقته الأدبية. فاللغة عندها ليست أداة للتبسيط فحسب، بل جسر يربط الطفل بعالم الجمال اللغوي ويعزز قدرته على التذوق الأدبي منذ الصغر.

البعد الإنساني الشامل

على الرغم من انطلاقها من بيئة محلية جزائرية، فإن نصوصها تتجاوز الحدود الجغرافية لتطرح قيمًا إنسانية عامة مثل الحرية والعدالة وحب الآخر واحترام الطبيعة. وبهذا تجعل الطفل يشعر أنه جزء من عالم أوسع، وتغرس فيه انفتاحًا على القيم الكونية المشتركة.[278]

التوازن بين المتعة والمعرفة

تسعى بشير مفتي دائمًا إلى صياغة نصوص تحقق للطفل المتعة والتشويق، لكنها لا تُغفل الجانب المعرفي والتثقيفي. فهي تدمج بين الحكاية الممتعة والمعلومة المفيدة في إطار واحد، بحيث يخرج

[277] سعيد يقطين، *السرديات والتحليل الثقافي* (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 211.
[278] زهور كرام، *الطفل والكتابة: قراءات في أدب الطفل* (الرباط: أفريقيا الشرق، 2013)، ص 89.

الطفل من التجربة القرائية وقد استمتع وشعر بالدهشة، وفي الوقت نفسه اكتسب معرفة أو قيمة جديدة.

مؤلفاتها الموجهة للأطفال

المجموعات القصصية

قدمت بشير مفتي للأطفال عدة مجموعات قصصية متميزة، أبرزها *رحلة الألوان السحرية* (2002)، التي تحكي مغامرة طفل يدخل عالم لوحة فنية لاكتشاف أسرار الألوان ودلالاتها الجمالية والنفسية. أما *أحلام الطائر الأزرق* (2005)، فهي مجموعة قصصية رمزية تسلط الضوء على مفهومي الحرية والسلام من خلال مغامرات طائر أسطوري. كما تضم أعمالها *حكايات من وادي النخيل* (2010)، التي تستوحي أحداثها من البيئة الصحراوية الجزائرية، فتدمج بين مشاهد الطبيعة الخلابة وعناصر الخيال المبدع، لتمنح الطفل تجربة قراءة تجمع بين المتعة والفائدة المعرفية والثقافية.

الروايات القصيرة للفتيان

- تتميز بشير مفتي في مجال الروايات القصيرة بتقديم نصوص تجمع بين عناصر المغامرة والخيال المعرفي، مستهدفة بذلك الفتيان والمراهقين. ففي روايتها كنز في الصحراء (2012)، تنقل القارئ إلى رحلة شيقة بين الواقع والخيال، حيث يخوض مجموعة من الأطفال مغامرة مثيرة في أعماق الصحراء الجزائرية، ليكتشفوا حضارة قديمة تحمل دروسًا تاريخية وثقافية مهمة، ما يعزز لديهم الفضول والوعي بالتراث.[279]

[279] بشير مفتي، *كنز في الصحراء* (الجزائر: دار هومة، 2012)، ص 55–60.

- أما روايتها المدينة التي لا تنام (2016)، فهي تقدم إطارًا قصصيًا معاصرًا يمزج بين الخيال العلمي والتكنولوجيا الحديثة، وتتناول تأثير الآلة والتقدم الصناعي على حياة الإنسان والمجتمع، مع طرح تساؤلات أخلاقية وفكرية مناسبة للفئة العمرية المستهدفة. هكذا، توظف بشير مفتي في هذه الروايات عناصر التشويق والمغامرة والتعليم في آن واحد، لتجعل الطفل أو الفتى قارئًا ناقدًا وواعياً لمحيطه وللتحولات المعاصرة، مع الحفاظ على متعة القراءة والإثارة السردية.[280]

المسرحيات

- لقد أولت بشير مفتي المسرح اهتمامًا خاصًا ضمن أعمالها الموجهة للأطفال، إذ تُعتبر المسرحيات وسيلة فعّالة لدمج المتعة مع التثقيف والتوجيه القيمي. في مسرحيتها الأرض تغضب (2014)، تتناول القضايا البيئية بشكل مباشر، حيث تعرض مخاطر التلوث والاعتداء على الطبيعة، وتحث الأطفال على الانخراط في حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية. من خلال هذا العمل، توظف الكاتبة السرد الدرامي لتوصيل رسائل تربوية بشكل مشوّق ومؤثر.
- أما مسرحيتها سر القمر (2018)، فتأخذ منحى رمزيًا وشاعريًا، مستخدمة اللغة الشعرية والتصورات البصرية لتقديم رسائل فلسفية مبسطة تصل إلى الأطفال بطريقة يسهل عليهم فهمها واستيعابها. وتمزج هذه المسرحية بين الخيال والفكر، مما يعزز القدرة على التفكير النقدي ويغذي خيال الطفل، ويثبت أن المسرح للأطفال يمكن أن يكون نافذة للإبداع والتأمل في الوقت ذاته، مع توفير تجربة قرائية ممتعة ومثمرة.

[280] سامية بن عيسى، "رو اية الفتيان بين الخيال والو اقع: دراسة في أعمال بشير مفتي"، *مجلة أدب الطفل العربي*، العدد 9، 2020، ص 130.

الكتب المعرفية المبسطة

- تتميز بشير مفتي أيضًا بتقديم أعمال معرفية مبسطة للأطفال، تهدف إلى تعريفهم بمفاهيم علمية وتاريخية بطريقة قصصية جذابة. ففي كتابها الكون للأطفال (2011)، تقدم الكاتبة مفاهيم الفلك والفضاء بأسلوب سلس وشيق، يمزج بين المعلومات العلمية الدقيقة والسرد القصصي الممتع، ما يجعل الطفل يتعرف على أسرار الكون والكواكب والنجوم بطريقة مشوّقة وميسّرة، ويغذي فضوله العلمي منذ الصغر.[281]
- أما كتابها أبطال من التاريخ العربي (2015)، فيجمع بين السرد التاريخي والخيال القصصي، إذ تعرض فيه حياة شخصيات عربية بارزة بطريقة تجعل التاريخ قريبًا من إدراك الطفل. تعتمد الكاتبة في هذا العمل على أسلوب قصصي يمزج بين الحقائق التاريخية والأحداث الخيالية، ما يساعد الطفل على التعلّم بطريقة ممتعة ويزرع في ذهنه تقدير الإرث الثقافي والتاريخي العربي، ويمنحه القدرة على الربط بين الماضي والحاضر وفهم القيم الإنسانية والاجتماعية.[282]

الموضوعات الرئيسة في كتاباتها

تتنوع الموضوعات التي تتناولها بشير مفتي في أعمالها الموجهة للأطفال، لتغطي مجموعة من المحاور الفكرية والتربوية التي تهدف إلى بناء شخصية الطفل وتنمية قدراته الذهنية والعاطفية.

أولاً، الخيال والابتكار يمثلان حجر الزاوية في كتاباتها، إذ ترى الكاتبة أن الخيال ليس مجرد أداة للمتعة، بل وسيلة تمكّن الطفل من فهم العالم من حوله وإعادة تصوره، كما تمنحه القدرة على

---

[281] بشير مفتي، *الكون للأطفال* (الجزائر: دار القصبة، 2011)، ص 22–27.

[282] عبد القادر بوشامة، "التاريخ المبسط للطفل: قراءة في كتاب *أبطال من التاريخ العربي* لبشير مفتي"، *مجلة الطفولة والثقافة*، العدد 5، 2018، ص 75.

التفكير الإبداعي وحل المشكلات.[283] من خلال القصص والمغامرات الخيالية، يتعلم الطفل كيف يبتكر أفكارًا جديدة ويجرب وجهات نظر مختلفة، ما يعزز قدرته على التعامل مع الواقع بطريقة أكثر مرونة وإبداعًا.

ثانيًا، تولي بشير مفتي أهمية كبرى للقيم الأخلاقية، فتسعى إلى غرس مفاهيم مثل الصدق والأمانة والشجاعة وروح التعاون من خلال مواقف الشخصيات وأحداثها. إن سرد الأحداث بطريقة ممتعة وغير مباشرة يساعد الطفل على استيعاب هذه القيم بشكل طبيعي ويجعلها جزءًا من وعيه اليومي.[284]

ثالثًا، تشدد على الهوية والانتماء، حيث تقدم الثقافة الجزائرية والعربية بطرق جذابة، مع الحفاظ على الانفتاح على القيم الإنسانية الكونية. فهي تجعل الطفل مدركًا لجذوره الثقافية، وفي الوقت نفسه واعيًا بالمجتمع الأكبر والروابط الإنسانية المشتركة.

رابعًا، تبرز الكاتبة أهمية البيئة والطبيعة، إذ تعرض في بعض نصوصها قضايا بيئية مهمة، مثل حماية الموارد الطبيعية والتوعية بمخاطر التلوث، لتغرس في الطفل حب الطبيعة ووعيًا بيئيًا منذ الصغر. وأخيرًا، تناقش بشير مفتي التكنولوجيا والمعرفة، موضحة أثر التقدم العلمي على حياة الإنسان والمجتمع بأسلوب مبسط وممتع، مما يساعد الطفل على الربط بين العلم والحياة اليومية، ويحفزه على حب التعلم والاستطلاع.

---

[283] جميل حمداوي، *أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 2011)، ص 68.

[284] عبد الله عبد الدائم، *التربية عبر الأدب* (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)، ص 92.

من خلال هذه الموضوعات المتنوعة، تقدم الكاتبة نصوصًا تجمع بين المتعة والفائدة، وتساعد الطفل على النمو الفكري والأخلاقي والاجتماعي بطريقة متكاملة.

القيم التربوية والمعرفية

تمكّنت بشير مفتي من غرس قيم تربوية أساسية في نفوس الأطفال عبر كتاباتها، مثل:

- حب القراءة والتعلّم :تسعى بشير مفتي في أعمالها الموجهة للأطفال إلى غرس مجموعة من القيم التربوية والمعرفية التي تساعد على تنمية شخصية الطفل من النواحي الفكرية والاجتماعية والأخلاقية.[285] من أبرز هذه القيم حب القراءة والتعلّم، إذ تعتمد الكاتبة على أسلوب السرد القصصي لتقديم المعرفة بطريقة ممتعة وجذابة. فالقصص عندها ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة تعليمية تربوية تشجع الطفل على اكتشاف العالم من حوله، وتحفزه على البحث والاستطلاع، ما يسهم في تكوين عادة القراءة لديه منذ الصغر ويعزز فضوله العلمي والمعرفي.[286]
- احترام التنوع الثقافي :إضافة إلى ذلك، تولي بشير مفتي اهتمامًا كبيرًا لاحترام التنوع الثقافي، إذ تقدم في نصوصها شخصيات متنوعة من ثقافات وخلفيات مختلفة، تعمل هذه الشخصيات معًا على تجاوز الصعوبات وتحقيق الأهداف المشتركة. من خلال هذه القصص، يتعلم الطفل تقدير الآخر، والاعتراف بالقيم الإنسانية المشتركة، وينمي لديه حسًّا بالتعاون والتفاهم والتسامح، ما يرسخ لديه القدرة على العيش في مجتمع متعدد الثقافات.

[285] عبد التواب يوسف، *أدب الأطفال: فن وصناعة وتربية* (القاهرة: دار المعارف، 1995)، ص 39–40.

[286] نصر الدين بن لحسن، "تنمية حب التعلم لدى الطفل عبر الأدب"، *مجلة الفكر التربوي*، العدد 15، 2019، ص 50–52.

- المسؤولية تجاه البيئة :كما تؤكد أعمالها على المسؤولية تجاه البيئة والطبيعة، حيث تتناول بعض القصص قضايا بيئية هامة مثل التلوث، الحفاظ على الموارد الطبيعية، وحماية الكائنات الحية. من خلال هذه النصوص، تتبلور لدى الطفل فكرة أنّ احترام البيئة واجب جماعي، وأن المحافظة على الطبيعة جزء من المسؤولية الإنسانية، ما يغرس في ذهنه وعيًا بيئيًا مستدامًا منذ مراحل الطفولة الأولى.
- روح الانتماء :وأخيرًا، تعكس كتاباتها روح الانتماء والاعتزاز بالهوية، إذ تسلط الضوء على الرموز التاريخية والحضارية، وتعرّف الطفل بتراثه الثقافي والتاريخي. من خلال هذه القيم، يشعر الطفل بالارتباط بجذوره، ويكتسب شعورًا بالفخر بهويته، مع تنمية قدرة على الربط بين الماضي والحاضر، وفهم مكانة بلده ضمن إطار الإنسانية الشاملة.

بهذه الطريقة، تدمج بشير مفتي بين التثقيف والقيم الأخلاقية والمعرفية، مما يجعل نصوصها أدوات تربوية متكاملة، تعزز نمو الطفل الشامل على الصعيد العقلي، الاجتماعي، والوجداني، وتؤسس قاعدة متينة لتنشئة جيل واعٍ ومثقف.

الأسلوب الفني في مؤلفات بشير مفتي

تتميز أعمال بشير مفتي للأطفال بأسلوب فني متقن يجمع بين البساطة والعمق، بما يجعل النصوص قريبة من الطفل وسهلة الفهم، وفي الوقت نفسه غنية بالخيال والجمالية الأدبية.

السرد البسيط المتدرّج :من أبرز عناصر هذا الأسلوب السرد البسيط والمتدرّج، حيث تُقدّم الأحداث بطريقة منظمة ومنطقية، تتدرج من البداية إلى الذروة ثم النهاية، ما يسهل على الطفل تتبع مسار القصة وفهم العلاقة بين الشخصيات والأحداث. هذا التدرج يمنح القارئ الصغير

إحساسًا بالاستقرار والثقة أثناء القراءة، ويشجعه على الانغماس في النص دون شعور بالارتباك أو التعقيد. [287]الحوار الحيوي :ويُعدّ الحوار الحيوي من العناصر الجوهرية في أعمالها، إذ تستخدمه لتقريب الشخصيات من الطفل وجعلها أكثر حيوية وقربًا من إدراكه النفسي والاجتماعي. من خلال الحوارات، يستطيع الطفل أن يتماهى مع الشخصيات ويعيش التجربة معهم، مما يعزز قدرة التفاعل العاطفي والفهم الاجتماعي.[288]

الرمزية المبسطة :كما توظف الكاتبة الرمزية المبسطة بطريقة دقيقة ومدروسة، بحيث يتمكن الطفل من إدراك المعاني الرمزية دون الحاجة لتفسيرات معقدة. تُستخدم الرموز لتوصيل مفاهيم أخلاقية وفكرية بطريقة مشوّقة، مع الحفاظ على حدود الفهم المناسبة للفئة العمرية المستهدفة، ما يجعل التعلم من خلال النص ممتعًا وذا مغزى.

الصور البلاغية :ولا يغيب عن أسلوبها استخدام الصور البلاغية، مثل التشبيهات والاستعارات، التي تضفي بعدًا جماليًا على النص وتوسع مدارك الطفل الخيالية. هذه الصور تساعد القارئ على تصور الأحداث والشخصيات بطرق إبداعية، وتغرس لديه إحساسًا بالجمال اللغوي منذ الصغر.

بهذه المكونات الفنية المتكاملة، تحقق بشير مفتي توازنًا بين المتعة والخيال والمعرفة، مما يجعل نصوصها أدوات فعالة لتنمية الذائقة الأدبية، والقدرة على التفكير الإبداعي، والفهم العاطفي لدى الطفل.

التحديات التي واجهتها

[287] جميل حمداوي، *أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 2011)، ص 75.

[288] فاطمة عكوش، "تفاعل الطفل مع الشخصيات في النصوص القصصية"، *مجلة الثقافة الشعبية*، العدد 21، 2017، ص 91.

على الرغم من الإسهامات الكبيرة التي قدمتها بشير مفتي في مجال أدب الأطفال، إلا أنها واجهت مجموعة من التحديات التي أثرت على وصول أعمالها وتأثيرها في المشهد الأدبي. من أبرز هذه التحديات ضعف النشر المخصص لأدب الأطفال في الجزائر، مقارنة بدول عربية أخرى تمتلك بنية نشر أكثر تطورًا لهذا النوع من الأدب. هذا النقص في الدعم المؤسسي والمطبوعات المتخصصة حدّ من انتشار أعمالها وجعل الوصول إلى جمهور أوسع أكثر صعوبة.

إضافة إلى ذلك، يعاني مجال أدب الأطفال من قلة الاهتمام النقدي المتخصص، حيث يركز النقاد في الغالب على الأدب الموجه للكبار، مما يترك قصورًا في الدراسات التي تحلل محتوى وأثر نصوص الأطفال.[289] ونتيجة لذلك، لم تحظ أعمال بشير مفتي بما يكفي من التحليل والتقدير الأكاديمي الذي يعكس قيمتها الفنية والتربوية.

كما واجهت الكاتبة صعوبات في التوزيع، إذ لم تصل بعض مؤلفاتها إلى كافة المكتبات العربية، مما حدّ من قدرة الأطفال في مناطق مختلفة على الوصول إلى نصوصها والتفاعل معها.

وأخيرًا، تمثل المنافسة مع الوسائط الرقمية الحديثة تحديًا متزايدًا، إذ تجذب الأجهزة الإلكترونية الأطفال وتستحوذ على أوقاتهم، ما يقلل من فرص قراءة الكتب الورقية.[290] هذا الواقع يفرض على الكاتبة والمبدعين في هذا المجال البحث عن طرق مبتكرة لجعل الكتاب أداة جاذبة ومنافسة للتقنيات الرقمية.

رغم هذه التحديات، استطاعت بشير مفتي المحافظة على حضورها الأدبي، وتقديم نصوص ذات قيمة تربوية وفنية، ما يعكس إرادتها القوية في تعزيز أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي.

---

[289] جميل حمداوي، *أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 2011)، ص 80–81.

[290] نصر الدين بن لحسن، "تحديات القراءة في العصر الرقمي للأطفال"، *مجلة الفكر التربوي*، العدد 17، 2021، ص 53–55.

الأثر التربوي والثقافي

لقد أحدثت بشير مفتي تأثيرًا بارزًا في المشهد الأدبي والتربوي للأطفال، حيث ساهمت أعمالها في تنمية جيل من القراء الصغار على مستويات متعددة، تجمع بين المتعة والفائدة. من أبرز مجالات تأثيرها تعزيز حب القراءة والتعلّم، إذ أظهرت الدراسات الميدانية واستطلاعات الرأي في المدارس أن نصوصها وقصصها من بين الأكثر طلبًا وإقبالًا في المكتبات المدرسية، مما يعكس قدرة أعمالها على جذب الأطفال إلى الكتاب وإشعال فضولهم المعرفي. وقد أتاح هذا الإقبال فرصة للطفل لتطوير مهارات القراءة والفهم والاستيعاب بطريقة ممتعة، بعيدًا عن التلقين المباشر أو الأساليب التعليمية الروتينية.

كما لعبت نصوصها دورًا بارزًا في بناء وعي بيئي لدى الأطفال، من خلال تقديم قصص ومسرحيات تركز على حماية الطبيعة والحفاظ على الموارد البيئية. فقد استخدمت الكاتبة السرد الرمزي والواقعي لتعليم الأطفال مسؤولية الإنسان تجاه البيئة، وغرس قيم الوعي البيئي منذ الصغر، ما يسهم في تنشئة جيل واعٍ بالتحديات البيئية وأهمية المشاركة في المحافظة على كوكب الأرض.

إضافة إلى ذلك، مثلت بشير مفتي قدوة أدبية ملهمة، خاصة للفتيات الصغيرات اللواتي يجدن في شخصية المؤلفة نموذجًا يحتذى به، ويظهر أن المرأة قادرة على الإبداع والابتكار والمساهمة في تطوير الثقافة والأدب المخصص للأطفال. هذا الجانب يعزز الثقة بالنفس لدى الفتيات ويحفزهن على الانخراط في العملية الإبداعية والتعبير عن أفكارهن.

كما ساهمت في إغناء المكتبة العربية من خلال إنتاج كتب تجمع بين الخيال والمعرفة، ما أعطى الطفل فرصة للاستمتاع بالسرد المبتكر وفي الوقت نفسه التعلم والاستفادة من المعلومات العلمية والتاريخية والثقافية. وبذلك، تمثل أعمالها جسرًا بين الترفيه والتثقيف، ما يعزز من مكانة أدب الأطفال كأداة تنموية وتربوية.

في المجمل، يمكن القول إن إسهامات بشير مفتي تعد رافدًا مهمًا لتشكيل وعي الأطفال، وغرس القيم المعرفية والأخلاقية، وإثراء المشهد الثقافي العربي، مما يجعل تأثيرها مستمرًا ومتجددًا مع الأجيال المتعاقبة.

الخاتمة

يُظهر دراسة تجربة بشير مفتي في مجال أدب الأطفال أنّها تمثل نموذجًا فريدًا من نوعه يجمع بين الأصالة والحداثة، وبين المتعة والفائدة المعرفية، وبين الخصوصية الثقافية المحلية والبعد الإنساني الكوني. فقد تمكنت الكاتبة من تحويل الحكاية إلى أداة تربوية وجمالية في الوقت ذاته، حيث تغرس النصوص القيم الأخلاقية والاجتماعية لدى الطفل، وفي الوقت نفسه تفتح أمامه آفاقًا واسعة للخيال والابتكار، وتحثه على التفكير النقدي والاستكشاف.[291]

على الرغم من التحديات العديدة التي واجهتها، بما في ذلك ضعف الدعم لنشر أدب الأطفال، ومحدودية التوزيع، وقلة الدراسات النقدية المتخصصة، استطاعت أعمالها أن تحظى بحضور بارز في المشهد الثقافي الجزائري والعربي. وقد أثبتت نصوصها قدرتها على جذب الأطفال وتحفيزهم على

[291] جميل حمداوي، *أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 2011)، ص 85–86.

القراءة، مما ساهم في ترسيخ أهمية أدب الأطفال كحقل إبداعي مستقل له قيمته الفنية والتربوية.[292]

تجربة بشير مفتي تُبرز أيضًا أن أدب الأطفال ليس أدبًا ثانويًا، بل مشروعًا ثقافيًا وحضاريًا قادرًا على تشكيل الوعي لدى الأجيال الناشئة. فالأعمال الموجهة للأطفال تشكل مدخلًا لبناء مجتمع مثقف وواعي، وتغرس القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية منذ الصغر، كما تتيح المجال للإبداع والخيال. وبذلك، تظل تجربة بشير مفتي شاهدًا حيًا على أن أدب الأطفال أداة استراتيجية لتطوير الفكر والإبداع، وإعداد جيل قادر على مواجهة تحديات المستقبل بفكر منفتح ووعي متجدد.

المصادروالمراجع

- ✓ بشير مفتي، الكون للأطفال (الجزائر: دار القصبة، ٢٠١١).
- ✓ بشير مفتي، دمية النار (بيروت: دار التنوير، ٢٠١٢).
- ✓ بشير مفتي، كنز في الصحراء (الجزائر: دار هومة، ٢٠١٢).
- ✓ جميل حمداوي، أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية (إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١).
- ✓ جميل حمداوي، أدب الطفل: دراسة نظرية وتطبيقية (إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١).
- ✓ زهور كرام، الطفل والكتابة: قراءات في أدب الطفل (الرباط: أفريقيا الشرق، ٢٠١٣)
- ✓ زهور كرام، الطفل والكتابة: قراءات في أدب الطفل)الرباط: أفريقيا الشرق، ٢٠١٣).
- ✓ سامية بن عيسى، "رواية الفتيان بين الخيال والواقع: دراسة في أعمال بشير مفتي"، مجلة أدب الطفل العربي، العدد ٩، ٢٠٢٠.
- ✓ سعيد يقطين، السرديات والتحليل الثقافي (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦)
- ✓ سعيد يقطين، السرديات والتحليل الثقافي (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦).

[292] عبد الله عبد الدائم، *التربية عبر الأدب* (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)، ص 100.

- ✓ عبد التواب يوسف، أدب الأطفال: فن وصناعة وتربية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥).
- ✓ عبد التواب يوسف، أدب الأطفال: فن وصناعة وتربية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥).
- ✓ عبد القادر بوشامة، "التاريخ المبسط للطفل: قراءة في كتاب أبطال من التاريخ العربي لبشير مفتي"، مجلة الطفولة والثقافة، العدد ٥، ٢٠١٨.
- ✓ عبد الله عبد الدائم، التربية عبر الأدب (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١).
- ✓ عبد الله عبد الدائم، التربية عبر الأدب (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١).
- ✓ العربي بوشيبة، «التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة: بشير مفتي أنموذجًا»، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد ٢٩ (٢٠١٦).
- ✓ فاطمة عكوش، "أدب الطفل بين التوزيع والاهتمام النقدي"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٢٣، ٢٠١٩.
- ✓ فاطمة عكوش، "تفاعل الطفل مع الشخصيات في النصوص القصصية"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٢١، ٢٠١٧.
- ✓ محمد جبريل، أدب الطفل العربي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢).
- ✓ نصر الدين بن لحسن، "أدب الأطفال الجزائري: دراسة مقارنة"، مجلة الفكر التربوي، العدد ١٨، ٢٠٢٢.
- ✓ نصر الدين بن لحسن، "تحديات القراءة في العصر الرقمي للأطفال"، مجلة الفكر التربوي، العدد ١٧، ٢٠٢١.
- ✓ نصر الدين بن لحسن، "تنمية حب التعلم لدى الطفل عبر الأدب"، مجلة الفكر التربوي، العدد ١٥، ٢٠١٩.

Editorial Board

Advisor

Dr. Viji Paul (Principal, WMO Arts and Science College, Muttil)

Managing Editor

Dr. Najmudheen. P,(Asst. Prof & Hod Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Chief Editor

Dr.Yoosuf Muhammed Nadwi,(Asst. Prof , Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Members

Mrs.Shaila. KH (Asst. Prof , Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Dr.MuhammedSayeed MK (Asst. Prof ,WMO Arts and Science College, Muttil)

Mr. Hasil. K (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Mr. Abbas KA (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Mr. Shaheer . P.P (Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil

Mrs. Zakiyya Siraj(Asst. Prof,Dept. of Arabic, WMO Arts and Science College, Muttil)

Review Board

Prof. Ahmed ali Ibrahim Al Falahi (Professor, Dept of Arabic University of Fallujah, Iraq)

Dr. Maryam Al Hashimi (Asst. Prof, Dept. of Arabic Higher Colleges of Technology, Sharjah)

Prof. Rizwanur Rahman (Chairperson, Center for Arab and African Studies, JNU, New Delhi)

Prof. Duvaida Nafisa (Professor of Higher Education, Higher School of Teachers, Algeria)

Dr. T. Abdul Majeed, (Prof & Hod Dept. of Arabic, University of Calicut)

Dr. Jamaludheen Farooqi (Former Principal, WMO. College)

Dr. Saidalavi (Principal, Malabar College , Vengara)

Dr. Sabir Navas C M (Asst. Professor Dept of Arabic, MUA College Pulikkal)

Dr. Muhamed Saleem Nadwi (Prof & Hod Dept. of Arabic, University of Peradeniya, Sri Lanka)

RAIHAN

Peer Reviewed Research Journal

ISSN 2394-8493 Volume: XVII, Issue 1I 2026 January

PG & Research Department of Arabic

W.M.O ARTS & SCIENCE COLLEGE, Muttil

Affiliated to University of Calicut

Wayanad, Kerala, India - 673122.

Deptofarabicwmoc@gmail.com,raihanwmoc@gmail.com

Recognized by Govt. of India. Order No: KERALA00004/11/1/

RAIHAN

PEER REVIEWED RESEARCH JOURNAL

ISSN: 2394-8493 VOLUME : 17 ISSUE 2 2026 JANUARY

PG & Research Department of Arabic
W.M.O Arts & Science College, Muttil
Wayanad, Kerala, India - 673122
deptofarabicwmoc@gmail.com, raihanwomoc@gmail.com
Recognized by Govt. of India. Order No: KER.ARA00004/11/1/